آغاخان

ومهمته في مصر في بداية الحرب العالمية الأولى

(دراسة وثائقية)

للدكتور

فاروق عثمان أباظة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨١



دار المعارف

المحتويات

صفحة

مقدمة

يعتبر « محمد سلطان الحسينى » المعروف « بآغاخان الثالث » ـ وهو الامام الثامن والاربعون للشيعة الاسماعيلية الامامية ـ من الشخصيات البارزة التى لعبت دورا هاما على مسرح الحياة العالمية الحديثة والمعاصرة . اذ استغرقت رحلة عمره الطويلة قرابة ثمانين عاما ما بين مولده فى « محلة شهر العسل » الكائنة بكراتشى فى اليوم الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩٧٧ لابوين من أصل فارسى ، ووفاته فى مدينة « فرسوا » فى سويسرا فى اليوم الحادى عشر من شهر يوليو سنة ١٩٥٧(١) . وقد دفن آغاخان ـ بناء على وصيته ـ بمدينة أسوان بصعيد مصر فى مسكن كان يملكه على الشاطىء الغربى للنيل ، ثم نقلت رفاته الى ضريحه الحالى المجاور لمسكنه المذكور فى اليوم العشرين من فبراير سنة ١٩٥٩ ، ويعتبر هذا الضريح منذ ذلك الحين مزارا لطائفة الشيعة الاسماعيلية الامامية .

وقد تولى « آغاخان الثالث » امامة الشيعة الاسماعيلية الامامية أكثر من سبعين عاما . اذ بعد بلوغه السنة الخامسة من عمره توفى جده « حسن على شاه » المعروف « بآغاخان

---

(١) مذكرات آغاخان : نقلتها الى العربية دار العلم للملايين ببيروت الطبعة الاولى ، فبراير ١٩٥٩ ، مقدمة الترجمة العربية بقلم عارف تامر ، ص ١٢ ـ ١٤ .

الاول » ([١]) ، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفى والده « على شـاه » المعروف « بآغاخـان الثانى » ([٢]) ، ولم يكن هو قد تجاوز بعد السنة الثامنة من عمره • وفى تلك السن المبكرة اجتمع رجال الدعوة الاسماعيلية فى الهند وسلموه شؤون الامامة فى احتفال مهيب فى سنة ١٨٨٥ ([٣]) • وكان ذلك من الاسباب التى حفزت والدته ــ وكانت رفيعة التهذيب والثقافـة [٤] ــ على مضاعفة السهر على حياته واحضـار المربين والاسـاتذة الماهرين الذين عملوا على تعليمه اللغـات الفارسـية والعربيـة والاوربيـة ، وقراءة الكتب الهامة فى تاريـخ الهند وفـارس وانجلتـرا ، والتاريخ المعاصـر عامـة ، مضافا الى كل هـذا كتب الفقـه الاسـلامى [٥] •

وقد حجبت حقيقة آغاخـان عن عيون الناس سحابة كثيفة

---

(١) لفظ « آغـا » يعنى فى اللغـة الفارسية « السيد » ولفظ « خـان » يعنى فى نفس اللغـة « الرئيس » أو الزعيم أو القائد أو الحاكم ، ولهذا فان لقب « أغاخـان » يعنى فـى تلك اللغـة « السيد الرئيس أو الزعيم أو القائد الحاكم » وقد أطلقه الشيعة الاسماعيلية الامامية على أمامهم فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى تعبيرا عن ولائهم له •

(٢) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، من تقديم الكاتب الانجليزى سومرست سوم لمذكرات آغاخـان ، ص ٢٠ •

(٣) مذكرات آغاخـان : نفس المصدر ، ص ٧٢ •

(٤) مذكرات آغاخـان : نفس المصدر ، من تقديم سـومرست سـوم لمذكرات آغاخـان ، ص ٢١ •

(٥) مذكرات آغاخـان : نفس المصدر ، من مقدمة الترجمة العربية بقلم عارف تامـر ، ص ١٢ •

من الغموض ، أثارت حوله الكثير من المزاعم المتضاربة ، والآراء المتباينة • غير أننا من خلال دراستنا الوثائقية هذه سنحاول التعرف على حقيقة شخصيته، وننفذ بقدر الامكان الى واقعه • وستكون محاولتنا لتحقيق ذلك عن طريق تصفحنا لسجل حياته فى الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الاولى على وجه الخصوص ، وعن طريق تتبعنا لمهمة قام بها فى مصر فى بداية تلك الحرب ، أى فى فترة هامة من تاريخ مصر الحديث والمعاصر • وقد بدأت هذه المهمة على وجه التحديد فى اليوم التالى مباشرة لليوم الذى أعلنت فيه الحماية البريطانية على مصر والموافق الثامن عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ (١) ، وبذلك تم فصلها نهائيا عن السيادة العثمانية • ولا شك أن هذا التوقيت يعطى قدرا أكبر من الاهمية لدراستنا هذه ، التى سنطل من خلالها على الاوضاع القائمة فى مصر من زوايا متعددة فى ذلك الحين •

وجدير بالذكر أن آغاخان نفسه يوضح فى مذكراته أن حياته الطويلة فى منصبه الدينى المعروف كامام للشيعة الاسماعيلية الامامية جعلته يشهدتغيرات عديدة طرأت على مسرح الاحداث العالمية ، وأنه بحكم منصبه هذا قد لعب دورا ملحوظا فى هذه التغيرات • وفى مجال تقييمه لهذا الدور فاننا نجده

---

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ ـ ١٩١٤ ، ص ٣٧١ •

يقول فى مذكراته : « غير أنه ينبغى على أن أؤكد أنه مهما كان الدور الذى أكون قد لعبته فى الشئون العامـة وفى التطورات السياسية فى الهند وغيرها ، فانه لم يكن من مهمتى أو واجبى الرئيسى · فمنـذ طفولتى كان همى الاول ومسؤليتى الاولى ، طوال حياتى كلها ، الامانة العظمى التى ورثتها بوصفى اماما للطائفة الاسماعيلية من المذهب الشيعـى للمسلمين ··· وكل شىء آخـر فعلته أو سعيت الى فعله ، تمتعت به أو عانيت منه ، قد كان ثانويا بالضرورة · بهذا التحفظ الذى أبديـه بصراحة هنا أعتقد أن باستطاعتى أن أسرد العديد من الاحداث والتجارب الاخرى فى حياتى · لقد حاولت طيلة السنين التى أنفقتها فى الحياة العامة أن أفعـل أفضـل ما فى وسعى حسب استطاعتى ، وليس بامكانى أن أقدر نجاحى أو فشـلى فيما حاولت صنعه ، فالحكم النهائى فى يد غيرى » (١) ·

وهكذا يترك آغاخـان لجيلنا وللاجيـال القادمـة الحكـم النهائى فى تقدير مدى نجاحه أو فشله فيما حاول صنعه طوال حياته ، ومن بين الاعمال التى قام بهـا تلك المهمة التى كلفته بريطانيـا بالقيام بها فـى مصر فى بدايـة الحـرب العالميـة الاولى ، والتى ستدور حولها هـذه الدراسـة ·

وسوف ترتكز دراستنا هذه على ركيزتين رئيسيتين ، أولهما

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٣٠ ·

مذكرات آغاخـان الشخصية التى تعتبر مصدرا وثائقيا هاما من مصادر هذا البحث ، وثانيهما المذكرة السرية التى أعدها آغاخان و « سير عباس على بك » عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالميـة الاولى والمؤرخة فى اليوم الثانى عشر من شهر يناير سنة ١٩١٥ والتى رفعاها الى مجلس سكرتارية الدولة لشئون الهند "Secretary of State for India" والمحفوظة حاليا بمكتبة وزارة الهند " India Office " فـى لنـدن ضمن أرشيف الكومنولث ولم يسبق نشرها بعد (١) ٠ وقد ألحقت بهذه الدراسة النص الاصلى باللغـة الانجليزية لهذه المذكرة ، مصحوبا بترجمة باللغـة العربية ، بعد أن قمت بتحقيقها ودراستها على مـدار هـذه الدراسـة ٠

ولا يسعنى فى صدر هذا البحث ، الذى أرجـو أن يضيف جديدا فـى الساحة الرحيبة للدراسـات التاريخيـة الحديثة والمعاصرة ، الا أن أتوجه بالشكر لكل من لقيت منهـم تشجيعا أخويا على انجازه ، وأخص بالذكر الاستاذ الدكتور جلال يحيى

---

(1) Foreign and Commonwealth Office, India Office, Political and Secret Library, London, B. 216,
Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Age khan and M.A Ali Baig on the Situation in Egypt, Port Said, 12th January 1915, PP. 1-9.

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم التاريخ بجامعة المنيا ، والاستاذ الدكتور عبد العزيز نوار أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس ومدير مركز دراسات الشرق الاوسط بالقاهرة ، والاستاذ الدكتور عمر عبد العزيز أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الاسكندرية ·

والله ولى التوفيق ؟

د· فاروق عثمان أباظة

الخلفيــة التاريخية لمركز آغاخــان

كامام للطائفة الاسماعيلية

عرضنا فى مقدمة هذه الدراســة قول آغاخــان فى مذكراته أنه منذ صباه كان همه الاول ومسؤليته الاولى طوال حياته كلها الامانة العظمى التى ورثها بوصفه اماما للطائفة الاسماعيلية من المذهب الشيعى للمسلمين ، وهو المركز الذى نصب فيه وهو لم يتجاوز بعد السنة الثامنة من عمره • وهذا يوجب علينا محاولة التعرف على الخلفية التاريخية لمركــز آغاخــان كامام للطائفة الاسماعيلية ، وهو المركز الذى انعكس بطبيعة الحــال على جميع تصرفاته وأعماله فى مراحل حياته المختلفة ، ومنهــا مهمته فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى •

فمن المعروف أن الطائفة الاسماعيلية ـ التى كان آغاخــان اماما لاتباعها ـ هى احدى الفرق الشيعية • وقد ظهرت نتيجة للانشقاق الذى حدث فى صفوف الشيعة ، والذى تمخضت عنه فرق متعددة كانت هى احداها • وكلمة الشيعة فى اللغــة تعنى الاتباع والانصار [1] ، ويطلق هذا اللفظ فى عرف الفقهاء على أتباع على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) وبنيه • ويرجع ابن النديم سبب هذه التسمية الى مخالفة طلحة والزبير على علىّ بن أبى طالب عندما أبيا الا الطلب بدم عثمان بن عفــان (رضى

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادى مادة « شــاع » •

الله عنه) فسار اليهما على ليقابلهما حتى يفيئا الى أمر الله ، فتسمى من اتبعه على ذلك « الشيعة » ، وكان على يطلق على أتباعه لفظ « شيعتى » (١) .

ويرى الشيعة على اختلاف فرقهم وطوائفهم أن نشأة التشيع - من وجهة نظرهم - ترجع الى عصر النبى (صلى الله عليه وسلم) ، بل يذهب بعضهم الى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام ، جنبا الى جنب وسواء بسواء ، حتى أنهم يقولون « ولم يزل النبى يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وازدهرت ثم أثمرت بعد وفاته » (٢) .

ولكن من المرجح أن التشيع بدأ بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) عندما نشأ بين كبار الصحابة - منذ بدأت مشكلة الخلافة - جماعة لم توافق على الطريقة التى أنتخب بها الخلفاء الراشدون الثلاثة الاول ، الذين لم يراع فى انتخابهم درجة قرابتهم من أسرة النبى . وقد آثرت هذه الجماعة على بن أبى طالب ابن عم النبى وزوج ابنته فاطمة ، ولم تجد هذه الجماعة الفرصة مواتية لتجاهر برأيها فى هذا الصدد الا فى عهد عثمان الذى انتهج سياسة ثابتة طيلة مدة خلافته وهى تفضيل أقاربه من بنى أمية ، لاعتبارات تقوم على الثقة الزائدة فيهم فى وقت اتسعت فيه رقعة الدولة الاسلامية وتقدم فيه سن الخليفة نفسه ،

---

(١) الفهرست لابن النديم ، طبعة ليبزج ، ص ١٧٥ .
(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ص ٥٤ .

غير أن هذه السياسة أصبحت مثارا للسخط فى بعض الامصار الاسلامية ، وأتاحت لانصار على الفرصــة لتحويل الخلافة لآل البيت (١) ٠

وبعد مقتل على بن أبى طالب ، ظل الشيعة فى عهد الخلافة الاموية يتجهون فى حركتهم اتجاههم العقائدى ، وان كان بعض المؤرخين يرى أنه على الرغم من المظهر العقائدى الذى اتخـذه التشيع فى مراحله الاولى ، الا أنه كان ينطوى على غرض سياسى محض (٢) ٠ وارتكز الشيعة فى معارضتهم للامويين ، وغيرهم من الدول التى جاءت بعدهم ، على موضوع الخلافة ، فذهبوا الى أن الرئيس الشرعى الاوحد للمسلمين هو الامـــام ، والامـــام الاول عندهم هو على ، الذى يعتبره أهل السنة والجماعة رجلا ذا فضائل جمــة ، دون أن يمسوا حقوق أسلافه فى الخلافة ٠

غير أن الشيعة وقفوا ــ دون ما سند مقطوع بــه باجماع المسلمين ــ الحق الشرعى للامامة على على وآبنائــه من بعده ، وذهبوا الى أن هــذا الحق الشرعى هو بأمر من الله سبحانه ونص

---

(١) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) : دولة الاسماعيلية فى ايران ، بحث فى تطور الدعوة الاسماعيلية الى قيام الدولة ، مع ترجمة للنص الفارسى الذى ورد عنها فى كتاب « تاريخ جهانكشاى » للمؤرخ الفارسى عطا ملك الجوينى ، ص ٣ ٠

(2) Lewis, B. : The Origins of Ismailism, P. 18.

من الملاحظ أن هذا الرأى يتجاهل جوهر الاسلام الذى لا يعرف فصلا بين الدين والدولة بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠

منه الى نبيـه · فلقد نص النبى على على وأشار اليه باسمه وعينه وقلد الامة امامته ، وأقامه ونصبه لهم علما ، وعقد لـه عليهم امرة المؤمنين ، وجعله وصيه وخليفته ووزيره فى مواطن كثيرة · وللامامة عند الشيعة أهمية عظمى فهى « من أجـل الامور بعد الرسالة ، اذ هى فرض من أجـل فرائض اللـه فاذن لا تقـوم الفرائض ولا تقبل الا بامام عدل » [١] ·

والامام عند الشيعة عامة، مكانه على رأس الجماعة الاسلامية حاكما وفقيها ، وقد وهبه الله قوى روحية فائقـة تسمو به عن مستوى البشر ،فروحه أنقى من روح الآدميين العاديين لخلوها من نزعات الشر وتحليها بالصفـات القدسية · ويرتفـع بعض غلاة الشيعة بعلى والائمـة من بعـده الى مراتب تجعلهم صورا وأشكالا يتمثل فيها الجوهر الالهى ذاته ، ويرون أن جثمانية هـذا الجوهر ليست سوى حـادث طـارئ ، ومن هؤلاء طائفة تعرف « بالعليائية » أو « العلياوية » [٢] ·

وجدير بالذكر أيضا أن الامام عند الشيعة ، فوق أنه معصوم من الخطأ بلطف من الله عـز وجـل ، يتميز بأنـه يتوارث علما باطنيا وآيات رمزية متواترة تنتقل بالوراثة فـى أسرة النبى (صلى الله عليه وسلم) من جيل الى جيل ، وهى تشمل حقائق

---

(١) النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى : فرق الشيعة ، ص ١٩ ·

(٢) الشهرستانى ، محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل – تحقيق أبو الفتح بدران ، ج ١ ، ص ٣٧٠ – ٣٧٢ ·

الدين وكافة حوادث العالم . وعلى ذلك لا يصح عندهم الفصل في المسائل الدينية الا برأى الامام ، ولا يكون **للاجماع** - وهو من المبادىء الاربعة التى أقرتها عقائد أهل السنة والجماعة - قيمة الا بمساندة الامام ومعاونته (١) .

وقد بلغ الامر أيضا الى أن بعض الطوائف الشيعية تعتقد بخلود الامام ورجعته ليملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما . وتخالفهم فى ذلك الاسماعيلية ، ذلك أن نظرية المهدى مثلها فى ذلك مثل نظرية الرجعة ، وقد ظهرت لدى الاسماعيلية فى طور مبكر عندما بشر دعاتهم بقرب رجعة الامام الغائب ، محمد بن اسماعيل ، ليملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما .

وقد سبب قيام الدولة الفاطمية فى المغرب على يد عبيد الله المهدى(٢) ، اضطرابا كبيرا فى العقائد الاسماعيلية المتعلقة برجعة الامام ، بل سبب انشقاقا فى صفوف الدعاة . والثابت أن الاسماعيلية فى جزيرة « الرى » بايران لم يعترفوا بالامام الفاطمى ، تعلقا بعقيدتهم السابقة برجعة محمد بن اسماعيل ، الا بعد عصر المعز لدين الله الخليفة الفاطمى . وبعد موت الحاكم بأمر الله الفاطمى اعتقد بعض الاسماعيلية فى رجعته (٣) .

---

(١) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٥ - ٦ .
(٢) حسن ابراهيم حسن (دكتور) وطه شرف (دكتور) : عبيد الله المهدى ، ص ٧ .
(٣) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) : المصدر السابق ، هامش ص ٦ .

ويذكر الاصفهانى فى الاغانى خطبة ألقاها أبو حمزة الخارجى - فى سنة ١٣٠ هـ - فى المدينة عن الشيعة ينهم منها أن الفرق المعادية للشيعة أقامت نقدها لهم ، فى تلك الفترة المبكرة ، على أساس أن آرائهم ومعتقداتهم فى « الامام » تمثل خروجا على أحكام الشريعة الاسلامية لاعتقادهم بأن الامام فوق مستوى البشر ، يعلم الغيب ، من اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسئولية (١) . ولقد وصل الاسماعيلية فى ايران فى نهاية الامر ، الى المجاهرة برفع التكاليف ونبذ أحكام الشريعة ، ليس فقط بمقتضى « تأويلهم » المتعسف لبعض آيات القرآن الكريم ، ولكن أيضا لان امامهم الحسن بن محمد بن بزرك أميد قد سمح لهم بذلك (٢) .

وعلى أية حال فأن مسألة الامامة ، وما يتعلق بها من عقائد، هى أعظم الاصول الايمانية فى العقائد الشيعية ، وهى التى تميز المذهب الشيعى عن غيره من المذاهب الاسلامية . وينسحب هذا بطبيعة الحال على الاسماعيلية التى تمثل احدى فرق الشيعة .

وتجدر الاشارة الى أن التشيع قد انتشر فى عهد الدولة الاموية وخاصة لدى الموالى من الفرس وغيرهم نتيجة لاستيائهم مما وقع عليهم من المظالم فى عهد تلك الدولة . ولقد أثرت نزعة

---

(١) الاصفهانى : الاغانى ، ج ٢٠ ، ص ١٠٧ .
(٢) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) : المصدر السابق ، هامش ص ٦ .

المعارضة التى ينطوى عليها التشيع فى الكيفية التى اعتنق بها كثير من الفرس لهـذا المعتقد ، اذ انضموا الى جانب أكثر فرقة تطرفا وغلوا . ومن هنـا كان انضمـام الكثيرين مـن الفرس للاسماعيلية عاملا هاما فى قيام دولة الاسماعيلية فى ايران (فى سـنة ٤٨٣ هـ) والتى زالت عـلى أيـدى المغـول (فـى سنة ٦٥٥ هـ) [1] .

وسوف نترك المجـال الان ــ بعد هذا العرض العام لنشأة الشيعة التى تفرعت منها الاسماعيلية ــ الى آغاخان ليحدثنا فى مذكراته عن مفهومه للشيعة ولنشـأة الاسماعيلية وتطورها [2] والتى كان هو بالنسبة لها بمثابة الامام الثامن والاربعين فيما بين عامى ١٨٨٥ و ١٩٥٧ ، فنجده يقول : « لقد مات النبى دون أن يعين خليفته من بعده . فأما المدرسة الشيعية فتقـول بأنه بالرغم من أن الوحى الالهى قد انقطع عند وفاة النبى فان الحاجة

---

(١) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١٠ ــ ٩٧ ــ ١٣٥ .
أنظر كتاب « المغـول فى التاريخ من جنكيزخان الى هولاكوخان » ، للدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ــ القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) من أهم البحوث التى عنيت بدراسة نشأة الشيعة الاسماعيلية وتطورهـا عقائديا وتاريخيا بالاضافة الى المصادر التى أشرنا اليها ما يلى :

— Lewis, B. : Ismaili Notes, B.S.O.A.S., London 1948.

— Ivanov, W. : The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946.
Brief Survey of the evaluation of Ismailism, London 1952.

— Stern, S.M. : The first appearance of Ismailism Tehran 1961.

الى الهداية الالهية استمرت (١) ٠ وأن هـذه لـم يكن بالامكان تركها للملايين من البشر المـائتين ، عرضـة لنـزوات العاطفة والحـاجة المادية وأهوائها ، ويوجهها الفهـم أو الفصاحة أو الرغبـة المفاجئة فى المنفعـة المادية ٠ وهذه الاخطـاء انمـا تجلت فى الفترة التى تلت مباشرة وفـاة نبينـا الكريم ، ذلك أن محمدا ٠٠٠ كانت بيده السلطة الزمنية والروحية ، وكان من شـأن الخليفـة أن يخلفه فى هاتين السلطتين معـا ٠ كان ينبغى ان يكون « أمير المؤمنين » و « امام المسلمين » (٢) ٠

« وقد بدا أن عليـا ، ابن عم النبى وزوج ابنتـه الوحيدة الباقيـة على قيـد الحياة ، فاطمة ، وأول من آمن به ، ورفيقه الشجاع فى كثير من الحروب ، والذى قال فيه النبى أنه سيكون طيلة حياته بالنسبة اليه ، كما كان هارون بالنسبة الى موسى ، أخـاه وساعده الايمن الذى سيجرى فى ذريته دم النبى نفسه ، أقول لقد بـدا أن عليـا كان مقدر لـه أن يكون ذلك الخليفة الحقيقى ، وهكذا كان يتوقع المسلمون بصورة عامـة ٠ واذن فان الشيعة كانوا وما يزالون يعتقدون بـأن القـدوة والهداية والقيادة الالهية ، بعد وفـاة النبى ، أظهـرت نفسها فـى على بوصفـه الامـام الاول للمسلمين ٠ أمـا السنيون فيعتبـرونه الخليفـة الرابع » ٠

---

(١) يلاحظ أن تفسير آغاخـان هذا يتعارض مع الآية الكريمة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينـا » (الآيـة الثالثة من سورة المائدة) حيث أودع الله الهداية كلها فى القرآن والسنة كما ورد فى الحديث الشريف (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى) ٠

(٢) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٤٠ ٠

« وهكذا فان الامام هو خليفة النبى فى صفته الدينية • انه الرجل الذى يجب أن يطاع ، والذى يقيم بين أولئك الذين له عليهم حق لطاعة الروحية • ولقد كان السنيون وما يزالون يقولون بأن هذه السلطة زمنية دنيوية فحسب ، وأنها لا تمارس الا فى الناحية السياسية • واذن فالسنيون يعتقدون بأنها تخص أى رئيس سياسى للدولة يولى بصورة مشروعة ، سواء أكان حاكما أم رئيسا لجمهورية • أما الشيعة فيقولون بأن هذه السلطة عامة وشاملة ، وأنها تعنى أيضا بالامور الروحية التى انتقلت بالحق الموروث الى خلفاء النبى من دمه » •

« ان نفوذ عائشة ، زوجة محمد الشابة المفضلة ، والعدوة الحقود لفاطمة وعلى ، أمن انتخاب والدها أبى بكر [1] • وتبع أبا بكر فى الخلافة عمر ، ثم عثمان ، ومن بعده على فى سنة ٦٥٥ ميلادية • ولكن عليا لم ينج من معارضين حتى فى ذلك الحين ، ذلك أن معاوية الاموى نازعه على الخلافة بمساعدة عائشة ، وفى عام ٦٦٠ م قتل على بيد أحد الخوارج

---

(١) يلاحظ أن تفسير آغاخان مناقض لاجماع المسلمين ذلك أن انتخاب أبى بكر فى ثقيفة بنى ساعده لم يخضع مطلقا للاعتبارات التى أشار اليها • كما أن وصفه للسيدة عائشة رضى الله عنها « بالشابة المفضلة والعدوة الحقود » غير مقبول من جمهور المسلمين لما فيه من تجن على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته رضوان الله عليهم ، ولانها من بين أمهات المؤمنين اذ يقول الله تعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » • (سورة الاحزاب : ٦) •

فى جامع الكوفة ، وكانت عندئذ المدينة الاسلامية الرئيسية (١) على الضفة اليمنى أو الغربية للفرات » (٢) .

« والشيعة أنفسهم ينقسمون الى فروع كثيرة ، بعضها يؤمن بأن هذه الزعامة الروحية ، هذه الامامة التى كانت من حق حضرة على ، انحدرت عن طريقه فى الجيل السادس الى اسماعيل (٣) الذى تحدرت منه أنا نفسى وتحدرت منه امامتى ، وبعضها يؤمن بأن الامامة مصدرها زيد ، حفيد الامام الحسين ، حفيد الرسول الذى أستشهد فى كربلاء ، فى حين أن بعضها الآخر ، بما فيها أكثرية الشعب الفارسى الساحقة ، والشيعة الهنود ، يؤمنون بأن الامامة يتولاها الان امام حى ، هو الثانى عشر من بعد على والذى لم يمت قط ، والذى هو فى قيد الحياة وعاش ألفا وثلثمائة سنة بيننا ، لا يرى ولكنه يرى كل شىء ، والذين يقرون هذا المعتقد يعرفون بالاثنى عشرية . والاسماعيليون أنفسهم ينقسمون الى فريقين ، ويرجعون الى الفترة التى كان فيها أسلافى يتولون خلافة مصر الفاطمية (٤) .

---

(١) أخذت البيعة لعلى فى المدينة المنورة التى كانت عاصمة الدولة الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين جميعا .

(٢) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٣) أنظر كتاب « برنارد لويس » عن (أصول الاسماعيلية) الذى ترجمه الى العربية أحمد جلو وجاسم الرجب ، وقدم له الدكتور عبد العزيز الدورى .

— Lewis, B. : The origins of Ismailism, p. 18.

(٤) أنظر كتاب « تاريخ الدولة الفاطمية » للدكتور حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٨ .

فأما الفريق الاول فيقول بأن جدى نزار [1] هو الخليفة الشرعى للخليفة المصرى المستنصر [2] ، فى حين يقول الفريق الآخر بأن الامام هو ابنه الاخر الخليفة المستعلى » ٠

« ومنذ ذلك الحين وقصة الاسماعيليين أسلافى ، وأتباعهم ، تنتقل عبر تعقيدات التاريخ الاسلامى طوال العديد من القرون ٠ ويقال أن جيبون قد اعترف بعجزه عن جلاء غوامض السلالة الآسيوية ، غير أن هناك بهجة لا نهاية لها فى دراسة الشخصيات والاحداث التى نسجت عبر العصور ، هذه الدارسة التى تربطنا فى هذا الزمن الحاضر بجميع هذه الامجاد والمآسى والألغاز الغابرة ٠ ان معتقد آبائى وأجدادى ، الذى كثيرا ما اضطهد وظلم ، لم يهدم قط ، فهو أحيانا مزدهر شأنه فى عهد الخلفاء الفاطميين ، وأحيانا غامض لا يحظى ألا بالقليل من الفهم » (٣) ٠

ويستطرد آغاخان فى مذكراته موضحا انتقال أجداده — بعد انهيار الخلافة الفاطمية فى مصر — الى سوريا ولبنان وارتحالهم منها شرقا الى جبال ايران التى أصبحت مركزا لانتشارهم فيما بعد ، والتى هاجر منها جده الى الهند حيث استقر هو وأسرته ومن هاجر معه من اتباعه فى مدينة بومباى على نحو ما سوف نوضحه فيما بعد ، فنجده

---

(١) أنظر كتاب (دولة النزارية أجداد آغاخان كما أسسها الحسن بن صباح زعيم الاسماعيلية فى فارس) للدكتور طه شرف — القاهرة ١٩٥٠ ٠

(٢) أنظر كتاب (المستنصر بالله الفاطمى) للدكتور عبد المنعم ماجد — القاهرة ١٩٦١ ٠

(٣) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٤٢ ٠

يقول : « بعد ضياع الخلافة الفاطمية فى مصر انتقل أجدادى أول ما انتقلوا الى مرتفعات سوريا ولبنـــان ، ومن هناك ارتحلوا شرقا الى جبـــال ايـــران حيث أقاموا معقلا لهم فى ذروة ألمــوت الشامخة من جبـــال البرز ، وهى السلسلة التى تفصل بين سائر ايـــران والمقاطات الكائنة الى الجنوب من بحـــر قزوين مباشرة . وتتعاون الأسطورة والتـــاريخ هنـــا على نســـج حكاية « شـــيخ الجبـــل » الغريبة ، والاسياد العظـــام الوراثيين لطغمة القتلة الذين احتفظوا بألموت قرابة مئتى عـــام . فى هـــذه الفتـــرة اشتهرت العقيدة الاسماعيلية فى سوريا والعـــراق والجزيـــرة العربيـــة نفسها ، وفـــى أواسط آســـيا ، فلقد كانت سمرقند وبخارى وغيرها من المـــدن مراكز عظيمة للعلوم ومذاهب الفكر الاسلامية . وبعد قليل ، أى فى القـــرن الثالث عشر للميلاد ، نفذت الدعايـــة الاسماعيلية الدينية الى ما يعرف بسينج يانج وتركستان الصينية ، وقـــد جـــاء وقت فـــى القرنـــين الثالث والرابع عشر كانت فيـــه العقيدة الاسماعيلية المدرسة الفكرية الرئيسية والاكثر نفـــوذا . غير أنـــه بانتصـــار أسرة صفوى فى ايران (فى مقاطعتها الشمالية الغربية ، أذربيجان ، بصورة خاصـــة) وطدت الاثنا عشرية سلطتها ، واحتفظ من بقى من الاسماعيليين بثباتهـــم وصمودهـــم عـــلى عقيدتهـــم ولا يـــزال الكثيرون منهم فى أنحاء متعـــددة من آسيا وأفريقيا الشمالية وايـــران » (١) .

---

(١) مذكرات أغاخـــان : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

ثم يشير آغاخان في مذكراته الى المراكز التاريخية للمذهب الاسماعيلي بأنها منتشرة حاليا في جميع أنحاء العالم الاسلامي في أماكن متفرقة فيقول : « ان المراكز التاريخية للمذهب الاسماعيلي منتشرة في الحق في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ففي مناطق سوريا الجبلية ، مثلا ، نجد الدروز في معقلهم جبل الدروز • انهم في الحقيقة اسماعيليون لم يتبعوا أصلا أفراد عائلتي في هجرتهم من مصر بل حافظوا على ذكرى جدي الحاكم بأمر الله ، الخليفة الفاطمي في مصر ، وأقاموا معتقداتهم على أسس شبيهة الى حد ما بأسس الاسماعيليين السوريين الذين هم أتباعي في الوقت الحاضر • وهناك « جزر » اسماعيلية مماثلة في جنوبي مصر [1] ، وفي اليمن ، وفي العراق طبعا • وأما مراكز الاسماعيليين في ايران فهي حول « محلات » ، وغربا نحو همذان والى الجنوب من طهران ، كما أن هناك مراكز أخرى في خراسان الى الشمال والى الشرق حول يزد ، وحول كرمان ، والى الجنوب على طول شاطئ الخليج (الفارسي) من بندر عباس الى حدود باكستان والسند ، والى داخلية بلوخستان ، وهناك أيضا مراكز أخرى في أفغانستان ، في كابول نفسها ، والعديد منها في روسيا وأواسط آسيا ، حول يارقند وكشغر وفي كثير من القرى والمستعمرات في سينج يانغ • وفي الهند اعتنقت بعض القبائل الهندوسية العقيدة الاسماعيلية على يدي مبشرين أرسلهم

---

(١) لاحظ الصلة بين ما أشار اليه آغاخان وبين وصيته بأن يدفن بعد وفاته في أسوان بصعيد مصر •

جـدى اسلام شـاه وسموا بالخوجـا ، وحدث مثـل هذا التحول فى بورما فى القرن التاسع عشر » (١) .

وهكذا أوضـح آغاخـان فى مذكراته مفهومـه للشيعة ، وللاسماعيلية التى انبثقت عنها ، والتى كان هو بالنسبة لهـا بمثابة الامام الثامن والاربعين فيما بين عامى ١٨٨٥ و ١٩٥٧ ، كمـا أوضح حركـة الهجـرة التى قـام بهـا الاسماعيليون فى أعقاب انهيـار الخلافة الفاطمية فى مصر ، والتى تحددت معهـا المراكز التاريخيـة للمذهب الاسماعيلى ، والمنتشرة حاليـا فى فى أماكن متفرقة من العالم الاسلامى . وسيكون لانتشار الطائفة الاسماعيلية فى المراكز التاريخية المختلفة فـى أرجـاء العالم الاسلامى على النحـو الذى أشار اليه آغاخـان فى مذكراته ، أكبر الأثر فى تحديد مواقفـة وتصرفاته طـوال حيـاته ازاء الامبراطورية البريطانية ، حيث تقع معظم هـذه المراكز ضمن مناطق نفوذهـا ، وذلك ضمانا لسلامة أتباعـه وحفاظـا على مصالحهم من جهة ، وتأمينا لاستمرار اتصالـه بهـم بما يدعم ارتباطهم الروحى به من جهة أخرى .

بداية علاقة أسرة آغاخـان بالبريطانيين فى الهند

بعد أن تتبعنـا الخلفية التاريخية لمركز آغاخـان العقائدى كامام للطائفة الاسماعيلية ، وهو المركز الذى انعكس على جميع تصرفاته وأعماله فى مراحل حياته المختلفة ، كما حـدد موقفه ازاء الامبراطورية البريطانية التى تنتشر فـى مناطق نفوذهـا

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

معظم مراكز أتباعه الاسماعيليين ومناطق تجمعاتهم . فاننا سنحاول التعرف على بداية العلاقة التى نشأت بين أسرة آغاخان والبريطانيين فى الهند ، تلك العلاقة التى ورثها ومارسها وحرص عليها طوال حياته للاعتبارات التى أشرنا اليها ، كما أنها انعكست أيضا على جميع تصرفاته وأعماله ، ومن بينها مهمته فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى .

ولقد تبينا أن العلاقة بين أسرة آغاخان والبريطانيين فى الهند قد بدأت منذ مطلع العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادى . عندما قدم جده (حسن على شاه) المعروف (بآغاخان الاول) مساعدات كبيرة للبريطانيين فى توسعهم العسكرى والامبراطورى شمالا وغربا من البنجاب ، كما قام هو وفرسانه بمساعدة البريطانيين فى المراحل الاخيرة من الحرب الافغانية الاولى فى عامى ١٨٤١ و ١٨٤٢ ، فضلا عن قيامه بتقديم مساعدات أخرى للبريطانيين أثناء غزوهم لبلاد السند فى عامى ١٨٤٣ و ١٨٤٤ ، مما جعل الحكومة البريطانية تقدم لجد آغاخان حينذاك « معاش تقاعد » تقديرا لمساعداته .

وقد أشار آغاخان نفسه فى مذكراته الى بداية علاقة جده (حسن على شاه) المعروف (بآغاخان الاول) بالبريطانيين . فأوضح أن جده هذا كان الزعيم الوراثى لمدينة (كرمان) الكبيرة فى ايران ، وصهرا للملك الفارسى القوى (فتح على شاه) ، كما كان يملك اقطاعات واسعة شاسعة فى ايران ، بالاضافة الى امامته للاسماعيليين الذين

كانت لهم دولة فى ايران (قامت فى سنة ٤٨٣ هـ • وانتهت على أيدى المغول فى سنة ٦٥٥ هـ) [١] • وظلت امامة الاسماعيليين تتوارث حتى انتقلت الى جده (حسن على شاه) • وفى سنة ١٨٣٨ نشب نزاع بينه وبين الامبراطور (محمد شاه) الذى كان يحكم ايران حينذاك ، مما اضطره — بعد حروب استمرت بين عامى ١٨٣٨ و ١٨٣٩ وجزء من عام ١٨٤٠ — الى الهرب فنجا بصعوبة ، وكان يصحبه عدد من الفرسان عبروا معه صحارى بلوخستان الى بلاد السند •

وفى بلاد السند قدم آغاخان الاول للبريطانيين مساعدات كبيرة ساعدتهم فى توسعهم العسكرى والامبراطورى شمالا وغربا من البنجاب • وفى المراحل الاخيرة من الحرب الافغانية الاولى ، فى عامى ١٨٤١ و ١٨٤٢ ، قام آغاخان الاول وفرسانه بمساعدة (الجنرال نوت) فى (كارداهار) و (الجنرال انجلند) عندما تقدم من السند للانضمام الى قوات (الجنرال نوت) • ونتيجة لتلك المساعدات التى قدمها آغاخان الاول للبريطانيين فضلا عن الخدمات العديدة التى قدمها بعد ذلك (لسير تشالز نابير) فى غزوه لبلاد السند فى عامى ١٨٤٣ و ١٨٤٤ ، فقد منحته الحكومة البريطانية « معاش تقاعد » [٢] كان من شأنه أن يوثق علاقته ببريطانيا منذ ذلك الحين •

---

(١) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١٠ ، ٩٧ ، ١٣٥ •

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٤٤ — ٤٥ •

كما أوضح آغاخان فى مذكراته الظروف التى أدت الى استقرار جده فى بومباى فى ظل الادارة البريطانية فى منتصف العقد الخامس من القرن التاسع عشر . ففى عام ١٨٤٤ وصل آغاخان الاول الى بومباى ، وهناك استقبله جميع السكان فى تلك المدينة وما حولها استقبالا وديا كما عبروا له عن ولائهم الروحى . غير أن الامبراطور « محمد شاه »، الذى كان يحكم ايران حينذاك والذى سبق أن تنازع معه آغاخان الاول، احتج لدى الحكومة البريطانية على وجوده فى ميناء بومباى القريب للغاية من ايران . مما اضطر البريطانيين الى تحديد اقامة (آغاخان الاول) فى كلكتا فى سنة ١٨٤٦ لمدة عامين ، عاد بعدها الى بومباى بعد انتهاء عهد الامبراطور (محمد شاه) فى ايران فى سنة ١٨٤٨ . وقد أقام (آغاخان الاول) فى بومباى فى سلام تام ، وأنشأ (درخانته) أى مقره العام . وقد أشار آغاخان فى مذكراته الى أن استقرار جده فى بومباى « لم يكن هذا قرارا شخصيا عاقلا مفرحا فحسب ، بل لقد كان له تأثير رائع فى الحياة الدينية والاجتماعية للعالم الاسماعيلى بأجمعه . لقد بدا وكأن ذلك العبء الثقيل من الاضطهاد والعدوان التعصبى ، الذى كان عليهم أن يتحملوه تلك السنين الطوال ، قد رفع عن كواهلهم . وشرعت الوفود تأتى الى بومباى من بلدان قصية مثل كاشغر وبخارى وجميع أنحاء ايران وسوريا واليمن والشاطىء الافريقى والاراضى الداخلية التى كانت قليلة السكان حينذاك » [1] .

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

وهكذا يتضح لنـا أن الطائفـة الاسماعيلية التى يعتبـر آغاخـان اماما لهـا قد استقر مقرها العـام فى بومباى التابعة لحكومة الهنـد البريطانية منذ منتصف القـرن التاسع عشر ، وبدأأتباع هذه الطائفة منذ ذلك الحـين يتوافدون بين الحـين والآخر الى بومبـاى من مراكز تجماتهم فى العالم • ولم تجـد السلطات البريطانية فى الهنـد غضاضـة فى ذلك ، تقديرا منها للخدمـات التـى سبق أن قدمهـا (آغاخـان الاول) للقـوات البريطانية ـ والتى سبق أن أشرنا اليها ـ وتطلعـا من جانبها للاستفادة من اتبـاع هـذه الطائفـة فى المستقبل • وكان من الطبيعى أن يحرص أئمـة الطائفة الاسماعيلية على علاقتهـم الطيبة مع السلطات البريطانية بما يؤمن اقامة أتباعهم ويسهل عمليات قدومهم ورحيلهم ومصالحهم المختلفة •

وفى مدينة بومبـاى ـ التابعة للادارة البريطانية ـ أمضى آغاخـان عهـد صباه كله حتى أصبح شابا يافعا [١] • ويصف آغاخان فى مذكراته مدينة بومباى التى رآها فى صباه وشبابه فقال أنها كانت تختلف اختلافا كبيرا من نواح لا تحصى عن المدينة الصناعية الهائلة ، المتلألئة ، التجاريـة والصناعية ، التى هى بومبـاى اليوم • صحيح أن بومباى كانت ميناء كبيرا مزدهرا ، وكانت عاصمة لرئاسة بومباى "Bombay Presidency" [٢] كما كانت

---

(١) سبق أن أشرنا فى المقدمة الى أن آغاخان ولد فى كراتشى فى اليوم الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٨٧٧ ولكنه أمضى صباه وشبابه فى بومباى •

(٢) كانت (لرئاسة بومباى) صلاحيات رعاية المصالح البريطانية فى بغداد والخليج « الفارسى » وعـدن ، كما كانت تشرف على البحرية فى المحيط الهندى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر •

احدى المقاطعات الاولى فى الهند البريطانية ، حيث وجد بهـا مقـر الحاكم وادارته ، فضـلا عن جيش لا بأس بـه · ولكن الفرق — كما يقول آغاخان — بين بومباى حينذاك وبومباى اليوم كائن بالطبع فى كلمتين هما (الهند البريطانية) · فعلى الرغم من أن عاصمة (الراج البريطانى) كانت تقع فى القرن الماضى على بعد مئات من الاميال الى الشمال الشرقى من كلكتـا — وفى الصيف فى مدينة سـملا الجبلية — فان بومباى كانت تتميـز (بتراث طويل وثيق من الترابط مع بريطانيا) [1] ·

وقد تطور مركز الطائفة الاسماعيلية فى بومبـاى منـذ منتصف القـرن التـاسع عشر الميـلادى حيث كان (آغاخـان الاول) قد اصطحب معه فى هجرته من ايران الى بومبـاى أكثر من ألف شخص من أقاربه ومواليه ومعارفه ومؤيديه الشخصيين والسياسيين · وكان هؤلاء يتراوحون بين أوضع الخـدم وبين الامـير الذى كان من سلالة نادر شـاه ، والذى انحاز الى جانب (آغاخـان الاول) فى نزاعاته ومحنه فـى ايـران واختار أن ينفى نفسه معـه عند هجرته من هناك الى بومبـاى · غـير أن بومباى لم تعد منفـى (لآغاخـان الاول) وأسرته ، بل أنهـا أصبحت مركز استقرار لطائفته التى كان هو على رأسها الزعيم المكـرم · وقد أصدرت محكمة بومباى العليـا — بعد وفاته — حكما ثبت له حقوقه وألقابه رسـميا فى سنة ١٨٨٦ · وكان

=

Marston, T. E. : Britain's Imparial Role in the Red Sea Area, 1800 - 1878, p. XII.

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٥٦ — ٥٧ ·

قصر (آغاخــان الاول) ومقره الرئيسى يطلق عليه (آغاهول) فى بومباى • كما كانت له أيضا قصور أخرى فى بومباى وبونا كان يسكن فيها أفراد عائلته وموظفوه وأتباعه وخدمه •

وعلى مــر الايام تزوج أتباعه الفرس من زوجات هنديات كانت كثيرات منهن من عائلات اسماعيلية • وبعد وفاة (آغاخان الاول) دخل هؤلاء وأولادهم فى رعاية آغاخــان وحمايته • وبعد وفاة والده أيضا تحول هؤلاء جميعا الى رعاية آغاخــان الشخصية منذ عام ١٨٨٥ • وقد شكل ذلك عبئا ثقيلا على كاهل آغاخــان مما جعله يشير الى ذلك فى مذكراته فيقول : « عندما توفى جدى جرى تقسيم الاملاك بصورة تقريبية غــير رسمية ، ومن دون الزعامة والمسئولية طبعا ، بين والــدى ــ الــذى كان وريثــه الشرعى الوحيد فى الامامة ــ وبين اعمامى وعماتى • وكنت أنا الوريث الوحيد لوالدى ومنذ طفولتى الاولى دربونى على أن أعى هذا الذى سأرثه ، وأن أعى أيضــا عظمة مسؤلياته وجسامتها • ولقد كانت سنواتى الاولى عسيرة من نواح متعددة ، بل خشنة قاسية • كنت الوريث الحى الوحيد ، ذلك أن شقيقى كانا قد توفيا فى طفولتهما ، كما توفى أخــواى فى شبابهما • وكان معروفا عنى أنى كنت رقيقا نحيفا ، وقد تنبــأ عدد من الاطباء الانكليز ، باجماع كئيب ، أنــى لن أعيش حتــى أبلغ الخامسة والعشرين » (١) •

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ٥٨ ــ ٥٩ •

بداية علاقة آغاخــان بالبريطانيين

بعد تنصيبــه امامــا للطائفــة الاسماعيلية

هكذا أمضى آغاخــان طفولتــه فــى بومبــاى حتــى تــم تنصيبه اماما للطائفــة الاسماعيلية فــى سنة ١٨٨٥ وهو لم يتجاوز بعد الثامنة من عمــره وذلك فى احتفــال مهيب ٠ ويشير آغاخــان فى مذكراته الى اول عمــل سياسى قام به فى مومباى وجعله يحظى بشكر وتقدير الادارة البريطانية فى المدينة ، مما يوضح مدى الصلة التى ستنمو تدريجيا بين آغاخان والبريطانيين ٠ فقد حدث بعد تنصيبه ببضع سنوات أن مارس آغاخــان نفوذه وسلطته فى أمر على جانب عظيم من الاهمية فى حياة بومباى ، وهو أمر يتعلق بالسلامة والامن على حــد التعبيــر الشائع فى أيامنا هذه ٠ ففى أوائل العقــد العاشر من القرن الماضى اندلعت فى بومبــاى فتنــة طائفية داميــة ، بــين المسلمين والهندوس ٠ وقد رأى آغاخان من واجبه حماية لطائفته الاسماعيلية أن يوجه أوامره الصارمة الى جميع أتبــاعه بأن يتجنبوا الاشــتراك فى الاضطرابات ٠ ولم يكتف آغاخــان بذلك ، بل أنه ســاعد على اطفاء جذوة الغضب واعــادة السلام فى بومبــاى بين المسلمين والهندوس ٠ وقد حــاز عمله هذا على شــكر وتقديــر الحاكم ومفوض الشرطة البريطانيين فى بومباى ، كما حظى آغاخــان رغم صغر سنه حينــذاك بتقدير « الزعمــاء السياسيين لجميع الجاليات » (١) ٠

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ٧٢ ٠

كان هذا العمل السياسى الاول الذى قام به آغاخـان بنجاح فى بومبـاى وحظـى من خلالـه بتقديـر البريطانيين وزعماء الجاليات المقيمة هناك ، بداية لسلسلة من الاعمال التى ستتعاقب فى حياته والتى سينال من خلالها مزيـدا من تقديـر السلطات البريطانية . وقد أشار آغاخـان فى مذكراته الى أنه كان يتطلع لتحقيق قدر أكبر من التعاون مع البريطانيين يفوق الدور الذى قام به جـده ووالده من قبل بقوله : « ان جـدى ، اذ كان يعى ويدرك أن القسم الاعظم من حياتـه المغامـرة قد انتهـى عندما استوطن بومباى ، لم يشترك فى السياسة الهندية . أما والدى فقد قبل ، فى أيام حكم سير جايس فرغوسن ، مقعدا فى مجلس بومبـاى التشريعى . أما أنا فقد قدر لنضجى ومصالحى ومثلى العليـا السياسية أن تذهب بى الى أبعد من ذلك . ولكن العالم الذى كنت أنمو فيه فى أواخر العقـد التاسع وأوائل العقـد العاشر من القرن المـاضى لم يكن خاليـا من مشاكله وتعقداته السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة به » [1] . وبذلك يبرر آغاخـان موقفه فى الذهاب الى مدى أبعد فى مجال التعاون مع البريطانيين عما سبق أن ذهب اليه جـده ووالده ، رغم أنه كان يقدر التعقيدات السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية التى اكتنف بها العقد التاسع وبداية العقد العاشر من القرن التاسع عشر الميـلادى ، مع بلوغ الامبراطورية ذروة

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٧٢ ــ ٧٣ .

توسعها فى المحيط الهندى [1] ، وهو الوقت الذى قدر له فيه أن يبدأ تجربته الشخصية ٠

ومن الواضح أن السلطات البريطانية فى الهند كانت تحرص على استقطاب ولاء آغاخان منذ صباه ، وهى سياسة اتبعها البريطانيون فى كافة المناطق التى استعمروها مع الامراء والحكام المحليين وأبنائهم حتى أنشأوا لهم مدارس خاصة يمكنهم أن يبثوا من خلالها دعاياتهم وثقافتهم وتمهد السبيل لاستقطاب هؤلاء الامراء والحكام المحليين وأبنائهم الى جانبهم [1] ٠ ولهذا يشير آغاخان فى مذكراته التى يبدى فيها تقديره لرجال العصر الفيكتورى البريطانيين الذين تعامل معهم فى بومباى حينذاك بقوله : « كان من المحتم أن تهتم الحكومة البريطانية وممثلوها فى بومباى أوثق الاهتمام برفاهيتى وتنشئتى ، فقد صادف صباى ما كان دون شك ريعان الابوية البريطانية وأوجها فى الهند ٠ لقد بدت الحكومة البريطانية بصورة واضحة صريحة آمنة ثابتة لا تتزعزع ، وكان ممثلوها وموظفوها ـ الذين كانوا فى معظمهم رجالا متنورين أحرارا تتفق عقولهم مع مزاج العصر الفيكتورى السامى الذى نضجوا فيه ـ رصينين واثقين من أنفسهم ٠ وكانت تصرفاتهم وقراراتهم تصدر عن قوة عقلية وروحية قدر لخلفائهم من بعدهم أن يفقدوها » [1] ٠

---

(١) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ ، ص ٦٣٧ ٠

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٧٤ ٠

ويستطرد آغاخان في تعبيره عن تقديره لرجال العصر الفيكتورى البريطانيين الذين تعامل معهم فى بومباى ، والذين كانت تربطه بهم ، بل وبقريناتهم ، علاقات ودية ، زاد فى توثيقها أسلوبهم فى التعامل • ذلك الاسلوب الذى اختلف كثيرا عن أسلوب من خلفوهم ممن تميزوا بالنظرة الضيقة الاستعمارية • وواضح أن آغاخان يبرر بذلك القناعة التى تولدت لديه بالارتباط بالبريطانيين فى ذلك الوقت المبكر من حياته • ولهذا فانه يقول فى مذكراته : « كانت العلاقات بين البريطانيين والهنود سهلة يسيرة عموما ، ودية لا يشوبها أيما توتر • وكان حاكم بومباى وقتئذ ، لورد راى ، ليبراليا غلا دستونيا ، ذا مبادىء سامية ، محسنا أنيسا ، وكانت تعاونه فى مهامه زوجه جميلة موهوبة • ولم يكن قائد جيش بومباى سوى صاحب السمو الملكى دوق أوف كونوت ، أصغر أبناء الملكة فيكتوريا الذى اتخذ الجندية طريقه فى الحياة ، ومنذ البداءة كان من حسن حظى أن الدوق والدوقة أوف كونوت قد اهتما بى اهتماما موصولا ودودا وثيقا • كانا يحضران لتناول الشاى فى بيتنا عدة مرات فى السنة ، وكثيرا ما دعوانى ، على صغر سنى ، الى منزلهما حيث كانا يدللانى ويقدمان الى من الحلوى والشكولاته لربما بأكثر مما كان صالحا لى • هذه الزيارات جيئة وذهابا كانت أياما سعيدة لا تنسى بالنسبة الى • ففى بونا وماها بلشوار كان الدوق جارا قريبا جدا منا ، وكنا فى كل يوم ، وفى أحيان كثيرة مرات عدة فى اليوم ، نلقاه راكبا جواده ، وكان الدوق عندئذ يتوقف ويتحدث الى • وهكذا فقد نشأت بطريقة ما قريبا من العائلة البريطانية المالكة ، وفى السنوات التى تلت ، عندما لقيت الملكة

فيكتوريا قالت لى فورا ، كما أذكر ، أنها كانت قد سمعت كل شىء عنى وعن بيتى من نجلهــا • كذلك كانت عائلتى تتبــادل زيارات مشابهة غير رسمية مع عائلة الحاكم ، وفى أيام صباى فى عهد راى كثيرا ما أخذت لتناول الشاى فى منزل الحاكم • لم يكن فى هذه الصلات فى هذه الفترة أى شعور بالتوتر ، كما لم يكن فيها أية رجعية أو تنازل • كانت صلات قلبية مخلصة تختلف اختلافا كبيرا عن الصلات والعلاقات التى تطورت ونمت فيما تلا من السنين • فالنظرة الضيقة ـ الاستعمارية ـ التى صاحبت اسم كبلنج وبعضا من ملاحظاته التعيسة ، من مثل قوله : الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ، لم تكن قد انبعثت بعد • ولو أن الحياة الاجتماعية والصلات بين البريطانيين والهنود استمرت على ما كانت عليه فى العقــد التاسع من القرن الماضى ، اذن لشككت فى أن المرارة السياسية كان يتأتى لها أن تنمو وتتطور الى الحــد الذى نمت فيــه وتطورت » [1] •

هكذا برر آغاخــان القناعة التى تولدت لديــه بالارتباط بالبريطانيين فى ذلك الوقت المبكــر من حياته نتيجــة للاسلوب الذى لمسه بنفسه من رجــال العصر الفيكتــورى البريطانيين ، موضحا أن هذه الفترة كما يقول هو نفسه فى مذكراته كانت « فترة سعيدة تعمدت أن أظهر جوهــا بشىء من التفصيل ، ذلك أنهــا نسيت بالكلية فيما تلاها من السنوات القاسية التى شابها التوتر • والذى يبدو لى أن التبدل قد بدأ فى عام ١٨٩٠ ، فقد

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ٧٥ •

عاد الدوق كونوت الى وطنه فضاع بذلك نفوذه العظيم الخير فى كل الامور الاجتماعية • وقد تلاه فى منصبه كقائد للجيش الجنرال سير جورج غريفس ، كذلك تقاعد اللورد راى ، وخلفه اللورد هاريس ، وكان لاعبا شهيرا من لاعبى الكريكيت ، ولكنه كان أيضا محافظا من المدرسة الاستعمارية الجديدة الناشئة • وقد أصبحت علاقتنا ببيت الحكومة ، ولو أنها ظلت ودية للغاية ، أكثر رسمية وكلفة • ان لحن العلاقات كله قد خشن ، فلم يعد الناس من جميع الجاليات يحضرون الحفلات والاستقبالات ، ولم يكن يقام فى بيت الحكومة سوى حفلات رسمية فى الحديقة ، بدأ يشجب فيها الاختلاط الاجتماعى • وأخذ الاوربيون يقللون من دعواتهم للهنود الى منازلهم ، وسريعا أصبح من النادر أن يجتمع أناس من مختلفى الاجناس حول مائدة غداء أو عشاء • حتى فى المناسبات التى كان فيها الانفصال التام مستحيلا ، كسباقات الخيل مثلا ، بدأت الفروق اللونية تظهر نفسها » [١] •

ثم يبدى آغاخان فى مذكراته تعجبه البالغ مما حدث للرجل الانجليزى فى الهند من التغير فى نظرته للأسيويين فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فيقول :

« ان ما حدث للرجل الانكليزى كان بالنسبة الى وطيلة حياتى كلها مصدرا للعجب • فقد بدا فجأة أن مقامه كعضو من جنس امبراطورى حاكم لابد من أن يفقد لو أنه تقبل أولئك الذين يختلفون عنه لونا أقرانا له جوهريا • ان عقبة اللون لم

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٧٧ •

تعـد تعتبـر فارقـا جسمانيا بل أضحت تعتبـر فارقا عقليا وروحيا • وما دام الذين تبنوا وقلدوا طريقة الحيـاة الاوربية من الهنـود قليلين ، فقد كـان من الممكن أن يشعر موظف فى الحكومـة البريطانيـة بقليل من الخطـر على منصبه • ولكن العنصرية ـ من الجانبين ـ كانت تمشـى الان بخطوات مـارد ، وسريعا مـا لم تعـد مجـرد علامـة بين الحـكام البريطانيين والمحكومين الهنود ••• بل فشت النظريـة الوبيلة القائلة بأن الآسيويين جميعا هم جنس من الدرجة الثانيـة ، وأن البيض يملكون تفرقا جوهريا غير قابل لأيما تحد على الاطلاق » [1] •

ويختتم آغاخـان حديثة فى مذكراته عن الجو الذى نشأت فيه علاقته بالبريطانيين فى بومباى ، والذى قضى فيـه القسم الاخير من صبـاه ، حيث كانت أفكار التفرقـة العنصرية لـدى البريطانيين فى العقد الاخـير من القرن التاسع عشر الميـلادى تتضخم ، وتتفاقم معها العلاقات بينهم وبين الهنود • ثم يقارن آغاخـان بين ما حدث حينذاك وما طرأ على مركز البريطانيين فى الهند وقت كتابته لمذكراته فى العقد السادس من القرن العشرين فيقول : « ان أفكارا كهذه (يقصد أفكـار التفرقة العنصرية) لتبدو فى الحق غريبة الان فى العقد السادس [2] ، ونحن نرى أن الحكم البريطانى فى الهند ينحل ويتـلاشى كما يتـلاشى ضباب الصباح الباكر أمام نور الشمس الساطع • ولكن هذا هو الجو الذى قضيت فيه القسم الاخير من صبـاى ، والذى كان يتميز

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٧٩ •

(٢) يقصد اغاخان العقد السادس من القرن العشرين •

بادراك الاختلاف المتزايد وسوء التفاهم والعداء الناميين » (١) .
بين الهنود والبريطانيين ٠

وعلى أية حال ، فقد تطورت علاقة آغاخان بالبريطانيين في مرحلة شبابه ورجولته في منتصف العقد الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى ٠ تلك المرحلة التى حدد آغاخان لنفسه في بدايتها المنهج الذى سار عليه آثناءها بعد أن تبدت لحياته قنوات للعمل اقتضاها منصبه الدينى الموروث وطموحاته الشخصية ٠ ويشير آغاخان في مذكراته الى هذه المرحلة بقوله : « باقتراب رجولتى كونت حياتى لنفسها مجارى خاصة بها ، فقد أخذت المهام والقرارات التى يقتضيها منصبى الموروث تلقى على بصورة متزايدة ٠ لم أخضع في الحق الى أى نوع من الوصاية ، بالمعنى المقبول ، وازدادت قدرتى على اتخاذ القرارات ٠٠٠ وكنت كلما أمعنت توغلا في عقدى الثانى ازدادت مشاغلى ٠ كنت واعيا الى درجة كبيرة أن على مسؤلية مزدوجة ولربما فرصة مزدوجة : أولا ، في الهند بوصفى زعيما لطائفة ذات نفوذ ضمن الجالية الاسلامية الكبيرة في عصر كانت فيه المطامح السياسية تتحرك ، وثانيا بوصفى زعيما لجالية دولية واسعة الانتشار ، ورئيسا روحيا امتدت سلطته الى صميم بلدان وقلوب شعوب عديدة ٠ لم يكن باستطاعتى قط أن أكون قوميا هنديا ، ولو أنى منذ عام ١٨٩٢ ، بتأثير أناس طيبين أمثال سير فيروز شاه مهتا ، ومستر بدر الدين طيبجى ، التزمت موقف

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٨١ ٠

القومية الهندية المعتدلة فى ذلك الحين • كانت مهمتى الوحيدة ، فى عالم كانت أمارات النزاع الاولى تتبدى فيه ، مهمة دولية بالتأكيد • ذلك أن أتباعى كانوا منتشرين فى بورما وآسيا الجنوبية الشرقية ، وفى أعداد أكبر جدا على طول الساحل الشرقى من مومباسا الى أيست لندن وفى داخل أفريقيا الجنوبية ، وفى سوريا وفارس وأفغانستان وتركمستان الصينية والاراضى الروسية فى قلب آسيا الوسطى ، والمقاطعات التركية بين النهرين التى عرفت فيما بعد بالعراق• وكان بيتى بالضرورة ملتقى للافكار والآراء والآمال والمخاوف والمطامح من جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وكانت نصيحتى الاولى ، بل قل أمرى الاول ، لاتباعى الذين كانوا مواطنين فى بلدان متعددة أن الولاء الذى هم مدينون به لبيتى وشخصى هو ولاء روحى غير زمنى ، وأن ولاءهم الزمنى مرتهن للدولة التى هم مواطنون فيها ، وأن جزءا لا يتجزأ من واجبهم أن يكونوا مواطنين صالحين • ان كل عملى ، سواء فى السياسة أو الديبلوماسية طيلة حياتى ، قد سار فى هدى هذه المسؤولية المزدوجة التى عهد بها الى منذ أيامى الاولى » [1] •

وهكذا حدد آغاخان مفهومه لمسئوليته التى توسعت دائرتها كلما أمعن توغلا فى العقد الثانى من حياته ، والتى كانت مسئولية مزدوجة تجمع بين مركزه فى الهند كزعيم لطائفة ذات نفوذ ضمن الجالية الاسلامية الكبيرة من جهة ، وبين مركزه

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٨٥ •

كزعيم روحى لجالية دولية واسعة الانتشار . وقد حال ذلك بينه وبين التقوقع فى اطــار القومية الهندية ، التى التزم فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر بجانبها المعتدل ، دون أن يشغله ذلك عن وضعه الدولى الذى انطلق به الى آفاق جديدة .

وقد تبين آغاخان مدى تأثيره العميق على أتباعه الاسماعيليين. بل وعلى كثيرين من غيرهم من خلال حادثة كانت بالنسبة له معركة الانسان الاولى فى حياته ، جعلته يتفهــم الكثــير عن نفسه وعن الناس . ذلك أنه فى أواخر عام ١٨٩٧ اجتاح وباء الطاعــون الدملى الهند ، وكان آخذا فى الانتشار دون توقف حتى وصل الى بومباى . وقد اعترى السلطات الطبيــة هنــاك الوجل لضخامة الكارثة التى حلت بالمدينة وتعقدها ، خاصة وأنه لم يكن يتوفر حينذاك العــلاج اللازم لــدى هــذه السلطات . بل ان الوقاية الوحيدة التى استطاعت تقديمها لــم تزد عن النصح باتبــاع أساليب الصحة العامة التى لم تكن تلائم تلك المشكلة الدقيقة . وكان على رئاسة بومباى مسؤلية توفير العلاج اللازم ، خاصة وأن الاحتياطات الوقائية لم تكن عديمة الفعالية فحسب ، بل أنهــا كانت أيضا معاكسة لعادات الجماهير الهندية المتأصلة ، مما جعل الوفيات تزداد يوما بعد يوم . وقد صاحب ذلك تعاظم الشعور بالسخط والاستياء ، حتى ضؤل احترام الناس للقانون والنظام، وفشت حوادث السلب والعنف ، وازداد السكر والفحش ، وتوفر هناك قدر كبير من الحقد على الحكومة التى كانت تعالج الازمة بها . وبلغت الازمــة ذروتهــا باغتيــال أحد كبــار الموظفين البريطانيين المسئولين عن تلك التدابير الوقائية التى اتخذت ، وهو عائد الى داره من عمله فى مقر الحكومة .

وقد كان تحت تصرف حاكم بومباى حينذاك عالم وبحاثه يدعى « البروفسور هافكين » ، وكان يهوديا روسيا قدم ليعمل فى بعض المسائل المتعلقة بالكوليرا فى الهنـد ، وكان قد حمل السلطات البريطانية هناك على معالجة الكوليرا بتطعيم الجماهير. وكان هذا الرجل مقتنعا بأن التطعيم طريقة لمكافحة الطاعون الدملى ، ولذلك حاول فرض آرائه على الاوساط الرسمية فى بومباى . ولكنه لم يحقق قدرا كبـيرا من النجـاح . وقد رأى آغاخان ان اعدادا كبيرة من الناس يموتون كل يوم ومن بينهم كثيرين من الطائفة الاسماعيلية . ولهذا فانه رأى من واجبه أن أن يتعاون مع « البروفسور هافكين » فوضع تحت تصرفه المطلق واحد من أكبر بيوته كان قصرا واسعا غير بعيد من مقر اقامته فى « آغاهول » اجرى فيه بحوثه الطبية قرابة عامين ، الى أن أخذت الحكومة الهندية على عاتقها ، بعد ان اقتنعت بنجاح تجاربه ، مشروع الابحاث كله ووضعته على أساس حكومى صحيح .

كما كان على آغاخـان أن يقنع طائفته بقبول التطعيم ضد الطاعون ، فمرض ان يلقح علنـا ، واستطاع أتباعـه أن يروا بأنفسهم ان آغاخـان قد أخضع نفسه أمام شهود كثيرين لهـذه العملية المخيفة حينذاك . وانتشر النبأ الى أبعد مدى وبأسرع ما يكون . وقد أدى ذلك الى قيام أتباعه بالاقتداء به رغم التحفظ السائد حينذاك بين الاوربيين أنفسهم ، بل ومعارضة كثيرين من الاطباء لفكرة التلقيح . وأقبـل الاسماعيليون على التلقيح لا فرادى بل جماعات ، حتى تدنى معدل الوفيات بينهم وبين غيرهم

ممن حذوا حذوهم ، وارتفع معــدل الشفاء فى النهاية ارتفاعا عظيمــا ٠

ولا شك أن هذه الحادثة أظهرت مدى التأثير العميق الذى حظى بــه آغاخــان بين أتباعــه وبــين آخرين كثيرين من غــير الاسماعيليين ٠ وقد أظهرت هذه الحادثة للسلطات البريطانية عظمة المكانة الروحيــة التى يتمتع بهــا آغاخــان بين أتباعــه والكثيرين من غير الاسماعيليين ٠

ونظرا للمكانة البــارزة التى بــدأ يشغلها آغاخــان فى المجتمع الهندى فى نهاية العقــد الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى نتيجة لكل الاعتبارات التى أشرنا اليها ، فقد كان طبيعيا أن يكون فى مقدمة الشخصيات البارزة التى حضرت الاحتفال بيوبيل الملكة « فيكتوريا » الماسى فى « سملا » فى سنة ١٨٩٧ ٠ حيث ألقى أمام نائب الملكة ، « لورد الجين » ، كلمة عبر فيها عن ولائه وتهنئته لجلالتها بوصفه اماما للطائفة الاسماعيلية ٠ بل أنه ألقى كذلك كلمة أخرى بوصفه زعيمالمسلمى الهند الغربية ، فضلا عن كلمة ثالثة نيابة عن جمعية تمثــل مواطنى بومبــاى وبونا ، مما أظهر للسلطات البريطانية المكانة الهامة التى كان يحظى بهــا آغاخــان حينذاك [١] ٠

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ٩١ ــ ٩٢ ٠

جولات آغاخان خارج الهند
وأثرها في تكوين شخصيته الدولية

لقد عرف آغاخان طوال حياته بأسفاره الكثيرة وجولاته العديدة فى أنحاء العالم ، وهى أسفار وجولات كان يهدف من ورائها الى تفقد أحوال أتباعه والعمل على معالجة ما يواجههم من مشكلات ، كما كانت أيضا من أجل تلبية الدعوات التى كانت توجه اليه لحضور الاحتفالات الكبرى التى دعاه اليها حكام بعض الدول والهيئات الرسمية والشعبية فيها ٠ وقد أفاد آغاخان من أسفاره كثيرا فى دعم علاقاته مع كثير من زعماء العالم وقادته وملوكه وأباطرته ٠ وكانت أول جولة قام بها آغاخان لاوربا فى سنة ١٨٩٨ ، وقد اشار اليها فى مذكراته موضحا أنه كان منجذبا لزيارة أوربا تدفعه الى ذلك رغبة عارمة لرؤية بلاد قرأ عنها الكثير وأعجب بها قبل ان يراها ٠ كما عبر آغاخان فى مذكراته عن الشعور بالاستياء الذى ينتاب المرء فى زماننا الحالى القلق المهدد بالحرب اذا ما تذكر الامن والجلال ـ وكلاهما كانا وطيدين فى اوربا على نحو ما بدا له عند زيارته لها فى المرة الاولى ـ واللذين تحققت بهما المدنية الاوربية الغربية فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ٠ وقد أشار آغاخان الى أنه فى شبابه رأى ذلك العالم الاوربى فى أوج مجده ، اذ كان نصف قرن تماما قد انقضى على « تشنجات » (١) عام ١٨٤٨ (٢) وبدا السلام والازدهار يعمان القارة الاوربية ٠

---

(١) على حد تعبير آغاخان فى مذكراته ، المصدر السابق ، ص ٩٢ ٠

(٢) فشر ، هـ ٠ أ ٠ ل : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠ ، الطبعة السادسة ، ص ١٧٠ ٠

واستطرد آغاخـــان موضحا فى مذكراته انطباعاته عن أوربا فى نهاية القرن التاسع عشر فقال : « صحيح أن الحرب الفرنسية البروسية فيما بين عامـى ١٨٧٠ و ١٨٧١ قـد أومضت نـذرا كالحـة ... ولكن ذلك النزاع بـدا فى اعـين الكثيرين ضلالا مؤقتا مؤسفا من الاتجاه العـام المطرد نحو الرقـى الانسانى . فبريطانيا التى كانت زعامتها العالمية قائمة على أساس السيادة البحرية المطلقة ، كانت غير قابلة للتحدى ، وكانت قوية ، غنية فى عهـد ملكتها الجليلة كما لم تكن قط من قبـل ، ولكنها لم تضطر منذ عـام ١٨١٥ الى ان تتدخل فى اى نزاع قارى مهم ، وهناك أجيال من رجال دولتها ودبلوماسييها قد تدربوا على واجب وفن المحافظة على توازن القوى فى أوربا . وبالرغم من امارات التهديد القليلة بالخطر الحربى والاقتصادى فان العلامات التى كانت تسود أوربا سنة ١٨٩٨ كانت علامات صفـاء وطمأنينة ورخاء » [1] تلك كانت انطباعات آغاخـان عن أوربا فى نهاية القرن الماضى .

على أننا يهمنا من جولة آغاخـــان هذه فى أوربا فى نهاية القرن التاسع عشر زيارته لانجلترا ومقابلته للملكة « فيكتوريا » مقابلة رسمية بدعوة من جلالتها فى قلعة « وندسور » واستقبال جلالتها له « بمنتهى الحفاوة والرقة » [2] على حد تعبيره . اذ أن هذه المقابلة تعبر عن المكانة المرموقة التى كان يحظى بها آغاخان

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٩٣ .
(٢) مذكرات آغاخان : نفس المصدر ، ص ٩٨ .

لدى السلطات البريطانية فى هذا الوقت المبكر ٠ ويتحدث آغاخان فى مذكراته عن مقابلته هذه فيقول : « كانت الملكة يومئذ فى التاسعة والسبعين من عمرها ، ولكن حيويتها ووضوح حديثها وسهولته كانت تدعو الى العجب ٠٠٠ وتحدثت الملكة الى عن الهند بصورة خاصة ، وسألتنى ما اذا كان المسؤولون والممثلون البريطانيون الكبار لطفاء أو تنقصهم اللباقة نحو الامراء والاعيان الهنود ، فأجبتها صادقا أنه فيما يختص بى وبأسرتى كان المسؤولون البريطانيون الذين كنا على اتصال بهم يعاملوننا بلطف وأدب دائمين ٠٠ وكانت الملكة فيكتوريا واعية أشد الوعى مهتمة أعظم الاهتمام بحاجات رعاياها الهنود ووجهات نظرهم ٠ كانت محبتها لهم خالصة وعطفها عليهم شديدا ٠ أذكر بصورة خاصة أنها قالت لى أثناء العشاء أنها ترجو أن يكون سلوك البريطانيين فى المساجد والمعابد الهندية سلوكهم نفسه الذى يتجلى فيه الاحترام والتبجيل لدى دخولهم الكنائس فى بلادهم بالذات » [1] ٠

وفى أثناء هذه الزيارة التى قام بها آغاخان لانجلترا فى سنة ١٨٩٨ تعرف بأشخاص آخرين من أفراد العائلة البريطانية المالكة ، وكان فى مقدمتهم « برنس أوف ويلز » الذى أصبح من بعد الملك « ادوارد السابع » ٠ وقد جعله الامير عضو شرف فى ناديه الخاص « المارلبورو » ٠ وبعد بضعة أشهر ، أى فى أوائل عام ١٨٩٩ رشحه الامير لعضوية النادى كاملة ٠ ويقول آغاخان فى مذكراته أن العضوية فى نادى « المارلبورو » فى تلك الايام

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ٠

كانت ذات أهمية اجتماعية ، اذ كـان العضو يعتبـر الصديق الشخصى « للبرنس أوف ويلز » • كما أشار آغاخان فى مذكراته الى أن الملك « ادوارد السابع » شرفه بصداقته الشخصية الحميمة طيلة العقد الاخير من حياته ، وكانت علاقته به أبعد من أن تكون علاقة رسمية ، هذا على الرغم من أن الملك كان متقدما فى السن بينما كان آغاخـان شابا ولكنه كان يعامله معاملة « يتجلى فيها أكبر قدر من اللطف والعطف والاريحية » • وذلك على حد تعبير آغاخـان •

ومن الملاحظات التى تجدر الاشارة اليها والتى أبداها آغاخان فى حديثه عن الملك «ادوارد السابع» قوله أن الاعتقاد الذى كان شائعاحينذاك أن هذا الملككان يعادى الالمان، وأنه كانيحمل غلا وضغينةلالمانيا كدولة لانهلم يكنعلى علاقةطيبة بابن أخته القيصر « وليـام الثانى » • ويستشهد آغاخـان لتأكيد بطـلان هـذا الاعتقاد بشهادة الملك نفسه وبشهادة شخصيتين أعتقد أن الشك لا يرقى اليهما وهما « بارون فون آكاردشتاين » و « كونت وولف ماترنيخ » وكان كل منهما يحتـل منصبا مسؤولا فى عهد الملك « ادوارد السابع » بالسفارة الالمانية فى لندن ، فقد أكدا لآغاخان « أن الملك كان مخلصا كل الاخـلاص فى رغبتـه فى أن تسود الصداقة بين بريطانيا وألمانيا ، وأنه كان يسعى جهد استطاعته الى أن يظل على وفاق مع ابن اخته • ومع ذلك فلا يمكن للمرء أن يفكر أنه قد كانت هناك خلافـات ومصاعب شخصية عميقة بينهما ، فالقيصر انما ارتقى عرشه وهو بعد شاب ، وكان قد سيطر على جميع شؤون الدولة فى بلاده سيطرة تامة طيلة عقد واحد أو أكثر ، فى حين أن خاله ، المتوسط السن ، لم يكن يسمح

له بأن يمارس أى نوع من المسؤولية ، ولم يكن يسمح له حتى الاطلاع على أوراق وزارة الخارجية • كذلك لم يكن القيصر أكثر الناس لباقة وحصافة ، وفى لغة القرن العشرين كان يشكو من عقدة نقص هائلة ، ذلك أنه لم يكن ينسى أبدا ان يؤكد ذاته ، وقد سعى خاله ببسالة الى أن يكبت انفعاله الطبيعى ، فلم يكن ينفجر الا نادرا ، كما لم يكن سلوكه ازاء ابن أخته ليتميز بسوى اللباقة واللطف والاعتبار » (١) •

وعلى أية حال فقد أدت زيارة آغاخان لانجلترا فى سنة ١٨٩٨ الى تدعيم صلته بالسلطات البريطانية فى انجلترا والهند على السواء • ويؤكد آغاخان ذلك بقوله : « لقد وسعت تجاربى فى لندن وتطوافى فى القارة الاوربية آفاقى ونمت اهتمامى ورغبتى فى أن ألعب دورى فى السياسة والدبلوماسية العالمية • فلم يكد يمضى وقت طويل على وصولى الى لندن حتى اتصلت بسير « وليام لى وورنر » وحزت على كامل ثقته • كان سير وليام رئيس الدائرة السياسية فى وزارة الهند ، الدائرة التى كانت تعنى بجميع النواحى السرية من العلاقات الخارجية • وعن طريق صداقتى لصاحب جياد سباق معروف ، « سير ج•ب• مايل » — مؤسس ومدير محل المفروشات الكبير الذى يحمل اسمه — تعرفت الى صهره البارون فون آكردشتاين ، الذى كان يتولى مهام السفارة الالمانية بالنظر الى مرض السفير نفسه » (٢) •

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٠٣ •
(٢) مذكرات آغاخان نفس المصدر ، ص ١١٣ •

ويواصل آغاخان فى مذكراته توضيح رؤيته للموقف السياسى فى أوربا فى نهاية القرن التاسع عشر من خلال صداقاته مع الدبلوماسيين الاوربيين فيقول : « فى رفقتى الوثيقة لهؤلاء الاصدقاء تمكنت من أن ألاحظ عن كثب سلسلة من الافعال الديبلوماسية البالغة الاهمية • كان هناك ادراك متزايد فى بعض الاوساط فى بريطانيا أن تلك العزلة الجميلة التى بدت قبل ذلك بزمن قصير طبيعية جدا ومستحبة جدا ، قد كانت لها مضارها الجمة • كان من شأن أزمة أفريقيا الجنوبية أن تظهر بجلاء مقدار عزلة بريطانيا الحقيقية ، وكان الشعور المعادى لبريطانيا فى جميع أنحاء أوربا ظاهرا الى درجة لم يكن بالامكان معها تجاهله • وكان مستر جوزف تشمبرلن ، وزير المستعمرات ، هو القوة المحركة فى وزارة لورد سالزبورى فى هذه السنين ، وكان واقعيا بالرغم من الطبيعة الوهمية لمثله الاستعمارية أحيانا ـ يدرك ادراكا حادا أخطار الوضع الذى كانت بريطانيا فيه • استعرض تشمبرلن اتجاهات القوة العالمية فى ذلك الزمان فآمن بامكان الوصول الى تفاهم مع ألمانيا ، ورأى بوضوح الاخطار التى بذلها لتأمين اتفاق حبى بين انكلترا وألمانيا » •

ثم يؤكد آغاخان الجهود التى بذلتها بريطانيا للوصول الى تفاهم مع الالمان فى نهاية القرن التاسع عشر فيقول فى مذكراته : « ان ذكرياتى لتؤيد هذا بحذافيره •• لقد بذلت بريطانيا جهدا مخلصا كبيرا للوصول الى تفاهم ، واذا كانت قد أخفقت فى ذلك فان السبب يعود الى موقف الالمان أنفسهم ، ذلك الموقف الذى كان نتيجة تعنت المفاوضين الالمانيين الرئيسيين :

برنس فون بولوف وهر فون هولشتاين • اننى لم أراقب تقربات البريطانيين فحسب ، بل كنت مدركا لردود الفعل الالمانية لهذه التقربات وعلى علم تام بها من طريق صداقتى لفون اكروشتاين• كان باستطاعتى أن أرى مقدار الحزن الذى أصاب اكروشتاين بسبب رفض الالمان المستمر يد الصداقة التى مدتها اليهم بريطانيا باخلاص ، ذلك الرفض الذى كان يقوم دائما على حجج ومراوغات مصطنعة • من المحزن حقا التفكير فى النتائج البعيدة المدى لفشل هذه المفاوضات ، افلم يكن مجرى التاريخ فى القرن العشرين مختلفا جدا لو أن تشمبرلن قد نجح فى الحيلولة دون نمو العداء الانجليزى الالمانى ذلك النمو المطرد الحقود ؟ أفلم يكن باستطاعتنا أن نتفادى حربين عالميتين اثنتين ! لو أن الالمان استجابوا اذن لكان هذا هو ما حدث ، ولكن علامة الاستفهام الكبرى للسلام الاوربى تقع دائما فى موقف ألمانيا » •

ثم يشير آغاخان فى مذكراته الى أن « مزاج الرجلين الالمانيين اللذين أشرفا على هذه المفاوضات قد منعهما من السمو الى عظمة الفرصة التى أعطياها • لقد نشأ فى ظل بسمارك الكبير ، ولكنهما لم تكن لهما براعته وحنكته السياسية • كانا فى الاساس بيروقراطيين صغيرين لهما جميع كبرياء بسمارك وعجرفته ، ولم يكونا يستطيعان أن يزيلا من نفسيهما الشك فى ما اعتقداه مكرا ودهاء بريطانيين » •

ثم يختتم آغاخان حديثة عن الموقف السياسى فى أوربا حينذاك بقوله أنه « بعدزمن طويل جدا أخبرنى لورد رينال -

_ سابقا سير رونال رود سفير بريطانيا فى روما عدة سنين أخبرنى أنه بعد الحرب العالمية الاولى ، عندما كان برنس فون بيلوف يعيش متقاعدا فى روما ، بحثت معه هذه الحادثة الهامة بأكملها ، وأن فون بيلوف قد اعترف بتردد كبير وأسف أنه قد أخطأ فى رفض يد الصداقة التى عرضتها بريطانيا باخلاص وصدق » (١) ٠

وهكذا يمكننا أن نستخلص من رؤية آغاخان للموقف السياسى فى أوربا فى نهاية القرن الماضى تقديره البالغ للسياسة البريطانية التى كانت تهدف الى التفاهم مع الالمان ومديد الصداقة اليهم دون جدوى (١) ٠ وسيكون لهذا الاتجاه انعكاساته الواضحة فى المهمة التى سيقوم بها آغاخان فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى على النحو الذى سنوضحه فيما بعد ٠

---

(١) آغاخان : المصدر السابق ، ص ١١٤ _ ١١٥ ٠
(٢) فشر ، هـ ٠ أ ٠ ل ٠ : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ _ ٤٨٩ ٠

زيارة آغاخــان الاولى لمصر
فــى نهايــة القــرن التاســع عشــر

قام آغاخــان بزيارة مصر لاول مرة فى نهاية العقد الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى ٠ وقد اعجب غاية الاعجاب بمصر بحيث أصبح لها مكانة خاصة فى قلبه ٠ ليس فقط لانها كانت مقام أجداده الفاطميين ، بل لحضارتها العريقة ، وجوها الساحر، ونيلها الرائع ، وطبيعة الحياة الممتعة فيها ، حتى أنه قال عنها فى مذكراته : « ان أولئك الذين لم يسعدهم الحظ بالوقوع فى سحر مصر ، سيجدون من العسير عليهم ، فى اعتقادى ، أن يدركوا سحر النظرة الاولى التى تلقيها العين على مصر ، اضف الى ذلك أن نظرتى الاولى انما كانت فى الصباح الباكر من يوم ماطر تماما ، ولست بحاجة الى القول أنى منذ ذلك الحين وطيلة حياتى احتفظت لمصر بزاوية خاصة من قلبى ، وأنى كنت أعود اليها كلما وجدت الى ذلك سبيلا » ٠

ويواصل آغاخــان حديثه عن مصر فــى مذكراته فيقول : « ان لجمال مصر صفة خاصة ينفــرد بهــا ، فالسماء الواسعة الهادئة ، والصفاء الغريب الذى يتميز به نورها وجوها ، وجلال غروب شمسها ولياليها المضاءة بالنجوم ٠ وتماثيلها الهائلة التى تنبىء عن ماض جليل مجيد ، كل أولئــك كان يضفى على هذا الجمال سحرا عظيما وفتنة بالغــة ٠ غير أنــه كانت لى أهداف أخرى غير التمتع بالمناظر ، ذلك أنى أردت أن أقوم باتصالات شخصية مع أفراد الجالية الاسماعيلية السورية الكبيرة ، وسائر الاسماعيلية المصريين الذين لم يتمكنوا من القدوم لرؤيتى فى

الهنـد • كذلك زرت مركز العلوم الاسلامية العظيم : الجامع الازهر » •

ثم يتحدث آغاخـان فى مذكراته عن أهـم الاحداث التى لاحظها فى مصر فى نهاية القرن الماضى بقوله : « لقد حدثت فى ذلك الحين أحداث خطيرة مثيرة [١] • كان انتصار لورد كيتشنر العظيم فى أم درمان من السودان طريا فى أذهان الجميع ، وكان الجنرال وينجايت قد عاد من الجنوب ، وكان الخليفة (المهدى) قد قتل وقضى على آخر أتباعه من الدراويش » [٢] •

ثم يشير آغاخـان الى زيارته « للورد كرومر "Lord Cromer" حينداك فيقول : « ولقد زرت لورد كرومر ، المقيم البريطانى فى مصر (يقصد المندوب السامى) ، الذى كان سلطانه فى مصر عند ذلك فى أوجه [٣] • قال لى ان مصر كانت بحاجة ماسة الى رجل من مثل سيد أحمد نكى يفعل للمسلمين المصريين ما كان قد فعله فى عليكره فى حقل التجديد الثقافى [٤] • وكان فى مصر وقتذاك هوة عميقة بين المحافظين القدماء من أتقياء المسلمين الذين كانوا يزدرون العلوم والتقنيات الحديثـة والذين كانوا يتكلمون ويقرأون العربيـة من جهـة ، وبين الطبقات المتفرنسة العليا التى كانت أهم قراءاتها محصورة فى الروايات الفرنسية ، والتى كانت تجتمع فـى النـوادى ، والتى كانت تقضى أوقات

(١) Hanotaux, g. : Histore de la Nation Egyptienne, VI, p. 376.

(٢) محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر والسودان ، ص ٢٦٧ •

(٣) Zetland, M. : The life of Iord Cromer, p. 133.

(٤) Cromer, L. : Modern Egypt, Vol. I. pp. 2, 5.

فراغها فى لعب الورق والمقامرة الليلية ، والتى كانت تكره البريطانيين وتتوق الى خروجهم وعودة عهد الخديوى اسماعيل ، من جهة أخرى • لم يكن فى مصر شىء مثل عليكره تنير لسكانها نحو تسوية لفهم العلوم الغربية الحديثة ، ولتنشئة نخبة قادرة على التعاون مع الاداريين والفنيين البريطانيين فى عملية النهوض الاجتماعى والاقتصادى التى كانت البلاد فى حاجة يائسة اليها» [١] • ومن الملاحظ أن آغاخان فى قولة هذا انما يبدومتبنيا لوجهة النظر البريطانية التى كانت ترغب فى ايجاد كوادر مصرية تؤمن بالافكار الغربية التى تتواكب مع المصالح البريطانية ، مما يجعلنا نرجح اعتقاده بأن هذا هو السبيل الوحيد لاحداث نهضة اجتماعية واقتصادية فى مصر حينذاك •

ثم ينتقل آغاخان بعد ذلك الى الحديث ـ فى مذكراته ـ عن الخديو عباس حلمى فيقول : « ولسوء الحظ فان الخديو عباس حلمى كان مريضا آنذاك ـ وكان الاطباء يشكون فى أنه مصاب بنوع من الباراتيفوئيد ـ ولذلك لم أتمكن من مقابلته • غير أننا فى السنوات التالية أصبحنا صديقين حميمين ، وقد أعجبنى فيه توقد ذهنه وسعة اطلاعه على الامور السياسية والتاريخية ••• أما الوزراء المصريون الذين قابلتهم فلم يكونوا الا أشخاصا معينين من قبل البريطانيين ، وفى الواقع من قبل لورد كرومر نفسه » •

ويستطرد آغاخان فى اعطاء صورة عن الحياة فى مصر

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص١١٨ •

فى مطلع القرن العشرين فيقول : « ان أولئك الذين لا يعرفون الا القاهرة اليوم لا يستطيعون أن يكونوا أية فكرة عن الظروف الاجتماعية التى كانت سائدة فى أوائل العقـد الاول من هذا القرن ٠ كانت الفنادق مليئـة بالاغنيـاء من الاجانب ، الذين كانوا يشتون فى مصر ، وكان ذلك عندئذ تسلية شائقة بين أكابر القوم ٠ كانوا يقومون برحلات فى النيل فى ذهبيات يستأجرونها لهذه الغاية أو فى احدى بواخـر شركة توماس كوك ، وكانوا ينفقون الاموال عن سعة ، ويقضون وقتـا طيبـا ، يحيط بهم المرشدون والمترجمون الذين كانوا يتكلمون كل لغة أوربية ٠ وقد كانت محتويات متحف القاهرة مدهشة ، كمـا كانت دائما وكما ستكون أبدا ٠ وبالرغم من أن اكتشافات لورد كاردنارفون العظيمة لتوت عنخ آمون لم تكن قد تمت بعد ، فقد كان فى المتحف أكثر مما يكفى للمشاهدة ، ولكن ترتيبها كان أقل ملاءمـة مما هو اليوم ، وكانت هناك عادة غير مستحبة متبعة فى المتحف قوامها عرض الجثث المحنطة لجميع الفراعنـة العظـام لكل من يـود مشاهدتها ، وهكذا كان باستطاعتك ان ترى رعمسيس الثـانى بملامحه النبيلة التى تشبه ملامح الصقر ممددا فى نعشه ، وكما كان يبدو تقريبا ، فى حياته منذ قرون مضت ، وغيره من جبابرة الملوك الفاتحين القدامى ، عند قدمى أى زائر يدخل الى المتحف »٠

ثم يعود آغاخـان للحديث عن حاضر مصر فى بداية القرن الحالى فيقول : « غير أنى لما كنت مهتما بالحاضر أكثر من اهتمامى بالماضى ، فان أعظم حقيقة عن القاهرة فى تلك الايام أنها كانت بالنسبة الى ، ومن جميع الوجوه العملية ، بونا أو سيملا أخرى ،

بل كانت قاعدة للسيادة البريطانية أكثر من الهند نفسها • لم يكن الانكليز قابضين على زمام السياسة فى البلاد فحسب ، بل كانوا يدعون تفوقا اجتماعيا بدا أن المصريين كانوا يتقبلونه باتضاع • أما الهياج السياسى القليل الذى كان موجودا فقد عزى الى دسائس القصر ، وكان الاتجاه العام لدى جميع الطبقات نحو الدولة البريطانية المحتلة — معتمديها وموظفيها وضباط الجيش البريطانى ومستخدمى البيوتات البريطانية المتزايدين — أقول أن الاتجاه العام كان اتجاها قوامه الخضوع والطاعة الظاهريان • ولسوء الحظ لم يكن هناك الا صلة ضعيفة بين أفراد الجالية البريطانية — السياسيين منهم والعسكريين والتجار — وبين الاريستوقراطية المصرية والبورجوازية الثرية فى القاهرة والاسكندرية ، وهى حالة تشبه الحال التى كانت سائدة فى الهند فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل العقد الاول من هذا القرن • وعندما كان أثرياء المصريين يأتون الى أوربا فانهم كانوا يذهبون الى باريس ، أو سويسرا أو النمسا أو ألمانيا أو ايطاليا ، ولكنهم كانوا يحاذرون الاقتراب من انكلترا • وقليل من السياح الذين كانوا يؤمون مصر فى الشتاء باستثناء بعض الافراد من القارة نفسها ، كانوا يهتمون بمعرفة الطبقات المصرية العليا والوسطى • حتى نادى الجزيرة الرياضى فى قلب القاهرة ، كان يحرم عضويته على المصريين الا فى بعض الحالات الاستثنائية النادرة ، والاشخاص الوحيدون من غير البريطانيين الذين كان البريطانيون يجتمعون اليهم — باستثناء مرؤوسيهم وخدمهم — كانوا أولئك الاعضاء الذين ينتمون الى بضع عائلات توخت أن تندمج اندماجا كليا بالسلطة الحاكمة فكان ذلك سببا فى

قبولهم . ويمكن لعمق هـذا الانقســام الاجتماعى أن يرى فى الحقيقة القائلة بأنى أنا نفسى الذى التقيت طبعا بمصريين ابان أسفارى فــى أوربــا ــ ومعظمهم من الطبقــة الاريستوقراطية وأفراد السلالة الحاكمة ــ نادرا ما رأيتهم عند زيارتى للقاهرة الا فى بيوتهم . لم يكن هناك أساس مشترك للمخالطة الاجتماعية، واذن فوراء واجهة الاتضاع والمذلــة قــد تطــور حتما شعور بالاستياء الكئيب المفرخ الذى كاد يكون شخصيا ، والذى سمم فيما بعد ، دونما ضرورة ، وبمرارة ، اصطدام الوطنية المصرية بمصالح بريطانيا بوصفها الدولة المحتلة . وبعد أن أنفقت نحوا من ثلاثة أسابيع فى القاهرة عدت الى الهند » [1] .

تلك كانت انطباعات آغاخــان عن زيارته لمصر فى نهاية القرن الماضى . وهى تعطينا صورة واضحة عن طبيعة الاوضاع التى كانت قائمة فيها حينذاك . ويمكننا من خلال هذه الصورة تتبع حركة التغيير فى المجتمع المصرى فــى مرحلة انتقالــه من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين .

موقف آغاخــان ازاء الدولة العثمانيــة

يهمنا فى هذه الدراسة التعرف أيضا على موقف آغاخــان ازاء الدولة العثمانية ، نظرا لاهمية ذلك فى تفهم أبعاد المهمة التى سيقوم بها فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى لصالح الامبراطورية البريطانية . ذلك أن بريطانيا قد عزلت مصر عن التبعية السياسية للدولة العثمانية بفرض الحماية البريطانيــة

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

عليها فى اليوم الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ بعد انحياز الدولة العثمانية الى جانب دول وسط أوربا ٠

وقد قام آغاخـان بزيارة الاستانة فى سنة ١٩٠٠ فى أعقاب جولة ثانية زار فيها أوربا حينـذاك ٠ وقد استضافه السلطان عبد الحميد الثانى فى فندق « بيرا بالاس » ، وكانت لآغاخـان مقابلة طويلة مع السلطان عبد الحميد فى قصر « يلدز » ، كانت موضوع تأويلات سياسية غريبة فى ذلك الوقت ومن بعده أيضا ٠ وقد أشار آغاخـان فى مذكراته الى هذه الزيـارة التى ترجع أهميتها الى التقاء زعيمين دينيين لكل منهما اتجاهـه الخاص ٠ فكما يقول آغاخـان فى مذكراته : « كان السلطان هو الخليفة أيضا ، وبالتالى رأس الطائفة السنية فى العالم الاسلامى بأجمعه، وكنت أنا راس الطائفـة الاسماعيلية من الشيعة ، وهكذا كان أساس تلك التأويلات واضحا للعيان » ٠

ويواصل آغاخـان حديثه عن مقابلته للسلطان عبد الحميد فيقول : « ويتعين على أن أقون ان اجتماعنا قد كانت له رائحة الدراما الغريبة ٠ كان عبد الحميد يعيش وقتئذ فى خوف عصبى من الاغتيال ٠ كان مدمنا على التدخين ، وكنت أنا طيلة حياتى شديد الحساسية للسجائر ٠ وعندما أدخلت الى غرفته أغلقت الابواب فورا ، ولم يكن فى الغرفة الا أنا والسلطان ، وأحـد المترجمين ، ذلك أننى لا أتكلم التركية ، وعبد الحميد بالرغـم من اعتقادى أنه كان يقرأ العربيـة والفارسية ، قد رفض أن يتحدث بأى من هاتين اللغتـين ٠ وكانت الغرفة حـارة وسحب الدخان تطفوا فوقنا فى الهواء ، وكان السلطان مرتديا ثوبـا

فضفاضا ، ورمانــة الفيلدمارشالية تتــدلى من كل من كتفيه ، وببطء أدركت أنه كان يخفى تحت أثوابــه سلاحا مــا ، وأن أثوابه كانت من النوع الذى لا يخترقه الرصاص الى الدرجة التى كانت ممكنة فى تلك الايام • وهكذا تساءلت عما اذا كان قد ظن أننى انما أتيته لاقتله ؟ » •

ويستعرض آغاخــان ذكرياتــه عــن مقابلتــه للسلطــان عبد الحميد الثانى فيقول : « وبهرنــى منظــر آخر • ذلك أن عبد الحميد يتصنع فى مظهره الى حد كبير ـ كانت لحيته تصبغ بالصباغ الاسود ، وكانت شفتاه تلونان باللون القرمزى ، وخداه باللون الاحمر ، وحاجباه يعدلان الى درجة مضحكة ، كان يمكن أن يكون بهلولا مضحكا فى سرك ، ولكن عينيه كانتا تقدحــان الشرر • ومع ذلك فان هذا الماكياج لم يكن تعبيرا عن تخنث ، ذلك أنه كان كامل الرجولة الى الحد الاقصى ، وكان والدا لاطفال عديدين وزوجا وحاميا محبا لعدد كبير من النساء » •

ثم يوضح آغاخــان فى مذكراته الحديث الذى دار بينه وبين السلطان عبد الحميد الثانى فيقول : « كان حديثنا حبيا أنسيا ، وأذكر أنه قد اهتم وتأثر لكونى ، من طريق كاشغر وسينغيانج ، كنت أملك معلومات حديثة موثوق بها عن مسلمى الصين الغربية • ولقد قيل أن خوفه من الاغتيال حدا به الى أن يأمر بأن يتذوق كل ذرة من الطعام عدد من الناس وهى فى طريقها اليه ، بما فيهم الطاهى ، واذا لم أتناول الطعام معه فانى لا أستطيع أن أشــهد بصحة هذه القصة ، ولكنى أعرف فعلا أنه كان يعتقد أن الطعام فى فندقى لم يكن صالحا ، وهكــذا كانت عربــة مقفلة تقطع

المسافة بين القصر والفندق وهى تقل حملا من الاطباق فيها ما لذ وطـاب من المـآكل التركية والفارسية أعدت لى فى القصر وأرسلت الى بأمر صريح من عبد الحميد » [١] ٠

هذا ما ذكره آغاخـان فى مذكراته عن مقابلته للسلطان عبد الحميد فى سنة ١٩٠٠ ، وهى على ما يبدو كانت مقابلة ودية حرص فيهـا عبد الحميد على ما تستوجبه أصـول الضيافة من ترحيب وتكريم ٠ وكان من الطبيعى أن تثـار حولهـا تكهنات كثيرة لانها كانت تجمع بين خليفة السنيين [٢] وامام الاسماعيليين، بكل ما يمكن أن يترتب على ذلك من تفاهم دينى يتعلق بأتبـاع الجانبـين ، وذلك لان آغاخـان قد أشـار ، فى موقع آخـر من مذكراته ، الى ان أتباعه الاسماعيليين قد عانوا أقصى درجـات الاضطهاد فى عهد السلطان عبد الحميد ، وخاصة فى السنوات الاخيرة من حكمه ، اذ يقـول : « لقد شهدت السنوات السبعون الماضية (ويقصد الماضيـة على كتابتـه لمذكراته فى منتصف الخمسينات من القـرن الحـالى) تقدما ثابتـا مضطردا حققه الاسماعيليون حيثما حلوا ٠ وفى أيام الامبراطورية العثمانية ، وتحت حكم عبد الحميد ، عانى الاسماعيليون درجة قصوى من الاضطهاد ، واذ كانوا يشكلون أقلية فقد لاقوا ، شأن أقليـات متعددة أخرى فى امبراطوريته ، الضيق والمصاعب ، وزج بكثير من زعمائهم فى السجون فـى السنوات الاخـيرة مـن حكمـه

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ٠

(٢) السلطان عبد الحميد الثانى ، مذكراتى السياسية ، ١٨٩١ - ١٩٠٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٦٥ ٠

الاستبدادى ٠ غير ان فترة الاضطهاد هـذه انتهت بقيـام ثورة تركيا الفتاة ٠ والان ، بالرغم من جميع النقـلات والتبدلات السياسية الواسعة التى تعرض لها العالم ، فانـى أعتقد أن من الممكن الادعاء بصورة خالية من الغلو بأن حالة الاسماعيليين فى العالم أجمع حالة مرضية ، فجالياتهم ، حيثما قطنوا ، تشكل فى المجتمع عنصرا سـعيدا ، محترمـا لنفسه ، مجـدا ، ومتقيدا بالقانون » (١) ٠

وعلى أيـة حـال ، فيمكننا أن نرجح أن زيـارة آغاخـان للسلطان عبد الحميد الثانى فى سنة ١٩٠٠ انما كانت تستهدف التخفيف من حـدة الاضطهـاد الذى كان يعـانى منـه أتباعـه الاسماعيليون فى المناطق الخاضعة مباشرة للحكم العثمانى ٠ غير أن آغاخـان أبدى أن هذا الاضطهاد انما زادت حدته فى السنوات الاخيرة من حكم عبد الحميد فى بداية القرن الحالى ونرجح أن هذا عائد الى رفض السنيين العثمانيين لمعتقدات الاسماعيليين الشيعة من جهة ، ولخشيـة الاتـراك العثمانيين من النشاط المعارض سـياسيا والذى يمكن أن تقوم بـه الاقليات المتعددة عامة والمتعارضة مع السنة خاصة ضد الدولة العثمانية من جهة أخرى ، نتيجة لاستقطابها بمعرفة القوى الاجنبية المعادية للدولة العثمانية (١) ٠

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٥٠ ٠

(٢) السلطان عبد الحميد الثانى : مذكراتى السياسية ، ١٨٩١ ــ ١٩٠٨ ، ص ٦٧ ــ ٦٨ ٠

علاقة آغاخــان مع ملوك بريطانيا وساستها

يعتبر آغاخــان أن وفاة الملكة « فيكتوريا » ملكة بريطانيا في يناير سنة ١٩٠١ نهاية عصر بالنسبة لمن ولدوا وترعرعوا في عهد حكمها الطويــل ٠ وقد اعتــلى عرش بريطانيا بعدها « برنس أوف ويلز » وهــو الملك « ادوارد السابع » الذى كان آغاخــان على علاقة صداقة معه على نحو أشرنا اليه من قبل ٠ ولهذا فقد أشار آغاخــان فى مذكراته الى أن الملك « ادوارد السابع » « شرفنى بدعوة شخصية لحضور حفــل تتويجه عــام ١٩٠٢ ،ولذا عدت الى لندن التى أعرفها جيدا ، والى مجتمع كان لى فيه أصدقاء كثيرون استقبلونى بحرارة وترحاب » ٠

ويعلق آغاخــان على عصر الملك « ادوارد السابع » بقوله أنه : « كان من الممكن الان أن يتبين المــرء أن العصر الادواردى كان فى بدايته ، وأن أسـلوبا اجتماعيــا جديــدا قد شرع فى الظهور ، كما يتبين تحولا فى المقاييس وتميزا لمعنى وتحــدى القرن الجديد ٠٠٠ أمــا بالنسبة الى فقد كانت هنــاك مناسبة سعيدة حدثت ابان التتويــج ، ذلك أن الملك رفعنى من رتبــة K.C.I.E. الى رتبــة G.C.I.E. وعدت الى الهند فى نوفمبر من عام ١٩٠٢ ، وهناك فوجئت عندمــا وجدت بانتظارى كتابا من نائب الملك ، لورد كيرزون ، يطلب منى فيه أن أصبح عضوا فى مجلسه التشريعى ٠ وكان ذلك شرفــا عظيما لشاب فى عقــده الثالث ــ كنت أصغر الاعضاء سنا الى حد بعيد ــ ذلك أن مجلس نائب الملك التشريعى فى تلك الايام كان عبارة عن هيئة صغيرة تضم نخبــة من ذوى النفوذ وتمارس سلطة فعلية ٠ وقد تطلب

قبولى العضوية انتقالى ، مؤقتا ، الى كلكتــا التى كانت عندئذ قاعدة السلطة البريطانية فى الهند ٠ وقد كان للسنتين اللتين قضيتهما فى عضوية المجلس التشريعى (طلب الى أن أقبل تعيينى مرة ثانيــة ولكننى رفضت) تأثــير عميق ودائــم فى حيــاتى وشخصيتى ، من نواحيها الخاصة والشخصية والعامة معا ، فلأول مرة فى حياتى أصبح لى منزل طبيعى خاص بى يضم العدد العادى من الخدم ، وأصبحت أعيش الحياة الاجتماعية والمنزلية العادية التى يعيشها رجل فى مثل مكانتى ، وتخلصت من تلك الكثرة من الاتبــاع والاشرار الذين لم تنقرض آثارهم قط فى بومبــاى وبونا ، والذين سبق لى أن وصفت نشاطاتهم الخطرة ٠٠٠ ولم تكن تلك العضوية (فى مجلس نائب الملك التشريعى فى كلكتا لمـدة عامين) أقل أثرا فى حياتى العامة والسياسية ، فقد وجدت نفسى أعمل جنبا الى جنب مع رجال من وزن لورد كيرزون نفسه والقائد العــام ، فيلد مارشال لورد كيتشنر المعروف ٠ ومن بين زملائى الهنود كان هناك مستر ج٠ك٠ ، غوكهايل ، رجل الدولة الهندى البارز حتى ظهــور مهاتمــا غاندى ونهرو الاب ونهرو الابن » [١] ٠

وهكذا أشار آغاخان الى الرتبــة التى منحــه اياهــا الملك «ادوارد السابع » ملك بريطانيا عقب حضوره حفلات تتويجــه فى لندن فى سنة ١٩٠٢ ٠ وكانت هذه الرتبة تعبيرا عن تفهم بريطانيا للدور الذى يمكن لآغاخــان أن يقوم به — على نحو ما قام به من قبل — فى خدمة المصالح البريطانية ٠ كما كان اختياره لعضويــة مجلس نائب الملك التشريعى فى كلكتا عاصمة الهنــد

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ٠

البريطانية فى نهاية نفس السنة والذى كان يرأسة لورد كيرزون ويضم نخبة محدودة من أبرز رجالات الهند والادارة البريطانية فيها حينذاك · وبحكم انتقاله المؤتت ليمارس مهام منصبه فى كلكتا التى امضى فيها عامين اثنــاء شغله لمنصبه ، فقد تخلص آغاخــان من « تلك الكثرة من الاتباع والاشرار الذين لم تنقرض آثارهم قط فى بومباى وبونا » والذين كانت لهم « نشاطاتهم الخطرة » على حد تعبير آغاخــان ، وكان هؤلاء هم بقايا الاتباع الذين رافقوا جده فى هجرته من ايران الى الهنــد فى منتصف القرن التاسع عشر ·

ومن أهم الاحداث البارزة التى حدثت أثناء عضوية آغاخان فى مجلس نائب الملك التشريعى فى الهنــد استعراض التتويج الذى أقيم فى دلهى ، والذى كانت ذروته عرضا رائعا لنحو من أربعــين ألف جندى على رأسهم القائــد العــام « لورد كتشنر » والذى شهده « دوق أوف كونوت » شقيق الملك وممثله فى هذه الاحتفــالات · وقد سبق أن أشرنا الى مــا رواه آغاخــان فى مذكراته عن علاقته « بدوق أوف كونوت » أصغر أبنــاء الملكة فيكتوريا الذى كان قائــدا لجيش بومبــاى وبزوجته « الدوقة أوف كونوت » ، حتى أنه قال عنــه « صديقى الذى حــدب على وحبانى بلطفه منذ طفولتى ، دوق أوف كونوت » · ولهذا فقد كان آغاخــان سعيدا بحضور الــدوق استعراض التتويج الذى أقيم فى دلهى حينذاك · وعقب الاستعراض مباشرة عقد آغاخان مؤتمرا ثقافيا اسلاميا فى دلهى تحدث فيه مطــولا عن مشاريع ثقافية عديدة كان يبذل جهده فى معاضدتها ، وأهمهــا انشاء جامعة عليكره ·وقد ألقى آغاخــان كلمة فى هذا المؤتمر جــاء

فيها : « أرجوكم أن تحملوا لواء جامعة مركزية – جامعة أدعو الى الله أن تصبح يوما فى مصاف اكسفورد ولايبزغ وباريس موئلا للافكار العظيمة والمثل العليا النبيلة – جامعة يمكن لشبابنا فيها أن يتلقى أسمى التوجيه فى علوم الغرب ، جامعة لا يهمل فيها تعليم تاريخ الشرق وأدبه من أجل اعطاء معرفة ببغاوية بالتفكير الغربى ، جامعة يمكن لشبابنا أن ينعموا فيها ، بالاضافة الى هذه الفوائد بجو اسلامى . اننى استعطفكم صادقا أن قضية مثل هذه الجامعة يجب أن لا تنسى فى خضم صيحات السوق التجارية التى ترتفع بيننا يوميا » .

ثم علق آغاخان فى مذكراته على كلمته هذه التى ألقاها فى دلهى فى بداية القرن الحالى بقوله : « تلك الجمل التى تفوهت بها منذ خمسين سنة تلخص المطامح التى رعيتها وعززتها منذ البداءة نيابة عن عليكره ، والتى يسعدنى أنى عشت لاراها تتحقق » (١) .

وقد قام آغاخان بزيارة أوربا فى صيف عام ١٩٠٤ وخاصة انجلترا حيث تركزت خيوط حياته الاجتماعية والشخصية . ومن ملاحظاته عن الاوضاع السياسية فى انجلترا حينذاك ما أشار اليه فى مذكراته من أنه « كانت هناك تبدلات كبيرة وشيكة . كان آرثر بلفور قد خلف خاله ، لورد سالزبورى ، فى رئاسة الوزارة وزعامة حزب المحافظين ، غير أنه كان واضحا أن العهد الطويل الذى سيطر فيه المحافظون على السياسة البريطانية كان

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

يقترب من نهايته • كان جوزف تشمبرلن الديناميكى قد ألقى بقضية مذهب الحماية الى الساحة ، وبذلك أحدث انقساما خطيرا فى حزب المحافظين • وكان الاحرار يجمعون قواهم بثبات واطراد ، وكانت المسألة الايرلندية ، بعد سنوات من الهدوء الخارج ، قد أخذت تاز كرة آخرى، كما أن ظهور حزب العمال - الذى كان صغيرا جدا حتى ذلك الحين - كان حدثا تجدر ملاحظته » (١) • وبذلك يؤكد آغاخان تتبعه للمتغيرات السياسية فى الساحة البريطانية باهتمام كبير •

كما أكد آغاخان كذلك علاقته الوطيدة بالملك جورج الخامس منذ كان « برنس أوف ويلز » • وقد أشار آغاخان فى مذكراته الى أنه عند عودته من انجلترا الى الهند فى سنة ١٩٠٦ وجد « برنس آوف ويلز » فى كلكتا يقوم بالزيارة التى بحث أمرها من قبل معه فى سنة ١٩٠٤ عندما كانا فى انجترا • وكانت ترافق « برنس أوف ويلز » زوجته « دوقة أوف يورك » وهى الملكة مارى فيما بعد • وكان آغاخان قد قابلها من قبل فى انجلترا فى سنة ١٨٩٨ مع أولادها الصغار (الملك ادوارد الثامن الذى أصبح من بعد دوق أوف وندسور ، والملك جورج السادس ، وكبرى بنات الملك) ، وكان زوجها « برنس أوف ويلز » يقوم بدورته الاولى كضابط من ضباط البحرية حينذاك •

ويقول آغاخان فى مذكراته عن علاقته بالملك جورج الخامس : « لقد كنت فخورا دائما بأنى فزت بصداقة الملك جورج الخامس وحافظت عليها حتى نهاية حياته •لقد أولانى ثقته الى الدرجة نفسها كما فعل أبوه من قبله • كان دائما يتحدث الى بصراحة مطلقة تامة عن جميع ضروب المواضيع - الشخصية

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٣٩ •

والسياسية والرياضية والاجتماعية ، وكثيرا ما كان لى شرف تلبية دعواته الى الغداء ، أولا فى مارلبورو هاوس عندما كان برنس أوف ويلز ، وفى قصر باكنجهام بعد اعتلائه العرش . كانت وجبة الغداء مسألة عائلية غير رسمية هادئة ، ولم يكن يحضرها سوى الملكة مارى وولد او اثنين من أولادهما ، وكنت أنا الضيف الوحيد . وكانت العادة أن تذكر هذه الغداءات فى نشرة البلاط ، غير أنها تغفل احيانا لاسباب خاصة »(١) .

ويختتم آغاخان فى مذكراته حديثه عن الملك جورج بقوله أنه فى السنوات الاربع والثلاثين التى عرف خلالها الملك جورج الخامس كان كثيرا ما يراه فى منزله او فى حفلات سباق الخيول فى اسكوت وابسوم وسواهما ، كما راه اثناء زيارتيه الرسميتين للهند بوصفه « البرنس اوف ويلز » اولا وبوصفه « الملك جورج الخامس » ثانيا . كما اشار آغاخان الى ان « الملك جورج الخامس » ــ عندما تسربت من برلين اثناء الحرب العالمية الاولى أنباء تفيد بأن الالمان كانوا يدربون أعداء الحكومة البريطانية من الهنود ــ فقد « صدم الملك وأحزنه أن يكون القيصر قد تدنى الى أن يستصوب مثل هذه الحركات والحيل الهمجية (هكذا) ، كما أنه حزن حزنا عميقا دون أن يعلن عن ذلك ، عندما أغتيل جميع أفراد العائلة المالكة الروسية ، أى ابناء عمه القيصر والقيصرة وجميع أولادهما ، فى ايكاترينبرج سنة ١٩١٨ . انه لم يأت على ذكر هذه الحادثة علنا ، ولكنه لم يتردد فى أكثر من اجتماع واحد من اجتماعاتنا الخاصة فى أن يفتح قلبه لى ويفضى الى بحزنه »(١) . هكذا أوضح أغاخان مدى علاقتة الشخصية مع

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٤٢ .
(١) مذكرات آغاخان : نفس المصدر ، ص ١٤٤ .

الملك جورج الخامس ملك بريطانيا والتى وصلت الى حد ان يفضى الملك اليـه بمشاعره الشخصيه ازاء كثير من الاحداث الهامـة .

ومن الزعماء البريطانيين الذين نعـم آغاخـان بصداقتهم « سير ونستون تشرشل » اذ استمرت العلاقة بينهما فترة تزيد على نصف قرن ، مما جعله يشير الى ذلك فى مذكراته فيقول : « لقد نعمت بصداقة سير ونستون تشرشل فترة تزيد على نصف قرن ، واذكر ان لقاءنا الاول كان فى بونا فى أواخر صيف عام ١٨٩٦ . فى ذلك الحين زارنى عدد من ضباط فصيلة الفرسان البريطانية ، السوارى الخفيفة الرابعـة ، التى كانت متمركزة عندئـذ فى انجالور . وكنت فى ذلك الوقت مريضـا ، ولذلك لـم استطع استقبالهم ، غير ان ابن عمى شمس الدين أحسن وفادتهم وأراهم جيادى . وعندما تحدث الى فيما بعد عن زيارتهم قال أنه لم يكن بينهـم من هو اكثر تمييزا واحسن حكما على الجيـاد من ملازم شاب يحمل اسم ونستون سبنسر تشرشل . ولقد وصفه ابن عمى بأنه كان فوق العشرين قليلا ... ولقد قدر لنا أن نلتقى كـرة بعد أخرى فيما بعد ، فقد التقينا فى صيف عام ١٩٠٢ ، سنة تتـويج الملك ادوارد السابع ، فى وور ويك كاسل بوصفنـا ضيفين على لورد وليدى وور ويك .

وكان الملازم الخيـال (تشرشل) قد سافـر كثـيرا فى ست سنوات ، وفى عام ١٩٠٢ كان عضوا محافظا فى البرلمـان ... وفى عام ١٩٠٦ ، أى بعد أربعـة أعـوام من لقائنا فى وور ويك كاسل ، شـغل ونستون تشرشل وزارة ثانوية فـى حكومة كامبـل ـ بانرمان الليبرالية ، وأذكـر أن جون مورلى ، زميله الارفع منـه فى الوزارة قال لى : ان تشرشل الشاب ، شأن جوزيف تشمبرلين الشاب الـذى عرفت ، يملك أعظـم حاسـة سياسية

طبيعية . ان فى تشرشل الاستعداد النظرى لمعالجة المشاكل وحلها كلما نشأت ، وهو الاستعداد نفسه الذى كان يتحلى به جوزيف (تشمبرلين) » .

ويواصل آغاخان فى مذكراته الحديث عن « سير ونستون تشرشل » فيشير الى وجهة نظره بالنسبة لمستقبل الدولة العثمانية بعد أن دخلت الحرب العالمية الاولى الى جانب ألمانيا فيقول : « وفى أثناء الحرب العالمية الاولى ، عندما كان الكثيرون من رجال الدولة البريطانيين تواقين الى أن ينقذوا تركيا من المصير الذى كان لابد من أن تلاقيه ، أذكر أن تشرشل قال لى بخشونة ان تركيا ستكون هدية المنتصر . كانت تركيا ، كما قال ، رجل أوربا المريض ، وكانت تموت وتتفسخ ، ولم تكن محاولة انقاذها بالامر المجدى » .

واختتم آغاخان حديثه فى مذكراته عن سير ونستون تشرشل بقوله : « واذ أعود بالذاكرة الى السنين الطويلة التى عرفت فيها سير ونستون تشرشل فانى واثق من أن النعمة الكبرى التى أغدقها الله عليه هى صحته ، ان له بنية من حديد حملها طيلة حياته أقصى ما تستطيع أن تحمله » (١) .

دور آغاخان فى الساحة الهندية

ويهمنا التعرف على دور آغاخان فى الساحة الهندية فى مطلع القرن العشرين وحتى قبيل قيام الحرب العالمية الاولى ، ذلك الدور الذى تركز حول الدفاع عن حقوق المسلمين هناك مما أدى فى النهاية — وعلى غير ما كان يتوقع — الى انشاء دولة

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

باكستان المستقلة • ويمكننا تتبع تطور قضية المسلمين فى الهند من وجهة نظر آغاخـان من خلال مذكراته التى تناول فيهـا هذا الموضوع فقال : « منذ عام ١٨٥٧ وانتقـال السلطة فى الهند مـن شركة الهند الشرقيـة الى التـاج (البريطانى) ، كان المسلمون ، بمعنى سياسى ، موضع تجاهل من جانب البريطانيين • ولعله لم يكن أمـرا غير طبيعى أن يتحـول حكام الهند الجـدد (البريطانيين) عن أولئك الذين كانوا ، مـن طريق الدين أو اللغـة ، متصلين بالحكام الذين أبعـدوا • لم يكن المسلمون يؤتى بهـم الى الادارة أو الى حلبة السياسة ، وقليل منهم درس أو كان يستطيع أن يقرأ الانكليزية • واذا كان انهيـار أباطرة المغـول أمرا يدعو الى الرثاء ، فان آثاره استمرت جيلين وظهرت فى العزلـة والقصور اللذين اكتنفا مسلمى الهنـد فى أرضهم بالذات • كانت الاكثرية الهندوسية فى وضع ملائـم مفيد فى ظل حكامهم الجـدد ، وقد أفـادوا منـه افـادة كاملة • أمـا المسلمون فقد ظلوا زمنا طويلا مـا يسميه الفرنسيون « كمية مهملة » • ولكن كلمتنا بدأت تسمع آخر الامر ، ذلك أن نائب الملك ، لورد مينتو ، وافق على أن يستقبل وفـدا منـا ، وكان مقدرا لى أن أرأس ذلك الوفد » [١] •

ويواصل آغاخـان حديثه فى مذكراته عن دوره فى الدفاع عن حقوق المسلمين فى الهند فيقول : « كنا ندرك ادراكا شديدا أننـا قد أهملنا زمنا طويلا ، وأننا كنا نبدو فى نظر الاكثرية الهندوسية ـ كما كانت ممثلة بزعمائها فـى حزب المؤتمر ـ قطعة صغيرة لا يعتـد بها من الجسم السياسى كله ، وأننـا ، بالرغم عن كثرة الحديث عن الوطنية ، لم يكن يحسب لنا حساب

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ١٥٤ •

فى المطامح التى كانــوا يتطلعون اليهــا ، والخطط التى كانوا يضعونها • لقد استمروا على أن يرسلوا الى مجلس نائب الملك التشريعى رجالا امعــات من الدرجة الثالثة ، بــدلا من رجال يمثلون المسلمين تمثيــلا حقيقيــا ، ممــا ادى الى ان شخصيتنا المستقلة كطائفة ، والوضع الذى كان يمكن ان تكون عليه ، قد نسيهما الانكليز نسيانا تاما » •

« واذن فقد قررنا الان أن الوقت قــد آن لكى نقف موقفا يبدل من ذلك الاتجــاه ، وأنــه يجب أن يكون لنــا كلمة فــى الاصلاحات الدستورية عندما توضع على بساط البحث • كان الاصلاح يبدو وشيكا ، غير أنه يجب أن يفهم ــ فى هذا الجــو السياسى الذى يختلف الان اختلافــا كليــا عما كان عليه منــذ أربعين عاما ــ أنه كان اصلاحا محدودا جدا • كان على السيادة البريطانية فى الهند ، الادارية والتشريعية ، أن تبقى مصونة لا تمس ، ففــى اصلاحات مورلى ــ مينتو ، كما عرفت من بعد ، وفى قانون المجالس الهندية لعــام ١٩٠٧ ، ذلك القانون الذى كرس تلك الاصلاحات ، لم يكن هناك أى تلميح الى عملية تطوير نحو حكم ذاتى هندى نهائى ، كما لم يكن هناك أى تلميح الى نقل السلطة من الايدى البريطانية الى الايــدى الهندية • أن جون مورلى نفسه قال : « ان معطفا من الفراء قد يكون صالحا جــدا فى كندا ، غير أنه لا يفيد شيئا على الاطلاق فى الهند » • ــ وهذا يعنى ضمنا أن التطور السياسى والدستورى الذى خبرته كندا قد أنكر على الهند » •

« كل ما قصد من اقتراحات مورلى ــ مينتو أن تحققه ، وما حققته بالفعل ، كان تطــورا متواضعا فــى الامــور الطائفية والمحلية ، والسماح للهنود ، على نطــاق ضيق جــدا ، باعطــاء

المشورة حول شؤونهم الخاصة ، لا بالبت فيها أو اتخاذ القرارات بشأنها » ·

« غير أن هذه الاصلاحات ، ضمن هذه الحدود ، كانت تقدما وكانت مهمة بصورة خاصة من وجهة نظر المسلمين · كانت تجربتنا منذ اصلاحات كروس ـ لانسدون قد دلتنا على الطريق ، وعلمتنا أنه لم يكن لنا أمل فى انصافنا من طريق الانضمام الى حزب المؤتمر او التحالف معه · ولذلك فقد طلبنا من نائب الملك بشجاعة ، عام ١٩٠٦ ، أن يقف امام الحقائق وجها لوجه ، طلبنا أن يعتبر مسلمو الهند لا مجرد أقلية ، بل أمة ضمن أمة ، أمة يجب ان تضمن حقوقها وتعين واجباتها فى القانون»(١)·

ثم يعقب آغاخان تعقيبا عاما على قضية حقوق المسلمين فى الهند وعلى تكرار حدوث قضايا مماثلة فى تاريخنا المعاصر فيقول : « لقد دلل التاريخ أكثر من مرة منذ ذلك الحين ، بعد الحرب العالمية الاولى وتكرارا بعد ذلك ، ان وجود الاقليات — أو وجود طائفة واعية لوطنيتها ضمن أخرى ، طائفة أقل عددا ولكن ليست أقل ادراكا أو وعيا لنفسها كأمة من الاكثرية — هى قضية من أكبر قضايا عصرنا وأهمها · ان خرائط العالم مليئة بمشاكل هذه الاقليات — فى أيرلندا ، وبولونيا ، وتشيكو سلوفاكيا ، ويوغوسلافيا — بكل تعقيداتها ومصاعبها » (٢) ·

ويحدد آغاخان المطالب التى طالب بها مسلمو الهند لتكون موضع اعتبار الادارة البريطانية على هيئة مقترحات

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٥٥ — ١٥٦ ·
(٢) مذكرات آغاخان : نفس المصدر ، ص ١٥٦ ·

أصلاحية فى مطلع القرن العشرين وأوردها فى مذكراته بقوله : «فى عام ١٩٠٦ طلبنا لانفسنا انشاء مبدا ، مبدأ يجب أن يتسمله اى تشريع يكون نتيجة لهذه المقترحات الاصلاحية • لقد طلبنا ان يتمثل المسلمون بصورة كافية ومستقلة فى الهيئات المحلية والمجالس التشريعية معا ، كما طلبنا أن يجرى هذا التمثيل على أساس طائفى انتخابى مستقل • بالاختصار لقد قلنا اننا ، نحن المسلمين ، يجب ان يكون لنا الحق فى اختيار ممثلينا فى هذه الهيئات والمجالس ، وقبلنا أن نعطى ، فى المناطق التى كنا أكثرية ، من مثل البنجاب وما كان عندئذ مقاطعة البنغال الشرقية ، عددا معينا من المقاعد الاضافية للهندوس ، وذلك للمحافظة على مصالحهم ، غير أننا طلبنا لقاء ذلك أن نعطى عددا معينا من المقاعد الاضافية فى المناطق التى يشكل فيها الهنود أكثرية كبرى » •

ويشير آغاخان فى مذكراته الى ردود الفعل البريطانية ازاء هذه المطالب التى طالب بها مسلمو الهند فى سنة ١٩٠٦ بقوله : « استمع لورد مينتو بعطف الى البيان الذى تقدمنا به عن قضيتنا ، وأكد لنا أن مصالح الطائفة الاسلامية وحقوقها السياسية سوف تصان اذا ما طرأ أى تبديل فى الادارة • لقد قبل مبدأنا ، ومعظم مطالبنا بتفاصيلها ، ولو انها لم تقبل جميعا • وكان من الافضل فى رأيى ، لو أنه نص على عضوين هنديين فى مجلس نائب الملك التنفيذى ــ عضو مسلم وعضو هندوسى ــ بدلا من العضو الفرد الذى نص عليه أخيرا ، ولكن جون مورلى نفسه هو الذى قال لى عندما أثرت هذه النقطة من بعد : « من الافضل ألا تحصل على السلطة بأكثر مما ينبغى » •

« وقد لا يكون من الضرورى أن أؤكد على تهكم التاريخ بتلك الملاحظة ، غير أن اصلاحات مورلى ــ مينتو ، فى زمانها ،

كانت خطوة صادقة الى الامام · كنا قد وطدنا مبدأ سياسيا مهما ، مبدأ قدر لتطبيقه أن يكون منذ ذلك الحين فصاعدا احد الوجوه المهمة لجميع التطورات السياسية فى الهند · ولكن هذا المبدأ لم يقر دونما معارضة ، واذا كان هناك عنصر تهكم فى ملاحظة لورد مورلى التى اثبتها للقارىء فى السطور القليلة السابقة ، فان هناك رائحة تهكمية اشد فى اسم الخصم المسلم الاول للموقف الذى اتخذناه ، وفى شخصيته ايضا · ذلك ان قبول لورد مينتو لمطالبنا كان أساس جميع المقترحات الدستورية التى تقدمت بها الحكومة البريطانية المتعاقبة للهند ، وكانت نتيجته النهائية الحتمية تقسيم الهند وظهور باكستان » (١) ·

أما عن « الخصم المسلم الاول » للموقف الذى اتخذه آغاخان ومعظم مسلمى الهند فهو محمد على جناح الذى كان يعمل فى سنة ١٩٠٦ محاميا فى بومباى · وقد قال عنه آغاخان فى مذكراته: « لقد تعرفت اليه أول ما تعرفت عندما ··· أقام فى بومباى — دونما ثروة خاصة اطلاقا ودونما نفوذ — ثم نمى شهرته هناك بسرعة كمحام ومترافع بارع · ومنذ ذلك الحين ربطت بيننا الصداقة ، ولكنه تصدى الان بكل قوته لجميع ما فعلته وأصدقائى وما كنا بسبيل صنعه · كان المسلم المعروف الوحيد الذى اصطنع هذا الموقف ، ولكن معارضته لم تكن ناعمة اطلاقا ، قال ان مبدأنا القائل بالدوائر الانتخابية المستقلة كان تقسيما للامة بعضها على بعض ، وظل طيلة ربع قرن تقريبا أكبر خصم وناقد لنا » ·

وعلى الرغم من ذلك الموقف الذى اتخذه محمد على جناح المعارض لتقسيم الامة الهندية حينذاك ، فقد قال آغاخان

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٥٧ ·

فى مذكراته أن : « حماقة الاكثرية الهندوسية فى حزب المؤتمر وعنادهــا حولت هذا الداعية الاقوى لوحدة الهندية الى ألــد اخصام هذه الوحــدة » • ويضيف أغاخــان الى ذلك قوله ان محمد على جناح « بوصفه الزعيــم غير المنــازع لثمانين مليون مسلم » قد تحقق له النصر مؤخــرا « واعنى بــه انشاء دولــة الباكستان المستقلة ــ الذى كنا نحن (اى اغاخــان ورفاقه) نعمل له فى البداءة مداورة ودون ان ندرى ، والذى عمل له فى النهاية مباشرة وعن ادراك ووعى تامين وبجميع قــوى ارادته وعقله ، أما الآن فانى اكتفى بالاشارة الى ما تضمنه كل هذا من سخرية وتناقض » •

ويختتم آغاخــان فى مذكراته حديثه عن دوره فىمناصرة مسلمى الهنــد بقوله : « وقد بدا أن ما أنجزناه وتحققنا به فى عــام ١٩٠٦ مهما الى قدر كاف ، وكان واضحــا لنا ••• أننا لمــا كنا قد حصلنا على الاعتراف بحقنا فى الانتخاب المستقل ، علينا أن ننشىء المنظمة السياسية التى تجعــل من ذلك التمثيل المستقل أمــرا فعــالا مجــديا • لذلك أنشانا الرابطة الهندية الاسلامية فى اجتماع عقــد فى داكا فى ما بعد من تلك السنة نفسها ، وصدف أنى لم استطع حضوره ، ومع ذلك فقد انتخبت أول رئيس لهــا وبقيت كذلك حتى عــام ١٩١٢ • جميع هذه الاحداث ــ الوفد الذى قابل نائب الملك (البريطانى) ، وقبوله لمطالبنا ، وتأسيس الرابطة الاسلامية الهندية وانتخابى رئيسا لهــا ــ كانت بالنسبة الى ذروة فترة من الجهــد السياسى المركز • وكان لذلك الجهــد أثره الواضــح فى صحتى حتى أننى ، فــى أثناء زيارتى لســملا لمقابلة نائب الملك ، أصبت بالاغمــاء • كنت بحاجة الى الراحة ، وفكرت فــى أن أجمع الى ذلك توسيع

خبرتي وزيادة معرفتي، ولذلك شرعت فيجولة حول العالم»[1]۰

وأثناء قيام آغاخــان بدوره فــي مناصرة مسلمي الهند ، وصلته أنباء وفاة الملك ادوارد السابع ملك بريطانيا في شهر مايــو سنة ١٩١٠ ۰ وقد أشــار الى ذلك في مذكراته بقوله : « توفي صديقي العظيم الطيب ، الملك ادوارد السابع ، في لندن، وكما كان اخلاصــي وصداقتي يقضيان فقد أسرعت الى حضور جنازته ، وقابلت خليفته الملك جورج الخامس ۰ لقد دفن الملك (ادوارد السابع) في كنيسة سانت جورج في وندسور ، وكان مكاني في موكب الجنازة ومقعدي في الكنيسة بالقرب من العائلة المالكة والضيوف الملكيين من البلدان الاجنبية ۰۰۰ لقد كانت هناك عيون دامعــة كثيرة ذلك اليوم ، ولست أخجل من الاعتراف أني كنت بين الباكين ۰ وبعد ذلك بوقت قصير أصدر الملك جورج الخامس امــره الى وزارة الهنــد بدعوتي الى حفــلات التتويج بوصفي ضيف شرف عليه ، ولم تكن الدعوة تشمل الحفلة وحدها بل جميع الاحتفالات والمآدب والاستقبالات الرسمية وغــيرها ، لقد جلست في مقصورته أثنــاء الاحتفالات الخاصــة في دار الاوبــرا الملكية ۰ لقد اقيمت الاحتفالات بتتويج الملك جورج الخامس في شهر يونيــه من عــام ١٩١١ ، وكانت شاهدا على عظمة انكلترا وغناها وسلطانها ۰ غــير ان سنة ١٩١١ كانت سنة توتــر دولي متزايد ، كما أن النزاع السياسي الداخلي في بريطانيا حول اجراءات مستر لويد جورج الخاصــة بالميزانية وحــول أيرلندا والوضع الدستوري لمجلس اللوردات كان قــد اشتد اشتدادا عظيما ، غير أنه كان لموسم التتويج بريقه وبهجته الخاصــة ۰ ولقد تركت حفلات التتويج فــي نفسي انطباعــة

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ١٥٨ ۰

دائمـة كان سببها وجود ولى عهـد ألمانيا والانتبـاه الذى خص به والجهـد الصـادق المخلص الذى بذلـه الجميع ، من الملك والملكة فما دون ، لاقناعه بحسن نوايـا بريطانيـا ومقاصدها السلمية نحـو بلاده . أذكر أنه فى كوفنت غاردن كان يجلس الى يمين الملكة ، ورأيت الملكة بأم عينى منهمكة فى حديث جـاد، وان اكرامها له لم يكن يتسم بطابع الرسمية أو البرود » [1] .

وهكذا أوضح آغاخـان تأثره البالغ لوفـاة الملك ادوارد السابع ملك بريطانيا فى شهر مايو سنة ١٩١٠ الى حـد البكاء وهو فى موكب الجنازة بالقرب من العائلة المالكـة البريطانية والضيوف الملكيين من البلدان الاجنبيـة ، بمـا يظهـر صلته الوثيقة بالعائلة المالكة البريطانية من جهـة ، ومكانته المرموقة بين الضيوف الملكيين من البلدان الاجنبية من جهة أخرى . وهذه الصلة الوثيقة وتلك المكانة المرموقة هما نفس ما تمتع بهمـا فى حفـلات التتويج الخاصـة بالملك جورج الخامس فى جميع الاحتفالات والمآدب والاستقبالات ـ باعتبـاره ضيف شرف على ملك بريطانيا ـ والتى جـرت فى شهر يونيـه من عام ١٩١١ . ثم هنـاك ملاحظاته السياسية عن الموقف الدولى المتوتر حينذاك من جهة ، والجهود التى بذلها البريطانيـون من مستوى الملك جورج الخامس والملكة فما دون ذلك لاقناع ولى عهد ألمانيا بحسن نوايا بريطانيا ومقاصدها السلمية ازاء بلاده من جهة أخرى . وهى ملاحظات توضح عمق حاسة آغاخان السياسية وتفهمه لابعاد الموقف الدولى فى تلك الفتـرة الدقيقة التى سبقت قيام الحرب العالميـة الاولى .

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

أما بالنسبة لعلاقة آغاخان بالملك جورج الخامس فى أعقاب تتويجه فسوف تتوج هذه العلاقة عندما يقوم الملك بمنح آغاخان وسام « G.C.S.T. » أثناء زيارته والملكة للهند ، تلك الزيارة التى كانت الاولى من نوعها فى تاريخ الحكم البريطانى لشبه القارة الهندية · وفى ذلك يقول آغاخان فى مذكراته :

« بعد أشهر قليلة (من تتويج الملك جورج الخامس فى شهر يونيو سنة ١٩١١) شرع الملك والملكة فى رحلتهما الى الهند — وكانا أول ملك وملكة يزوران الهند ابان الحكم البريطانى · وفى أوائل عام ١٩١٢ أقيم استعراض التتويج الرائع فى دلهى ، فقد أعلن أن عاصمة الحكومة ستنقل من كلكتا الى دلهى ، وأن مدينة جديدة تتناسب مع مقام الامبراطورية الهندية وسلطانها وديمومتها (كما كان يبدو عندئذ) ستبنى ، كما الغى تقسيم البنغال ، واعترف بوضع عليكرة كجامعة ، فكان ذلك بمثابة الذروة لجهودى فى السنوات المنصرمة ولجهود أولئك الذين تعاونوا معى باندفاع وثبات عظيمين ··· وفى الاحتفال الذى قلدت فيه وسام «G.C.S.T.» وأقيم ليلا فى خيمة ضخمة منارة بالانوار الساطعة · كانت حفلة رسمية كاملة ، فقد جلس الملك — الامبراطور وزوجته — على العرش ، وتجمع نائب الملك وحكام المقاطعات وقائد الجيش ، وكبار قواد الجيش ، وحشد كبير من الامراء وكبار الموظفين البريطانيين والهنود ، من كل زاوية من زوايا الهند ، ليشهدوا مناسبة رسمية لا تنسى » [1] ·

تلك كانت ذكريات آغاخان عن الحفل الذى قلده فيه الملك « جورج الخامس » وسام « G.C.S.T » والذى حضره كبار

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٨٠ ·

المسئولين السياسيين والعسكريين البريطانيين فضلا عن الامراء وكبار الموظفين البريطانيين الهنود فى مناسبة استعراض التتويج فى مدينة دلهى العاصمة الجديدة لحكومة الهند البريطانية فى أوائل عام ١٩١٢ ٠ ولا شك أن هذا التكريم من قبل السلطات البريطانية على اعلى مستوى لاغاخـان ، كان له اكبر الاثر فى ارتباطه ببريطانيا ، وحرصه على مصالحها التى أتفقت ومصالحه الشخصية ، بما سينعكس بشكل واضح على مهمته فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى ، على النحـو الـذى سنوضحه فى ثنايا الصفحات التالية من هذه الدراسة ٠

أهمية الجيش الهندى فى استراتيجية بريطانيا الامبراطورية

لا شـك أن الجيش الهندى كانت لـه أهمية كبـيرة فـى استراتيجية بريطانيا الامبراطورية فى مطلع القرن العشرين ٠ وكان هذا هـو الاعتقـاد السائد لـدى المسؤلين مـن الهنـود والبريطانيين على السواء ، الذين كانوا يزدادون ادراكا لذلك يوما بعد آخر ، نظـرا للارتباطات واسـعة النطـاق للمصالح البريطانية مع مناطق عديدة من العالم ، بالاضافة الى الشعور المتزايد للقيادات المسؤلة عن الامبراطورية البريطانية بالتوتر الذى ساد العلاقات الدولية قبيل قيام الحرب العالمية الاولى على وجه الخصوص (١) ٠ وقد عبر آغاخـان عن ذلك فى مذكراته التى قال فيها : « كان الكثيرون منـا ، هنـودا وبريطانيين على السواء ، يزدادون ادراكا لاهمية الجيش الهندى فى استراتيجية بريطانيا الامبراطورية ، بارتباطاتها الواسعة والشعور المتزايد بالتوتر الدولى ٠ كان جيش بريطانيا النظامى — وكان جزء كبير منه يقيم فى الهند عادة — صغيرا بالنسبة الى جيوش أى من الدول

(1) Gooch and Temperley : British Documents on the Origins of the War, 1898 — 1914, Vol. IV — X.

التى كان يمكن ان تتحداها ، ولو انه كان حسن التدريب ، وكان افراده يتمتعون بروح معنوية عاليــة . كان هولدين بوصفــه وزيرا للحرب ، قد اعاد تنظيم الآلة الحربيــة تنظيما دقيقــا ، وابرز الى حيز الوجود الجيش الاقليمــى المؤلف من المتطوعين ، ولكن بريطانيا قد رفضت ان تستجيب للنداءات الملحــة التى كان يوجهها الفيلدمارشال المحنك ، لورد روبرتس ، لاحداث جهاز قارى للخدمة الوطنيــة العامــة . ولقد استطعت أن اربط بين الاعتراف المتزايد بحاجات بريطانيــا العسكرية ووضع الهنــد بالنسبة الى تلك الحاجات وبين شغفى وولعى بالثقافة الهندية... ففى مقــال كتبته لمجلة ناشونال ريفيو فى شهر يوليو ١٩١١ — ولم تكن مجلة اشاطرها سياستها الاستعمارية ، ولكنهــا كانت واسعة الانتشار بين اناس كنت تواقا الى أن أوصل آرائى اليهم — عرضت حججى بأقصى ما استطعت من القوة . لقد كتبت عندئذ : علموا ، علموا ، علموا . ألقوا ، ولو نظرة قصــيرة على مسألة اليــد العاملة . ان باستطاعة الهند ان تقدم الجنــود لافريقيا الجنوبيــة بالسرعة التــى يمكن ارســالهم بهــا من انكلترا . باستطاعتها أن تنزل الجنود فى أوستراليا قبل ان يتسنى ذلك لانكلترا بوقت طويل . وبوسع القوات أن تصــل من الهنــد الى كنــدا الغربيــة بالسرعة التى تصــل بهــا القوات من انكلترا تقريبا . فــاذا أمكن تعليم الاعــداد الغفــيرة من الهنــد أنهم حراس التــاج ومعاضدوه ، شأن مواطنى الامبراطورية البيض تماما ، فعندئذ يدرك الجميع أن الهند ودول الدومينون المستقلة تقف وتهوى معــا ، يشد بعضهــا الى بعض طائفــة من المصالح وتجمع بينها قضية مشتركة واحــدة . ان من الواجب اعطــاء الهنود الثقــافة التى تؤهلهــم لان يلعبــوا دورهــم المقبل فى

الامبراطورية البريطانية » (١) ٠

وهكذا يتضح من مذكرات اغاخان اعتقاده التام — وهو نفس الاعتقاد الذى كان سائدا لدى الكثيرين من المسؤلين من الهنودوالبريطانيين على السواء — باهمية الجيش الهندى واليد العاملة الهندية فى استراتيجية بريطانيا الامبراطورية فى مطلع القرن العشرين ، نظرا للارتباطات واسعة النطاق للمصالح البريطانية مع مناطق عديدة من العالم ، بالاضافة الى الشعور المتزايد لدى القيادات المسؤلة عن الامبراطورية البريطانيه بالتوتر الذى ساد العلاقات الدولية وخاصة قبيل قيام الحرب العالمية الاولى ٠ ذلك لان جيش بريطانيا النظامى ، والذى كان جزء كبير منه يقيم فى الهند عادة ، كان يعتبر صغيرا بالنسبة الى جيوش اى من الدول التى كانت بريطانيا على وشك الوقوف موقف التحدى ازاءها حينذاك ٠ هذا على الرغم من ان الجيش البريطانى كان حسن التدريب ، كما كان أفراده يتمتعون بروح معنوية عالية ، وكان ذلك نتيجة طبيعية للدور الذى قام به « هولدين » وزير الحرب البريطانى فى ذلك الحين من اعادة تنظيم الجيش البريطانى تنظيما دقيقا ، فضلا عن أبرازه الى حيز الوجود للجيش الاقليمى المكون من المتطوعين ، غير أن الحكومة البريطانية رفضت الاستجابة للنداءات الملحة التى كان يوجهها « الفيلد مارشال لورد روبرتس » لانشاء جهاز قارى للخدمة الوطنية العامة ٠

وهنا أبدى آغاخان حرصه على ابراز أهمية دور الهند ورجالها فى الوفاء بحاجات بريطانيا العسكرية ، وكان تواقا الى وصول رأيه هذا الى البريطانيين ولو عن طريق نشره فى مجلة

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٨١ — ١٨٢ ٠

« ناشونال ريفيو » ـ المعروفة بسياستها الاستعمارية التى تتعارض ومبادئه الخاصة ـ نظرا لما تتميز به هذه المجلة من سعة انتشار • وهكذا وجه آغاخان من خلال هذه المجلة فى شهر يوليو ١٩١١ رايه هذا مؤيدا اياه بأقصى ما استطاع ايراده من حجج • وفى مقدمتها ان باستطاعة الهند ان تقدم الجنود الهنود لافريقيا الجنوبية بالسرعة التى يمكن ارسالهم بها من انجلترا • وباستطاعتها أيضا أن تنزل الجنود الهنود فى استراليا قبل أن يتسنى ذلك لانجلترا بوقت طويل ، كما أنه بوسع القوات الهندية ان تصل من الهند الى كندا الغربية بالسرعة التى تصل بها القوات البريطانية من أنجلترا تقريبا • وبذلك ينطلق آغاخان لاقناع البريطانيين بأهمية اقناع الاعداد الغفيرة من الهنود واشعارهم بأنهم حراس التاج البريطانى ومسانديه ، شأنهم فى ذلك شأن مواطنى الامبراطورية البريطانيه البيض تماما • وكان يهدف من وراء ذلك تحقيق المصالح البريطانية من جهة ، وحث البريطانيين على ان يحسنوا معاملتهم مع مواطنيه الهنود من جهة اخرى ، دون أدنى تفرقة بينهم وبين مواطنى الامبراطورية البيض طالما ان الجميع يتساوون فى الواجبات فليتساووا ايضا فى الحقوق ، وحتى « يدرك الجميع أن الهند ودول الدومينون المستقلة تقف وتهوى معا ، يشد بعضها الى بعض طائفة من المصالح وتجمع بينها قضية مشتركة واحدة » • ولهذا فقد طالب آغاخان البريطانيين بوجوب « اعطاء الهنود الثقافة التى تؤهلهم لان يلعبوا دورهم المقبل فى الامبراطورية البريطانية » •

ثم يعقب آغاخان فى مذكراته على مقاله هذا الذى نشره فى مجلة « ناشونال ريفيو » فى شهر يوليو سنة ١٩١١ والذى أشار فيه الى أهمية الدور الذى يمكن أن يلعبه الهنود فى مساندة

بريطانيا ، والذى لفت فيه أنظار البريطانيين الى أهمية تثقيف الهنود لتأهيلهم للقيام بهذا الدور فيقول : « وفى حربين عالميتين قدر لاحداهما ان تنشب بعد ثلاث سنوات فقط من كتابة هذه الكلمات ، تبين انه كان لحججى ما يبررها جميعا » (١) فقد بدت بشكل واضح للغاية اهمية الجيش الهندى فى استراتيجية بريطانيا الامبراطورية اثناء الحرب العالمية الاولى ، مما سيجعل بريطانيا تكلف آغاخان بمهمته فى مصر فى بداية تلك الحرب . وكانت تهدف من وراء ذلك قيام اغاخان بتهدئة الهنود المسلمين الموجودين فى صفوف الجيش البريطانى فى مصر حينذاك ، واقناعهم بتوجيه ضرباتهم الى القوات العثمانية المسلمة ، للاعتبارات التى سيسوقها آغاخان اليهم والتى سنتناولها فى الصفحات التالية من هذه الدراسة . وكان يدفع بريطانيا الى ذلك أهمية الدور المناط بالجيش الهندى فى استراتيجيتها الامبراطورية أثناء الحرب العالمية الاولى بطبيعة الحال .

زيارة آغاخان لروسيا فى خريف عام ١٩١٢

من بين الزيارات الهامة التى قام بها آغاخان لدول أوربا المختلفة زيارته لروسيا فى خريف عام ١٩١٢ . وكان « القيصر نيقولا الثانى » قد زار الهند عندما كان وليا للعهد ، ولم يكن آغاخان قد التقى به منذ ذلك الحين ، كما أنه لم يلتق به أيضا أثناء زيارته لروسيا . وقد قال آغاخان عن هذا القيصر فى مذكراته : « كان القيصر نيقولا الثانى — وكان حجمه ضعف حجم ابن عمه الملك جورج الخامس — قد زار الهند عندما

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

كان وليـا للعهـد ، غير أن ذلك كان فى سنوات كثيرة قبل ذلك ، ولم اكن قد اجتمعت به منذ ذلك الحين • كان كثير من أقربائه يزورون جنوبى فرنسا ــ وكان من بينهم بوربس والغراندوق نيقولا وشـقيق القيصر الغراندوق ميشـال ــ وكانت تربطنى بعدد منهم صداقة حميمة ، وكثيرا مـا دعونـى الى زيارتهم فى منازلهم » (١) •

ويستطرد آغاخـان موضحـا فى مذكراته طبيعة الحياة فى روسيا حينذاك ويقارنها بطبيعة الحياة فى بلدان أوربا الاخرى فيقول : « كان لحيـاة النبـلاء والطبقـة الارستقراطية فـى انكلترا وكثير من البـلاد الاوربية الاخرى جلالهـا وأبهتهـا ، ولكنها لم تكن شيئا بالنسبة الى حيـاة الابهـة والسعة التى كان يحيـاها الارستقراطيون الروس فى بطرسبرج ، والتى شهدتها ذلك الشتاء ••• وبالرغم من الحيـاة الاجتماعية المليئـة التى عشتها مـع شقيق القيصر ، غراندوق ميشـال ، وأبنـاء عمه وضباط فصائلهم من الدرجة الاولى فانى لم اجتمع قط بالقيصر ولم اقابله اطلاقا • كان يعيش عيشة متوحدة ، وفى السنوات الاخـيرة من حكمه الكئيب اشتدت عزلته وضاقت دائرته ••• ولقد قيل لى أنى اذا أردت ان أقابله كان على أن أتقـدم بطلب رسمى بالطرق الديبلوماسية ، وان تلك المقابلة يجب أن تتخذ طابع زيارة رسمية ، ولذا لم أقم حتى بمحاولة مقابلته » •

كما يقارن آغاخـان بين حالة عمـال موسكو حينذاك وبين حالة عمـال بومبـاى فيقول : « وكانت الهـوة بين الاغنيـاء والفقـراء مهولة حقـا • لقد أقدمت على دراسة الاحوال العمالية

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ١٨٢ •

فى المعامل ومصانع النسيج فوجدت انها كانت تشبه من نواح عديدة معامل القطن فى بومباى ، ولكن الظروف والاحوال فيها كانت أسوأ الى حد بعيد . وبوسعى أن أقول دونما تردد أنه مهما كان عمال مصانع بومباى فى تلك الايام فقراء وتعساء وسيئى التغذية فانهم كانوا يبدون اسعد وأكثر حياة من أمثالهم من عمال موسكو . فى بومباى كان بوسعك على الاقل أن ترى وجوها باسمة ، فى حين ان العمال فى كل مصنع من مصانع موسكو كانوا يبدون هزيلين منهوكى القوى يكادون يموتون من التعب والضنك . ومع ذلك فانى اشك فى أن عمال موسكو كانوا يتقاضون اجورا ادنى من عمال بومباى أو ان تغذيتهم كانت أكثر سوءا . وفى اعتقادى أن السبب يكمن فى حقيقة بسيطة ، الطقس . ففى ساعات راحته ، لمدة ثمانية أشهر من السنة على الاقل ، كان فى استطاعة العامل فى بومباى ، مهما كان فقيرا مدوسا بالاقدام ، أن يمشى فى الهواء الطلق وأن يرى الشمس والقمر والنجوم . أما عامل موسكو فلم يكن باستطاعته الا أن يبقى فى الداخل ثمانية أشهر من كل سنة على الاقل — فى جو المصنع الحار العابق بالبخار أو فى الغرفة الصغيرة المكتظة الحارة فى احدى البنايات الكبيرة الاشبه بالثكنة » (١) .

ولا شك أن ملاحظات آغاخان ومقارناته المختلفة انما تعبر بوضوح عن سعة أفقه ودقة ملاحظاته ، فهو يتنقل بعقلية نقدية وفكر منظم من مقارنة حياة طبقة النبلاء والارستقراطية الروسية بحياة الطبقات المناظرة لها فى انجلترا وغيرها من الدول الاوربية الاخرى ، موضحا نقاط الاتفاق والاختلاف ،

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

ومعللا ما وراء كل منهـا من أسباب • وهو نفس المنهـج الذى اتبعـه فى مقارناته الاخرى عندمـا تعقب طبقـة العمـال فى روسيا وقارن بينها وبين الطبقة العاملة فى بومبـاى ، متوغلا فى أعماق كل منها تعمق المعايش لافرادها والمتلمس لمعاناتها • وسيبدو تمرس آغاخـان على التقاط الصورة الدقيقة للمجتمعات التى عايشها وكتب عنها فى مذكرته السرية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى على النحو الذى سنتناوله بالدراسة فى الصفحات التالية من دراستنا هذه •

آغاخـان وأنبـاء حروب البلقان عام ١٩١٢

تلقى آغاخـان أثناء زيـارته لروسيا فى خـريف عـام ١٩١٢ الانباء الخاصة بنشوب حروب البلقان ، والتى تمثلت فى هجوم عدد من بلدان شبه الجزيرة البلقانية على الدولة العثمانية ثم اشتباكاتها الداميـة بعضها ضـد بعض • وكان نشوب هذه الحروب يشكل أول عود ثقاب أوقد لهيب الحرب العظمى الأولى التى شملت العالم كله بعد ذلك بعامين • وقد تحدث آغاخـان فى مذكراته عن هذه الحروب البلقانية فقـال : « وفى أثنـاء وجودى فى روسيا ـ فى خريف عـام ١٩١٢ ـ أشعل أول عود ثقاب أوقد اللهب الذى قدر له أن يشمل العالم كله • فحروب البلقان ـ أولا هجوم عدد من بلدان البلقان على الامبراطورية العثمانية ، ومن ثم اشتباكاتها الدامية بعضها ببعض ـ لم تكن عندئذ تلك النزاعات المحلية التى حـاول الكثـيرون أن يقنعوا أنفسهم بأنها كانت كذلك ، بل الحق أنها كانت الدليل القاطع على ما كتب له أن يحدث • فتركيا ، التى كانت مصاعبها الداخلية قد تكاثرت فى السنوات الاخيرة ، تلقت صفعـات متواليـة من أعدائها ، وكانت الاخبـار السيئة تصل الى العالم الخارجى يوما

اثر يوم " ومـا ان وصلت الى باريس ، وقبل أن أغادرهـا الى الهنـد ، حتى كانت الورطة التى تردت فيها تركيا قد اتضحت ، وبدا أن صيرورتها تحت رحمة أعدائها كانت مسألة وقت ليس غير ، واهتاجت مشاعر مسلمى الهنـد ، لا بل العالم الاسـلامى بأسره ، اهتياجا شديدا • أما أنا فقد أسرعت قدر استطاعتى فى العودة الى بومباى ، فوجدت أن أقرب أصدقائى ومعـارفى قد نشطوا الى مؤازرة الاتراك • لقد أنشـأوا منظمة تمثل مختلف فروع الرأى العـام الاسلامى فى الهند وتضم الكثيرين من أولئك الذين كانوا على صلة وثيقة بعليكره ، وكانت غاية هذه المنظمة أن تؤدى كل مساعدة ممكنة لتركيـا وممارسة أكبر قـدر من الضغط على الحكومة البريطانية لبذل نفوذها لدى اتحـاد أوربا لجعل الهزيمة محمولة ومشرفة للاتراك • وقد قامت هذه المنظمة ببادرة عون عملية فجهزت وأرسلت بعثة هلال أحمر طبية جعلت على رأسها الدكتور أنصارى ، وكان من أبرز أطباء الهند • ولقد كان ذلك هو النوع من العمل الانسانى الذى أسعدنى أن أعضده وأسانده ، فأسهمت فى قروض تركيا الحربية ، غير أنى وجدت نفسى على اختلاف محزن فى الرأى مع أكثرية اخوانى المسلمين فى الهنـد نحو موقف معين من هذا النوع — اختلاف فى الرأى يؤسفنى أن أقول أنه قطع الى أجل مـا صـلات كانت حتى ذلك الحين وثيقـة وحميمة بينى وبين زعمـاء مسلمين آخرين فى الهنـد » (١) •

وهكذا يوضح آغاخـان أن حروب البلقان التى نشبت فى خريف عـام ١٩١٢ بين دول البلقان والدولـة العثمانية والتى بدت نتائجها فى غير صالح العثمانيين ، قد أثارت مسلمى الهند

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ١٨٨ — ١٨٩ •

والعالم الاسلامى بأسره ، لتعاطفه مع دولة الخلافة الاسلامية • كما أوضــح آغاخــان الجهــود التى بذلت من قبــل مســلمى الهند ــ ومن بينهم أقرب أصدقاء آغاخــان ومعارفه ــ لمؤازرة العثمانيين المسلمين • وقد أنشــأوا منظمة تمثل مختلف فروع الرأى العــام الاسلامى فى الهنــد ، وتضم الكثيرين من أولئك الذين كان لهم صلة وثيقــة بجامعــة عليكرة • وكانت غاية هذه المنظمة أن تؤدى كل مساعدة ممكنة للدولة العثمانية وممارسة أكبر قدر ممكن من الضغط على الحكومة البريطانية لبذل نفوذها لدى اتحاد أوربا لتخفيف وطأة الهزيمة وجعل نتيجتهــا مشرفة للعثمانيين • وقد قامت هذه المنظمة بتجهيز بعثة هلال أحمر طبية جعلت على رأسها الدكتور أنصارى الذى كان من أبرز أطبــاء الهند • وهنا يشير آغاخــان الى أن ذلك هــو النــوع من العمل الانسانى الذى أسعده أن يعضده ويســانده ، مما جعله يسهم فى قروض الدولة العثمانية الحربية •

ولكن آغاخــان أبدى أنه وجد نفسه على اختلاف محزن فى الرأى مع أكثرية اخوانه المسلمين فى الهند ازاء قضية مساندة الدولة العثمانية • وأن هذا الاختلاف فى الرأى يؤسفه أن يقول أنه قطع الى أجل ما صلات كانت حتى ذلك الحين وثيقة وحميمة بينه وبين زعمــاء مسلمين آخرين فى الهنــد • وهذا يظهر أن آغاخــان كان قد اختار موقفه فى اتجاه معاكس لاتجاه أكثرية اخوانه المسلمين فى الهند على النحــو الذى سنوضحه فى الصفحات التاليــة •

موقف آغاخـان المواكب لبريطانيا

اختار آغاخـان موقفا مواكبـا لبريطانيا ومخالفـا لموقف أكثرية اخوانه المسلمين فى الهنـد بالنسبة لقضية مساندة الدولة العثمانية فى اعقاب الحرب التى نشبت بينها وبين دول البلقان فى خريف عام ١٩١٢ والتى شكلت أول عود ثقاب أوقد لهيب الحرب العظمى الاولى • وقد فلسف آغاخـان موقفه هذا بقوله : « كنا نقدم أقصى ما نستطيع من المساعدة لتركيا ، ولكن كم كان مبلغ تلك المساعدة ، فى الحقيقة ؟ لم نكن طبعا ، أسياد أنفسنا ، وكان كل تأثيرنا فى السياسة البريطانية نحو القضية البلقانية التركيـة بأجمعها ضئيلا تافهـا • لقد اعـارت الحكومة أذنـا صاغية ، ولو بعيدة ، لتوسلاتنا الحـارة ، ولكن كان باستطاعتها أن لا تعيرنا أيما اهتمام عملى • وكان الرأى العـام البريطانى فاترا عمومـا ازاء الامبراطوريـة العثمانيـة ــ رجـل أوربا المريض ــ كما كانت تصوره الرسوم الكاريكاتورية السياسية فى (بانش) وغيرها من الصحف ، كما أن الحالة السياسية فى أوربا كانت متوترة تنذر بالخطر ، وكانت صديقـات بريطانيـا فى اتحـاد أوربا ــ فرنسا وروسياوايطاليا الى حد أقل ــ غير ميالة الى مساعدة تركيا لانها كانت تهتم قبل كل شىء آخـر بتفـادى الاصطدام بألمانيا والنمسا • وهكذا فان سياسة عدم التدخل هى أقصى ما كانت بريطانيا ترغب فى الذهاب اليه ، غير أن الرأى العـام الاسلامى فى الهند كان أكثر اتقادا الى حد بعيد ، ذلك أن شرف الاسلام ووحدتـه كانا فى خطـر ، وعلينـا أن نحض الاتراك على الثبات ، وعلى مواجهة كل خطر ، وعلى القبول بكل تضحية ، وعلى الاستمرار فى الحرب حتى نهايتها القصوى » •

ويستمر آغاخـان في توضيح موقفه المخالف لموقف الاكثرية

من اخوانه المسلمين فى الهند والمتعاطفين مع الدولة العثمانية فيقول : « تلك كانت مشاعر جميلة ، ولكنـى تحفظت ازاءها واعترضت على ما كانت تذهب اليه • لقد ذكرت انه لم يكن فى مقدورنا فعلا ان نساعد الاتراك ، واننا مهما كانت مشاعرنا كريمة فياضة ، كما كانت بالفعل ، فاننا كنا عاجزين فى ذلك الوقت على ان نحول مشاعرنا الى عمل ، واشرت ايضا الى ان دعوتنا الاتراك الى الصمود والقتال والموت حتى آخر فرش واخر تركى ، بينما نظل نحن على قيد الحياة ، لم تكن دعوة منصفة بل ظالمة للاتراك ، ذلك انها لم تكن لتساعدهم ، بل لتزيد فى شدة الورطة التى كانوا مترددين فيها • ولم اتانق فى كلماتى عندما اعطيت تصريحا صحفيا لصحيفة (دى تايمس أوف انديا) التى كانت اوسع الصحف انتشارا وأكثرها مسؤولية فى الهند • لقد قلت فى ذلك التصريح أنه كان جميلا جدا وحسنا جدا أن نطير برقيات الى الاتراك نقول فيها : « اصمدوا ، تابعوا كفاحكم ! لا تقبلوا الهزيمة ، مهما كانت التضحية ! » ولكننا نحن الذين أرسلنا البرقية كان باستطاعتنا أن نذهب من ثم الى بيوتنا وننام مطمئنين فى فرشنا • هذه التعليقات لم ترق للرأى العام ، بل أنها سببت عاصفة من احتجاج المسلمين فى طول الهند وعرضها • غير أن تلك العاصفة ، شأن غيرها من العواصف ، قد مرت ، وسريعا ما نسيت هذه المجادلة فى خضم الاخطار والمشاكل التى خلفتها الحرب العالمية الاولى » (١) •

هكذا فلسف آغاخان — على نحو ما بدا فى مذكراته — موقفه المتعارض مع موقف الاكثرية من مسلمى الهند المتعاطفين مع الدولة العثمانية • ومن الواضح أن آغاخان اتخذ هذا

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٨٩ — ١٩٠ •

الموقف نتيجة لادراكه لاتجاه الرأى العام البريطانى حينـذاك والذى اتسم بالفتور بوجه عـام ازاء الدولة العثمانية التى أطلق عليها — رجل اوربـا المريض — كما كانت تصورهـا الرسـوم الكاريكاتوريه السياسيه فى الصحف البريطانيه وخاصه صحيفه « بانش » كما اشار الى ذلك اغاخـان فى مذكراته • كذلك انطلق موقف اغاخـان غير المتعاطف مع الدوله العثمانيه نتيجه لادراكه بعدم ميل كل من فرنسا وروسيا وايطاليا صديقات بريطانيا فى اتحـاد اوربا ، الى مساعدة الدوله العثمانيه ، وذلك حرصا من جانبها على تفادى الاصطدام بالمانيا والنمسا • بل ان اغاخـان كان يعرف تماما ان اقصى ما كانت بريطانيا ترغب فى الوصول اليه هو تحقيق سياسة عدم التدخل فى تلك الحرب ، وهو نفس الموقف الذى التزم بـه اغاخـان مخالفـا بذلك موقف الاغلبيه العظمى من مسلمى الهنـد • واختتم اغاخـان تبريره لموقفـه هذا بان عاصفة الاحتجـاج التـى قوبل بهـا من قبل مسلمى الهند — شأنها شأن غيرها من العواصف — قد مرت ، « وسريعا ما نسيت هذه المجادلة فى خضـم الاخطـار والمشاكل التى خلفتها الحـرب العالمية الاولى » على حد تعبيره • ولكننا نخلص من هذا أن آغاخـان قد اختـار لنفسه موقفـا مواكبـا لموقف بريطانيا وحلفائها بالنسبة لقضية مساندة الدولـة العثمانيـة فى أعقاب الحرب التى نشبت بينها وبين دول البلقان فى خريف عام ١٩١٢، ولم يهمه حينذاك اختلاف موقفه هذا مع الاغلبية العظمى لمسلمى الهنـد حتى أن عاصفة الاحتجاج التى قوبل بها من جانبهم قدر لهـا أن تنسى فى خضم الاخطار والمشاكل التى نجمت عن قيام الحرب العالمية الاولى •

تحركات آغاخـان قبيل قيام الحرب العظمى الاولى

قام آغاخـان فى مطلع عام ١٩١٤ وقبيل قيـام الحـرب **العظمـى الأولى بتحركـات شملـت تفقـد أحـوال الطائفـة** الاسماعيلية فى بورما ، وانتقل منها الى أوربا ، ثم توجه بعد ذلك الى أفريقيا الشرقية الالمانية حيث بلغته أنباء اعلان بريطانيا الحرب على المانيا فى اليوم الرابع من نوفمبر سنة ١٩١٤ (١) ٠ ومن خلال تتبعنا لهذه التحركات تبينا حرص آغاخـان على توجية النصح لاتباعه الاسماعيليين بالاندماج بسكان البلاد التى يقيمون فيها الى أقصى طاقتـهم اجتماعيـا وثقافيا ، على نحو ما أبداه فى مذكراته بقوله : « فى الاشهر الاولى من عام ١٩١٤ قمت بزيارة بورما حيث اتخذت خطوةعلى جانب من الاهمية بالنسبة الى اتباعى الاسماعيليين ٠ لقد نصحتـهم بالاندماج بسكان البلاد الى اقصى طاقتهم ، اجتماعيا وثقافيا ٠ وبالرغم من ان بورما كانـتملحقة بالامبراطورية البريطانيـة وكانت فى هذا الوقت تحت اشراف وزارة الهند ، فانها كانـت بلادا يزداد فيها الشعـور الوطنـى والاحساس بالقومية،وهكذا اقتنعت بأن السياسة الوحيدة العاقلة الصحيحة التى كان يجدر باتباعى اتباعها هـى أن يندمجوا الى أقصى حد ممكن بالحياة الاجتماعية والسياسية فى بورما ، وأن يتخلـوا عن أسمائهـم الهنديـة ــ الاسلاميـة ، وعن عاداتهـم وتقاليدهم ، وأن يتخذوا بصورة دائمـة وطبيعية أسمـاء أولئك القوم الذين كانوا يعيشون بينهم وعاداتهم وتقاليدهم ، والذين كانوا يشاطرونهممصيرهم ٠ »

«ومن بورما قمت برحلة قصيرة الى أوروبا فى ذلك الربيـع

---

(١) فشـر ، هـ ٠ أ ٠ ل ٠ : **المصدر** السابق ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ٠

الاخير من الحقبة التاريخية القديمة وبداءة صيفها (عام ١٩١٤) ومن هناك ذهبت الى افريقيا الشرقية • ولقد ادهش اتباعى هناك نوعا واحزنهم كثيرا ان السلطات فى افريقيا الشرقية الالمانية طلبت منى ان لا ازور ارضها • فبينما كنت فى طريقى الى افريقيا الشرقية اغتيل الارشيدوق فرانسوا فرديناند وزوجته فى بلده ساراجيفو الصغيرة على حدود البوسنة ، مما كان السبب لاثارة النزاع • ولم اكد اصل الى زنجبار حتى تحرج الموقف ، وفى الايام الاخيرة من يوليو والايام الاولى من اغسطس (عام ١٩١٤) جرى تبادل برقيات متزايدة الخطورة • لقد اشتعلت الحرب بين روسيا والمانيا ، وغزا الالمان بلجيكا وفى اليوم الرابع من نوفمبر (عام ١٩١٤) اعلنت بريطانيا الحرب على آلمانيا • » (١)

ومن الواضح أن قرار السلطات الالمانية فى أفريقيا الشرقية بالحيلولة دون دخول آغاخان الى منطقة نفوذها رغم وجود عدد كبير من أتباعه هناك الذين ادهشهم هذا القرار واحزنهم ، فان ذلك يرجع الى ادراك هذه السلطات الالمانية لهوية أغاخان السياسية المنحازة الىجانب بريطانيا ، والا لما اتخذت مثل هذا القرار •

انضمام آغاخان الى صف بريطانيا فى الحرب العالمية الاولى

لقد حدد آغاخان موقفه بوضوح تام فى بداية الحرب العالمية الاولى بالانضمام الى صف بريطانيا ، التى ارتبطت مصالحه الخاصة بمصالحها ، ليس فقط من ناحية ظروف معيشته

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٢ •

وارتباطاته الشخصية ، ولكن من ناحية مكانتــه كامام للطائفــة الاسماعيلية التى يعيش معظم أتباعها فى مناطق نفوذ بريطانيا والدول التى تحالفت معها فى الحرب العالمية الاولى ٠

ولهذا فاننا نجد آغاخان يشير الى ذلك بوضوح فى مذكراتــه فيقول : « لم أتردد ولم أحجم عن أتخاذ موقف حازم ٠ فمطامعــى ومطامحى وآمالى ومصالحى كلها تقلصت الى قرار أو قراريــن شخصيين منفردين ٠ لقد طغى على انفعال واحد : أن أذهــب الى انكلترا بأسرع ما أستطيع واعرض خدماتــى بأية صفة يمكــن الافــادة منها على الوجــة الاكمل ٠ كنت فى صحة جيدة ، وكنت ما أزال شابا وقويا ، وكان محلى مع البريطانيين ٠ » [١]

ثم يحدد آغاخان الخطوات التى ترتبت على انضمامه الى صف بريطانيا فى بداية الحرب العالمية الاولى بكل ما يملك من امكانات وطاقــات فيقول : « لقد أعدت فورا ودون تعليــق وسام التاج الالمانــى (من الدرجــة الاولى) الذى كان القيصــر قد منحنى ، ايــاه ٠ [٢] ، وأبرقت بتعليماتى الى أتبــاعى فى جميع الاراضى البريطانيــة وعلى حدودها بوجوب تقديم كل مســاعدة ومؤازرة ممكنه للسلطــات البريطانيــة فى منطقتهم وعرضت خدمــاتى الشخصية على المعتمد البريطانى فى زنجبــار ، وقمت بالخطوات الاولى لتنظيم فصيلة للنقل من بين أفراد الجــالية الهندية كيمــا تساعد على المحافظة على المواصلات من الشــاطىء الى الداخل ، ثم أسرعت فى السفر الى انكلترا ٠ وكانت هناك شائعات ـــ ثبت فيما بعد أنها كــانت صحيحة ـــ تقول بوجود غزاه بحريين فى المحيــط

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ١٩٢ ٠

(٢) كان آغاخان قد زار المانيا أثناء جولته فى أوربا عام ١٩٠٠ ، وأثناء مقابلته للقيصر ويليام الثانى فى بوتسدام فقد قلده هذا الوسام ٠ مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ٠

الهندى ، فطلبت منى سلطات زنجبار أن لا اذهب الى مومباسا كما كنت أنوى ومنهـا الى انكلترا فى أول سفينة ، بل اسافر بطريق افريقيا الجنوبية • ومن الاتحـاد (اتحاد جنوب افريقيا) مررت الى انكلتـرا ووصلت الى لنـدن فى منتصف شهر سبتمبر (عـام ١٩١٤) • (١)

وقد تحددت فى لندن المهام التى أسندها المختصون البريطانيون لآغاخان فى بداية الحرب العالمية الاولى ، مهمة فى اعقاب الاخرى مستثمـرين فى ذلك مكانتـه كزعيـم للطائفة الاسماعيليـة ، واستعداده الكامـل لتقديم خدماتـه باخلاص تام للمصالـح البريطانيـة •

دور آغاخان فى التفاوض مع العثمانيين

وصل آغاخان الى لندن فى منتصف شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ ، وسارع بتقديم نفسه للسلطـات البريطانيـة لتحديد المهام التى يمكنه أن يقوم بأدائها من أجل تحقيق المصـالح البريطانية وفى ذلك يقول آغاخانفى مذكراته :«واذ لم أكن أملك خبرة عسكرية فقد بدا لى أن اسهامى فى المجهود الحربى سيكون متواضعا ، غير أنى تطوعت للخدمة فى صفوف أية وحـدة من وحدات الجيش البريطانى أو الهندى ، وزرت لورد كيتشنر Lord Kitchener ، وزير الحـربية ، الذى كنـت قد عـرفته جيـدا فى الهنـد ، والذى خدمت معه بصفتى عضوا فى مجلس نائب الملك التشريعى قبل ذلك بأكثر من عقد من السنين ، وألححـت عليه بوجـوب

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٢ •

انخراطى كجندى فى فرقة الجنود الهندية التى كانت آنذاك فى طريقها الى الجبهة الغربية • » (١)

غير أن « لورد كيتشنر » وغيره من الساسة البريطانيين كانوا يدركون أهمية الدور الذى يمكن ان يقوم به آغاخان ، ليس فى المجال العسكرى ، بل فى المجال السياسى الذى يمكن أن تترتب عليه نتائج أبعد مدى فى تحقيق المصالح البريطانية • وانحصرت أهداف البريطانيين حينذاك فى العمل على اقناع العثمانيين بعدم الانضمام الى دول وسط اوروبا والتمسك بالحياد لهذا تنبه الساسة البريطانيون الى الاستفادة من اغاخان بماله من مكانة دينية ، وصلات ودية ، حيث كان يحظى باحترام الكثيرين من كبار الاتراك وثقتهم ، فى ان يقوم بمهمة الاقناع هذه لدى السلطات العثمانية • ووجدت هذه الرغبة التى أبداها الساسة البريطانيون استجابة طيبة من قبل أغاخان عبر عنها بوضوح فى مذكراته فقال : «غير ان كيتشنر ، الذى كان ذا خبرة واسعة عميقة بأمور الشرق كانت له نظرة اخرى فى نوع الخدمة التى كان يوسعى أن أؤديها • كان يدرك تمام الادراك المخاطر والامكانات الكامنة فى اشراك شعوب شرقية أكثر يتها من المسلمين فى حرب شاملة كهذه • وكانت دسائس المانيا ونفوذها فى القسطنطينية قد ازدادت ازديادا عظيما فى السنوات الاخيرة ، وكان حلمها العظيم بزعامة ألمانية تمتد من برلين الى بغداد أحد الاوهام التى سيطرت على المفكرين والأساتذة الاستعماريين الألمان• أما الحكومة التركية فقد بدت ممزقة عاجزة تمام العجز عن اتخاذ قرارات مستقلة فعالة •»

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٢ •

ويستطرد آغاخان موضحا فى مذكراته الأهداف البريطانية التى حددت مهمته فى بداية الحرب العالمية الاولى فيقول : «واما بالنسبة لبريطانيا فقد كان من الأمور الأساسية ان تحتفظ باشرافها وسيطرتها على الشريان الحيوى للامبراطورية : الممر البحرى عبر البحر المتوسط ، وقناة السويس ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهندى الذى لم يكن يؤدى الى الهند فحسب ، بل الى أستراليا ونيوزيلندا واراضى المستعمرات فى آسيا الجنوبية الشرقية • فى هذا الخضم من الحاجات والموجبات السياسية والاستراتيجية بدا للحكومة البريطانية اننى كنت احتل منزلة على جانب عظيم جدا من الأهمية ، وأفهمنى كيتشنر بصورة جازمة ان الانخراط فى الجندية لم يكن السبيل الاصلح بالنسبة الى • وأهم من كل ذلك ان الحكومة البريطانية لم تغفل عن ان تلاحظ آننى كنت قد فزت واحتفظت باحترام الكثيرين من كبار الاتراك وثقتهم ، ولذا طلب الى لورد كيتشنر ان أستخدم كل نفوذى وتأثيرى على على الأتراك لاقناعهم بعدم الانضمام الى الدول الوسطى ، وبالمحافظة على حيادهم • واكتشفت من ثم ان لورد كيتشنر لم يكن منفردا بفكرته فيما يختص بنوع العمل الذى كان باستطاعتى ان أوديه على الوجه الاكمل ، ذلك أنه كان يشاطره رأيه ويؤيده فيه وزير الخارجية سير ادوارد غراى ، ورئيس الوزراء ، مستر أسكويت • والحق أنه حتى الملك نفسه أشار الى هذا الموضوع عندما تشرفت بتناول طعام الغداء معه • » (١)

هكذا تحددت مهمة آغاخان بمعرفة السلطات البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى بأنها ستكون أكثر ايجابية فى المجال السياسى عنها فى أى مجال آخر ، وكان هذا التحديد من قبل أعلى

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٤ •

المستويات فى بريطانيا ، حتى ان آغاخان تبين أن ذلك التحديد يتفق مع وجهة نظر ملك بريطانيا نفسه عندما « تشرف » بتناول طعام الغداء معه حينذاك على نحو ما أكده فى مذكراته ٠

ومن هنا بدأ آغاخان فى تنفيـذ مهمته لخدمة المصالـح البريطانـية عن طريق الاتصـال بتوفيق باشا سفير الدولـة العثمانية فى لندن متوخيا فى ذلك منتهى السرعة والسرية ٠ ولكى تظل مهمته هذه فى طى الكتمان ولايبدو فى الأفـق أنه منشغل تمام الانشغـال بها ، ومن أجل التمويه لابعـاد أنظار المراقبين السياسيين عنها ، فقد أظهر آغاخان انشغاله العلنى فى حث الشبان الهنود الذين كانوا يقيمون بأعداد كثيرة فى انجلترا حينذاك على التطوع فى كتيبة الميدان الهندية للاسعـاف وفى جمع الأموال للترفيه عنهم ، هذا فى الوقت الذى كانـت مهمة الاتصـال بالعثمانيين حينذاك هى شغله الشاغل وهدفه الأساسى ٠

وقد روى آغاخان ذلك فى مذكراته فقال : «ففى حين شغلت نفسى علناً فى حث الشبان الهنود الذين كانوا فى أنكلترا ــ بأعداد كثيرة ــ على التطوع فى كتيبة الميدان الهندية للاسعاف وفى جمع الأموال للترفيه عنهم ، فقـد اتصلت سـرا وبسرعة بالسفير التركى ، توفيق باشا ٠ وبناء على طلبى أرسل يدعو رجال تركيا الفتاة الذين كانـوا قد تسلموا السلطـة فى ثورة ١٩٠٨ ، الى ارسال وفد وزارى الى لنـدن للدخول فى مفاوضات مباشرة مع حكومة جلالته (ملك بريطانيـا) ٠ كانت بريطانيـا مستعدة ، باسمها ونيابـة عن روسيا وحلفائها الآخرين ، لأن تعطى تركيا الضمانات والتأكيدات الكاملة للمستقبـل ٠ وكان أملنا كبيرا بتحقيق انتصار ديبلوماسـى على أعظـم جـانب من الأهمية ٠ كنت مـدركا تماما أن عواطفـى كانت قـد تورطت الى درجة

عميقة ، وبوصفى مسلما كنت أتوق الى أن أرى تركيا تتفادى تجارب ونظائع حرب جديدة ، لا ضد دول بلقانية صغيرة ، بل ضد مجموعة قوية من أعظم الدول الصناعية والعسكرية فى العالم . كان الأتراك قد خرجوا مؤخرا من محنتهم السابقة ، وكانوا بحاجة يائسة الى مجال للتنفس ، وبدا أنه كان يستحيل عليهم أن ينخرطوا فى صراع جديد من دون أن يواجهوا كارثة لاحدود لها . غير أنه كان من الواجب الاعتراف بأن الأتراك كان لهم مايبرر شكوكهم فى « ضمانات » ، مهما كانت معينة ، تعرضها الدول الغربية . فقد كانوا قد اختبروا وبصورة محزنة الى أبعد الحدود ضمانات مماثلة بدت لهم وعوداً لم تقطع الا لينكث بها . ومع كل ذلك فان الحياد (الذى كان كل ما طلبته الدول الغربية من تركيا) كان من شأنه أن يتيح لرجال تركيا الفتاة الوقت الذى كانوا يحتاجون اليه لتنفيذ برنامجهم الاصلاحى فى الحقل الاجتماعى والاقتصادى والعسكرى . » (١)

ومما يوضح الأفق السياسى الواسع لاغاخان ، وحسن ادراكه لأبعاد مهمته هذه ، وحرصه الكامل على انجازها بنجاح تام ، تفهمه لشخصية المفاوض العثمانى توفيق باشا سفير الدولة العثمانية فى لندن حينذاك على نحو ما يبدو فى حديثه عنه فى مذكراته اذ يقول : « كان توفيق باشا شخصية مهمة فى مراجعاتنا ، ذلك أنه كان قبل ذلك ولسنوات عديدة وزير خارجية السلطان عبد الحميد . ولكن ثورة تركيا الفتاة كانت قد أخرجته من منصبه ومع ذلك فان العهد الجديد ظل محافظا على ثقته به بوصفه رجل دولة مقتدراً مجربا . وكانوا فى لندن والعواصم الغربية الأخرى يكنون له كل اعتبار وتقدير ، وكان صديقا مخلصا لى . كان

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

أحدنا يثق بالآخر تمام الثقة ، وأهم من كل ذلك أنه كان موافقا تمام الموافقة على موقفي • غير أنه اغتنم الفرصة لتحذيري من أن مفاوضاتنا كان يكتب لها قدر اكبر من النجاح لو أن الحلفاء طلبوا من تركيا أن تقف الى جانبهم بدلا من أن يعرضوا عليها التزام الحياد الذي لن يشكرها احد عليه في النهاية • وأضاف توفيق باشا قوله انه كان مقتنعا ايضا بأن روسيا لن توافق أبداً على انضمام تركيا الى الحلفاء لأن مثل هذه الخطوة كان من شأنها أن تضع حداً لآمال روسيا في التوسع على حساب تركيا (يقصد الدولة العثمانية) ،سواء في الشمال الشرقي ، حول ارضروم ، أو جنوبا من البحر الاسود • وقد نقلت هذه الملاحظات الى لورد كيتشنر ، وفي خلال بضع ساعات انباني بان الحلفاء لم تكن لهم رغبة في وقوف تركيا الى جانبهم ، وعلى هذا فقد دخلنا في المفاوضات ونحن نستشعر ضعفا بالغا • ومع ذلك ظللت متفائلا عدة أيام ، وبدا لي أن تفاؤلي كان بعيداً عن ان يكون غير ذي أساس • » (١)

ولكن تفجر الموقف الدولي فجأة قد أدى الى توقف المفاوضات بين آغاخان كمبعوث من قبل السلطات البريطانية من جهة ، وتوفيق باشا سفير الدولة العثمانية في لندن وممثلها في هذه المفاوضات السرية من جهة أخرى • ونترك المجال لأغاخان لنقرأ ما رواه في مذكراته عن هذا التحول المفاجيء فنجده يقول : « وفجأة علم أن سفينتين حربيتين ألمانيتين ، «غوبين» و «برسلو» (٢) قد أفلتتا من قبضة الحلفاء البحرية وأنهما كانتا راسيتين بعيدا عن القسطنطينية • (٣) لقد قلب وجودهما الموقف رأسا على عقب

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٥ •

(٢) يقصد الطرادتين الالمانيتين غوبين Goeben وبرسلاو Breslau

(٣) فشر ، هـ • أ • ل • : المصدر السابق ، ص ٥٠٣

بصورة قوية عنيفة ، ذلك أن الاتراك رحبوا بهما وأسبغوا عليهما الحماية • كانتا أمارة بينة على قوة ألمانيا وقدرتها البحرية • وإلى جانب النفــوذ المعنوى العظيــم الذى كانت قد وطدتــه فى القسطنطينية البعثة العسكرية الالمانية برئاسة القائد البارع ذى العزم ، الجنرال ليمــان فون ساندرن ، فقد كانت السفينتــان تشكلان أعظم خطر على آمالنا ــ التى كانت مؤخرا كبيرة جدا ــ بالحفاظ على حيــاد تركيا • وما أن انتهى عام ١٩١٤ حتى كانت الدول الوسطى واثقــة من احراز نصر سريــع ، ذلك أن أحد الجنرالات البروسيين ، وكان يدعى فون هند نبرغ ، كا قد أنزل هزيمة ساحقة بالجيوش الروسية فى تاننبرغ من بروسيا الشرقية • أما فى الغرب فقد كانت الجيوش الالمانية على مرأى من باريس أو تكاد ، وكانت قد عززت مراكزها على تلك الجبهة التى كان يبلغ طولها ستمائة ميل واحتفظت بها حتى شهر أغسطس من سنــة ١٩١٨ • وكان طراد واحد ، «أمدن» ، فى عرض المحيط الهندى ، قد أنــزل خسائر فادحــة فى سفــن الحلفــاء • على ضــوء هذه الانتصارات اتخذت الحكومة التركية خطوتها وأعلنت الحرب على روسيا ، مما أدى بالامبراطورية العثمانية أوتوماتيكيا الى أن تشتبك بالحرب مع بريطانيا العظمى وفرنسا • » (١)

وهكذا ألقت الدولة العثمانيــة بنفسها فى أتون الحــرب العالمية الأولى ، مما أدى بطبيعة الحال الى توقف المفاوضات التى أسهم فيها آغاخان باعتباره مبعوثا من قبل السلطات البريطانية من جهة ،وتوفيق باشا سفير الدولة العثمانية فى لندن وممثلها فى هذه المفاوضات السرية من جهة أخرى •

---

(١) مذكرات آغاخــان : المصدر السابق ، ص ١٩٦ •

دور آغاخان فى تعرية الموقف العثمانى

كان رد الفعل عنيفا لدى آغاخان ازاء موقف الساسة العثمانيين الذين ألقوا بالدولة العثمانية الى أتون الحرب العالمية الأولى من جهة ، وماترتب على ذلك من توقف المفاوضات السرية التى أسهم فيها من أجل تحييد الدولة العثمانية دون جدوى من جهة ثانية ، ثم ما أعقب ذلك من اعلان العثمانيين للجهاد من جهة ثالثة ،فقد كان كل ذلك بالنسبة له على نحو ما يشير فى مذكراته : « بمثابة صفعة لى ، وعندما ادعت الحكومة التركية ، محاولة بذلك أن تسبغ على عدوانها ــ الذى لم يكن له ما يبرره ــ شعبية واحتراما ، أن ذلك كان نوعا من الجهـاد ، نوعا من الحرب المقدسة ضد المسيحيـة ، انقلب حزنى وخيبتى الى نفور شديد مرير من حماقة حكام تركيا الخارجة على الدين ، وزاد فى نفورى أنى كنت أعرف مقدار قربنا من النجاح فى مفاوضاتنا • كانت الثمرة على وشك أن تقتطف من الشجرة عندما نسفت الشجرة ، بل البستان كله الى شظايا • وكان رد فعلى قويا ، ذلك أنى اشتركت مع زعماء مسلمين آخرين فى نداء وجهناه الى العالم الاسلامى كله ، وطلبنا فيه عدم الاكتراث بهذا الجهاد المزعوم ، وأن يؤدى كل واجبه فى الوقوف مخلصا مع الحلفاء الغربيين والى جانبهم ، وبخاصة بريطانيا وفرنسا اللتين كان فى ممتلكاتهما وراء البحار مسلمون يعدون بالملايين • وعلى مسؤوليتى الخاصة أصدرت منشورا أبديت فيه رأيى فى الخطأ الذى ارتكبته تركيا ، وذكرت أن الحكومة العثمانية وقواتها لابد من أن تعتبـر حجارة شطرنج فى استراتيجية ألمانيا العدوانية الاستعمارية ، وأن تركيا باعلانها الحرب على بريطانيا والحلفاء كانت تنفيذ أوامر أسيادها الألمان ،وأن السلطان ومستشاريه قد أجبروا من جانـب الضباط الألمان وآخرين من غير المسلمين على اتخاذ هذه الخطوة ، كما أكدت على أن تركيـا على وجه التخصيص والاسلام عمومـا

لاداعى لتخوفهما من تصرفات الدول الغربية الدفاعية الصرف . قلت : « ان الامبراطوريتين البريطانية والروسية ، والجمهورية الفرنسية ، قد عرضت أن تضمن لتركيا جميع اراضيها بحالة استقلال تام على شرط واحد هو ان تحتفظ بحيادها . انتركيا هى المؤتمنة على الاسلام ، والعالم بأجمعه راض عن أن يتركها تحتفظ بالمدن المقدسة فى عهدتها . وعلى جميع الناس أن يفهموا أن وضع تركيا لم يكن مهددا بأية صورة ، وانها لم تدخل الحرب من أجل الاسلام او دفاعا عن استقلالها . واذن فان واجبنا الوحيد كمسلمين هو ان نبقى مخلصين وامناء ومطيعين لولائنا الزمنى والدنيوى . »(١) ويقصد آغاخان بذلك الولاء الزمنى والدنيوى لدول الوفاق بريطانيا وفرنسا وروسيا فى ذلك الحين .

وهكذا استعرض آغاخان الجهود التى قام بها فى بداية الحرب العالمية الأولى لتعرية الموقف الذى اتخذته السلطات العثمانية بانضمامها الى دول وسط أوربا ولاعلانها الجهاد ضد دول الوفاق. وقد تبلورت هذه الجهود فى النداء الذى وجهه آغاخان وبعض الزعماء المسلمين الى العالم الاسلامى كله بعدم الاكتراث « بهذا الجهاد المزعوم » على حد تعبيره ، وبأنه ينبغى على السكان المسلمين فى المستعمرات البريطانية والفرنسية فيما وراء البحار والذين كانوا يعدون بالملايين أن يؤدوا واجبهم فى الوقوف مخلصين مع دول الوفاق والى جانبها . كما قام آغاخان باصدار منشور على مسؤليته الشخصية أوضح فيه الخطأ الذى رأى أن الدولة العثمانية قد ارتكبته بتحالفها مع الألمان ووقوفها الى جانبهم خاصة وأنها لم تكن مهددة فى رأية – من قبل دول الوفاق مما جعل انحيازها

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

للألمان حينذاك ليس له مايبرره من وجهة نظره بل ان آغاخان أكد أيضا أنه لم يكن هناك ما يدعو لتخوف الدولة العثمانية بوجه خاص وجمهور المسلمين بوجه عام من تصرفات الدول الغربية « الدفاعية الصرف » حينذاك على حد تعبيره ٠

أما بالنسبة للنتائج التى أسفرت عنها هذه الجهود التى شارك آغاخان فيها ، أوقام بها على مسؤوليته الشخصية ، فقد أكد أنها حققت التأثير المطلوب بجعل الأكثرية الساحقة من رعايا الدول الغربية المسلمين يحافظون على ولائهم لتلك الدول بأمانة واخلاص طوال سنين الحرب العالمية الأولى ، أن الجنود المسلمين قاتلوا جنبا الى جنب مع رفاقهم المسيحيين من مواطنى هذه الدول فى ساحات القتال فى العالم أجمع ، وأن فكرة الجهاد التى أعلنها العثمانيون والتى على حد تعبيره « اخترعها واستغلها القيصر ومستشاروه لأغراضهم الخاصة » لم يعد يسمع بها الا قليلا بعد الأشهر الأولى من عام ١٩١٥ ٠ وفى ذلك يقول آغاخان فى مذكراته : « وفى اعتقادى أنى لا أدعى شيئا ليس له ما يبرره اذا قلت أن كلماتى هذه قد كان لها تأثير حقيقى راسخ عندما كان هنالك حاجة اليه ، ذلك أن الاكثرية الساحقة من رعايا الدول الغربية المسلمين حافظوا على ولائهم بأمانة واخلاص ، وأن الجنود المسلمين قاتلوا وماتوا جنبا الى جنب مع رفاقهم المسيحيين فى ساحات القتال فى العالم أجمع، وانهارت فكرة الجهاد التى اخترعها واستغلها القيصر ومستشاروه لأغراضهم الخاصة ، ولم يعد يسمع بها الا قليلا بعد الاشهر الأولى من عام ١٩١٥ ٠»

ثم يركز آغاخان على الأهمية البالغة للمفاوضات السرية التى أسهم فى خطواتها الأولى ولم يكتب لها الاستمرار ، والتى قصدت بها بريطانيا تحييد الدولة العثمانية والحيلولة دون انضمامها الى

جانب ألمانيا فى بداية الحرب العالمية الأولى ، وماترتب على فشلها من تحول مفجع فى التاريخ الحديث فيقول : « الا اننى مارلت أعتبر فشل محاولتنا بدء مفاوضاتى مع الباب العالى فى الاشهر الأخيرة من عام ١٩١٤ نقطة تحول مفجعه فى التاريخ الحديث . فلو أن تركيا ظلت محايدة ، اذن لكان من الممكن أن يكون تاريخ الشرق الأدنى والعالم الاسلامى بأسره ، فى السنوات الاربعين الأخيرة مختلفا اختلافا عميقا . لقد قضى على سلطنة القسطنطينية (هكذا) التى دامت مئات السنين مركزا طبيعيا ونقطة تجمع للاسلام ، وخرجت تركيا ، كماسنرى فيما بعد ، من محنتها بزعامة مصطفى كمال الملهمة (هكذا) ، بعد أن جردت من امبراطوريتها ، واكتشف ملايين العرب ، الذين عاشوا قرونا تحت حكم الأتراك المتسامح ، ليس فى نجد الجزيرة العربية فحسب، بل فى الهلال الخصيب أيضا، مسرات القومية وأحزانها ، ومصاعبها وحرارتها ، وورثت الامبراطورية البريطانية ، صدفة لا عمداً (هكذا) ، منذ عام ١٩١٨ فصاعداً ، تلك السيطرة على الشرقين الأدنى والاوسط التى مارستها الامبراطورية العثمانية كل ذلك الوقت الطويل . أضف الى ذلك اشتباك الفرنسيين فى سوريا ، ومغامرات اليونانيين ومصائبهم فى آسيا الصغرى ، والاصطدام بين الصهيونية والآمال العربية ، وانشاء ابن سعود مملكة جديدة فى جزيرة العرب ، وظهور عائلة الشريف من الزعامة القبلية فى مكة الى تأسيس بيتين مالكين فى مملكتين اثنتين ـ كل هذه النتائج وكثير غيرها تأتت من رفض تركيا الفتاة ، تحت ضغط الألمان ، للعروض التى قدمت اليها فى نهاية عام ١٩١٤ » [1] .

وهكذا أشار آغاخان الى النتائج التى ترتبت على فشل

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

المفاوضات السرية التى أسهم فى خطواتها الاولى كوسيط بين بريطانيا والسلطات العثمانية ممثلة فى توفيق باشا السفير العثمانى فى لندن ، ولم يكتب لها الاستمرار ، والتى قصدت بريطانيا من ورائها تحييد الدولة العثمانية والحيلولة دون انضمامها الى جانب المانيا فى بداية الحرب العالمية الاولى دون جدوى ، مما احدث على حد تعبيره «نقطة تحول مفجعة فى التاريخ الحديث » ·

مهمة اغاخان فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى

اذاكان الساسة البريطانيون لم يحققوا ، عن طريق الدور الذى كلفوا أغاخان القيام به للتأثير على الساسة العثمانيين لقبول الحياد ، الاهداف المرجوة من هذا الدور ، والذى وأده تسرع القادة الأتراك فى الاستجابة لاستقطاب الألمان لهم سياسيا وعسكريا ، فانه لم يغب عن الساسة البريطانيين ، وعن كيتشنر بالذات ، الذى كان على دراية كبيرة بشئون الشرق ، وعلى تتبع مستمر لتطورات الأوضاع فيه ، ان يسند الى آغاخان فى مطلع عام ١٩١٥ القيام بدور جديد فى مهمة أخرى تتحقق عن طريقها الأهداف البريطانية · وكان ميدان المهمة هذه المرة فى مصر ، حيث اتخذ جانب من أهدافها طابعا أشبه ما يكون فى وقتنا الحاضر «بالتوجيه المعنوى» الذى يشكل ضرورة من ضروريات تهيئة الرأى العام من جهة ، وتوجيه المقاتلين لخوض الحرب وتحمل معاناتها من جهة أخرى ، وهو ما لا يقل خطورة عن التزويد المادى والتسليح العسكرى ·

ولكى نتعرف على طبيعة هذه المهمة التى وصفها آغاخان بأنها « مهمة دبلوماسية أو شبه دبلوماسية » ، ولكى ندرك الأسباب التى دفعت «كتشنر» الى اسناد هذه المهمة لآغاخان على

وجه الخصوص ، فاننا سنستعرض ما ذكره عنها أغاخان في مذكراته ثم نتناولها بالدراسة والتحليل ، فنجده يقول : «ومهما كانت الشكوك التى بدأت تظهر فى أوائل عام ١٩١٥ حول قدرة كيتشنر على تنظيم مجهود بريطانيا الحربى وقيادته فى الغرب ، فقد كان متيقظا لكل طارىء فى الشرق • ولم يمض وقت طويل قبل أن يرسل فى طلبى ويعرض على اقتراحا آخر ، وان يعهد الى بمهمة دبلوماسية او شبه دبلوماسية كانت الوزارة تؤيدها ،وكان الملك جورج الخامس فى الحقيقة موافقا عليها ومهتما بها بصورة شخصية • كانت تلك المهمة تتعلق بمصر ، حيث كان الوضع السياسى مضطربا ودقيقا • وكان كيتشنر نفسه قد استدعى ثانية لتسلم مهام منصبه فى وزارة الحربية عندما كان على وشك السفر عائدا الى وظيفته بوصفه المندوب البريطانى فى القاهرة • كانت مصر ، أسما ، جزءا من املاك الامبراطور العثمانى ، وكان الخديو نائبه فيها • ولقد ابقى على هذا الوضع ، اسميا ، بعد الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ ، هذا الاحتلال الذى وصف عندئذ بأنه مؤقت ، ومع ذلك أستمر متحديا كل منطق ومتحدياً جميع الوعود والتعهدات ، وكانت مصر تبدو ، حتى السنوات الأولى من هذا القرن • • • أشبه بمستعمرة بريطانية » (١)

ويستطرد آغاخان موضحا فى مذكراته وضع مصر وأهميتها فى الاستراتيجية البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى فيقول : « فى الحرب العالمية الأولى ، كما فى الحرب العالمية الثانية ، كانت مصر قاعدة حربية ذات أهمية استراتيجية عظمى لبريطانيا وحلفائها • وفى مطلع سنة ١٩١٥ كان عدد الجنود البريطانيين والهنود وجنود دول الدومنيون فى مصر كبير جداً

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ١٩٩ •

وكان يتزايد باطراد • وكانت الاسكندرية قاعدة بحرية عظمى وترسانة كبرى • اما قناة السويس فقد كانت ممرأ ماتيا استراتيجيا حيويأ ، وعلى حدود صحراء سيناء بالرغم من أن سيناء كانت جزءا من مصر نظريأ ، كانت هناك وحدات من الجيش التركي ، وكان دورها انئذ دفاعيا صرفأ • ولكن تفكير بريطانيا الحربي لم يقصد الى ان يعهد الى مصر بدور هادىء ساكن ، بل كان يقصد الى ان يجعلها قاعدة يشن منها كل هجوم على تركيا • وكانت ألوف السفن تنقل الىالاسكندرية وبور سعيد والقنطرة والاسماعيلية الجنود من بريطانيا ومن استراليا ونيوزيلندا والهند ، الذين كان يتعين عليهم ان يقاتلوا ويموتوا ببطولة لاتنسى وبلا فائدة ، في شبه جزيرة جرداء صخرية تحرس الشاطىء الاروبى من مضايق الدرنيل المؤدية الى القسطنطينية• وكان من الواجب ، من وجهة النظر العسكرية ، تامين أكبر قدر من الاستقرار والثبات في وضع مصر السياسى الداخلي ، اذا أريد لهذه القاعدة الحربية الكبرى أن تبقىفي حالة صالحة •»[1]

ثم يشير آغاخان في مذكراته الى أن هذا الاستقرار والثبات في وضع مصر السياسى الداخلي ، والذى كانت تحرص على تأمينة القيادة العسكرية البريطانية ، لتجعل من مصر قاعدة حربية كبرى تحقق عن طريقها أهداف الاستراتيجية البريطانية ،قد واجهته بلبلة بدتفى قمة السلطة في مصر التى تمثلت في الخديو عباس حلمى الثانى فيقول : «وبدأت البلبلة في القمة ، ذلك أنه لم يكن هناك زعيم سياسى مصرى من أى وزن (هكذا) ، وكان الخديو عباس حلمى نفسه في القسطنطينية •واذ لم يعد الى مصر عندما استدعى فلم يكن مفر للحلفاء من أن يظنوه مناصرا للالمان

---

(١)مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ •

ولدعاية الحلفاء من ان تصوره على هذه الشاكلة • غير انى خبرت عباس حلمى جيدا ابـان السنوات الاخيرة فى منفـاه الطويل فى اوروبا ، وانى لمقتنع بانه قد ظلم وحكم عليه حكما خاطئا • لقد أحببته حبا حقيقيا واعجبت بصفاء ذهنه ونبوغـه ، وهو الذى أنبانى بما انا مقتنـع بانه كان القصـة الحقيقية « لقصوره » • فقبيل اعلان تركيا الحرب هاجمـه رجل بقصد اغتياله_ فاصابه بجراح فى وجهه وفكه ، ولم تختفى اثار هذا الهجوم طيلة حياته ابدأ ••• ومن عام ١٩٢٠ حتى وفاته المفاجئة فى نهاية الحرب العالمية الثانيه كنت القاه كثيراوتوطدت بيننا عـرى الصداقة • كان يملك يختا جميلا يدعى(نعمه الله)،وكان هذا اليخت بمثابة بيت له على الريفييرا ابان اشهر الشتاء واوائل الربيع،وكان من عادته أن يقضى الجزء الاخير من الربيع،وفصل الصيف بكامله فى باريس وسويسرا • • • وانى لمقتنع من شىء واحـد هـو أنه لم يكن قط فى حياته معـاديا للبريطانيين ، وانه كان يكـن محبـة عظيمة لأصدقائه الانكليز • وطبيعى انه عندما كان خديويا كره أن تعامل سلطات الاحتلال البريطانى دونما أى حق قانـونى أو سلطة قانونية ، بلاده وكأنها مستعمرة ، وان تعامـله هو بالذات وكأنه مهراجا معظم ، وهذا الشعور كان يجعله دائما يصطدم مع لورد كرومر ، الذى كان فى الحقيقة حـاكم مصر المطلق • ومـع ذلك فقد كان يقول لى دائما ان كرومر كان رجلا عظيما وأنه كان يحافظ عـلى كلمته ، وأنه مهمـا كانت علاقتهما الشخصية سيئة بسبب الخلافات السياسية فأنه من جهته لم يفقد أبدا احترامـه وتقديره للورد كـرومر • أما بالنسبة الى لورد كيتشنر فـان الخلافات الشخصية قد أدت الى كراهية ، وعباس حلمى لم يغفـر لكيتشنر خصامه معه • وقد قال لى مرة أنه يعتقد أنه ساءه جـدا أن لورد كيتشنر لم يعترف قط بجميله عندما ساعده على أن يصبح سردار الجيش المصرى فى أول الأمر،فعندما تقاعد سلف كيتشنر

كان هناك مرشحان أو ثلاثة للمنصب الشاغـر ، ويقول عباس حلمى بانه هـو نفسه أرسل بـرقية الى الملـكة فيكتوريا بصورة خاصة طالبا تعيين كيتشنر ٠ » (١)

أما عن ظروف عباس حلمى فى بداية الحرب العالميـة الأولى فيشير اليها آغاخان فى مذكراته بقول : « قال لى عباس حلمى أنه لو لم يجرح اذن لكان هرب من القسطنطينية حتما ، وانه لم تكـن لدية رغبة بالبقاء ، بل كان يود الذهـاب الى مصر حالمـا تتحسن حاله ، ولكن السلطات البريطانية لم تكن متحمسة أبداً لرجـوعه ووجوده فى مصر ٠ لم يكن عباس حلمى يحمل أى حقـد للانكليز لاكشعب ولا كأفراد ، وقد تقبل الوضع كله ونظر اليه نظرته الى مباراة رياضية كان هـو نفسه الخاسر فيها ، وبروح الرياضى أضاف (عباس حلمى) : « لقد انتهت المبارة الان ، فلنعمد سوية الى كاس من الشرب » ٠ ٠ ٠ ولنعد الى أخطائه (أى أخطاء عباس عباس‌حلمى ومقاصده الحقيقية،ولا بالطرق التى خابت بها هذه حلمى) فى التقدير عام ١٩١٤ ــ ١٩١٥ ٠ففى ضباب الحرب لم يكن أحـد يتوقع من الحلفاء أن تكون لهم معرفة صحيحة بآراء المقاصـد ٠ وعلى كل فقـد كانت النتيجة فى مصر شيئا يقارب وللاسباب التى سبق منى ذكرها كان من الضرورى المحافظة على الأمن الداخلى فى مصر ٠ » (٢)

وهكـذا أوضح آغاخـان وضـع مصر الدولى بصفه عامـة وأهميتها فى الاستراتيجية البريطانية بصفة خاصـة ، فى بداية

---

(١) مذكرات آغاخـان : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ٠
(٢) مذكرات آغاخان : نفس المصدر ، ص ٢٠٣ ٠

الحرب العالمية الأولى . فأشار الى أن مصر حينذاك كانت جزءا من أمـلاك الدولة العثمانية وكان الخـديـو يحكم مصر نائبا عـن السلطان العثمانى ، وان هذا الوضـع استمر اسميا عقب احتلال بريطانيا لمصر فى سنة ١٨٨٢ . ومن المعروف أنه على الرغم من أن هـذا الاحتلال وصف بأنه احتلال مـؤقت (١) الا أنه استمر متحد يا كل منطق ومتجاهـلا كل الوعود والتعهدات (٢) مما جعل مصر أشبه بمستعمرة بريطانية .

كما أشار آغاخان الى أهمية مصر كقاعدة حربية ذات اهمية استراتيجية عظمى لبريطانيا وحلفائها عند قيام الحرب العالمية الأولى شأنها شأن ما كانت عليه ايضا فى الحرب العالمية الثانية . وفى مطلع عـام ١٩١٥ أخـذ عدد الجنود البريطانيين والهنود والمجندين من دول الدومنيـون يتزايد باضطراد فى مصر بشكل ملحوظ . وكانت الاسكندريه قاعدة بحرية عظمى وترسانة كبرى بينما كانت قناة السويس ممرأمائيا استراتيجيا حيويا . وكانت بريطانيا تهـدف الى أن تنطلق قواتها مـن مصر تلك القاعـدة الاستراتيجية الهامة لتشن هجومها على القوات العثمانية فى الشام والعراق والجزيرة العربية وشبـه جزيرة الأناضول . وكانـت ألوف السفـن تنقـل الى الاسكندريـة وبور سعيـد والقنطـرة والاسماعيلية الجنود من بريطانيا ومن استراليـا ونيوزيلنـدا والهند . ومن هنا فقد أصبـح من الضرورى مـن وجهة النظـر

---

(١) سعد زغلول عبد ربه (دكتور) : سياسة بريطانيا فيما يتعلق بالجلاء عن مصر ١٨٨٢ - ١٩١٤ ، ص ٢٩ .

(٢) محمد جمال الدين المسدى (دكتور) : الاحتلال والحركة الوطنية فى مصر فى أوائل القرن العشرين ، المجلد الثانى والعشرون ١٩٧٥ من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ص ٨٢ .

السياسية والعسكرية لبريطانيا ، تأمين أكبر قدر من الاستقرار والثبات في وضع مصر السياسي الداخلي ، اذا أريد لهذه القاعدة الحربيـة الكبرى أن تبقى فـي حالـة صالحة لتحقيـق الأهداف الاستراتيجية البريطانية ٠

ثم أشار آغاخـان أيضا الى أن هـذا الاستقرار والثبات في وضع مصر السياسي الداخلي ، والذي كانت تحرص عـلى تأمينه القيادة العسكرية البريطانية ، لتجعل من مصر قاعـدة حـربية كبرى تحقق عن طريقها اهداف الاستراتيجية البريطانية ، قد واجهتـه بلبلة بدت في قمة السلطة في مصـر التي تمثلت في الخديوعباس حلمي الثاني ، مما يستوجب علينا تتبع الأحداث التي تمت في عهده ٠ فمند ولى عباس حلمي الثاني حكـم مصر اتضـح له كيف أستأثر البريطانيون بالسلطـة في مصـر دون صحابهاالشرعيين الممثلين في شخص الخديو والنظار لذلك أخذ عباس يبحث عـن حلفاء يستعـين بهم في مقاومة الاحتـلال ، واسترداد سلطاته ، فوجد الحركة الوطنية التي كانت الحياة قد بدأت تدب واهنة في شـرايينها بعـد أن ربطـت بينها وبين التحـرك الوطني في أيام عرابي جسـور من معاصـري ذلك التحرك ، كما التف حولها جمهور المثقفين في مصر وفي مقدمتهم مصطفى كامل ساعده في ذلك صدور صحيفة « المؤيد » كأول جريدة وطنية ٠

غير أن الحركة الوطنيـة الجديدة والتي تمثلت قيادتهـا في مصطفى كامل حينذاك ، كانت حريصة على ألا تقع تحت سيطـرة عباس حلمي حفاظا من جانبها على استقلالها ، وخـوفا من تغير موقف الخديو وهو ما حدث بالفعل فيما بعد ٠ فالخديوتصدى في بداية الأمر لمقاومة الاحتلال البريطاني لمصر ، واصطدم بكرومر في معركتين شهيرتين هما الأزمة الوزارية عـام ١٨٩٣ ، وأزمـة

الحدود فى العام التالى ، وكانت هزيمته فى المعركتين عاملا دفعه الى التخلى عن المقاومة المباشرة ، ولجوئه الى المقاومة السرية وغير المباشرة عن طريق النظاروالحركة الوطنيه · واثناء قيام الخديو بهذا الدور فقـد زاد نشاط مصطفى كامـل فى مصر وخارجهـا غير أن ضغط الاحتلال ، وبخاصة فى فترة اعادة فتح السودان ، جعل الخديو يتجه الى مهادنة الاحتلال ·

وقد بدت هذه المهادنة فى اعقاب قبول عباس توقيع اتفاقية السودان فى يناير ١٨٦٩ ولم تصدر عنه بعدها مقاومه حتىعقد الوفاق الودى فى عام ١٩٠٤ ، اللهم الا بعض المناوشات بينه وبين كرومر اتخذت شكل الهجوم على كرومر نفسه وعلى سياسته · وان كان عباس قد ادلى بحديث الى فارس نمر احـد اصحاب جـريدة المقطم لسان حال الاحتلال فى اعقاب زيارته لانجلترا فى صيف عام ١٩٠٠ أوضح فيـه أنه يحترم كرومـر ، ويجـد سهولة فى التعامل معه ، وأنه يرغب فى بقائه فى مصر · وعبر عباس عـن رغبته فى التعاونمعالاحتلال على أن يكون الثمن هو الحصول على نصيب من السلطان · غير أن أوتوقراطية كرومر وعدم ثقته فى عباس حـالت دون ذلك · حتى زار عبـاس لندن فى سنة ١٩٠٣ ودارت أحاديثه حول التعاون بين مصر وبريطانيا ليحصـل عـلى تأييد البريطانيين له ضد كرومر · غير أن عقد الاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا فى أبريل عام ١٩٠٤ شكل ضربة قاسية لكل من الخديو والحركة الوطنية ، وبخاصة بعـد أن وافقت معظم الدول المعنية بالمسألة المصرية على الجـزء الخاص بمصر منـه ، وبذلك ضاع كل أمل لدى عباس فى التخلص من الاحتلال · كمـا توقف الخديو تماما عن أية مقاومة سواء للاحتلال أو لكرومـر شخصيا وبدأتتسود مصرحالة هدوء وتسليم ظاهرى ، مع وجود استيـاء كامن سيطفو عـلى السطح فى حادثتى طابـه ودنشواى فى عـام

١٩٠٦ ، التى سيستقبل بعدها كرومـر فى شهر أبـريل سنـة ١٩٠٧ ثم يغادر مصر فى شهر مايو من نفس السنة ٠ [١]

وفى أعقاب استقالة كرومر اتيح للحكومـة البريطانية أن تطبق سياسة جـديدة رأت الى تنتهجها فى مصـر ، وعينت سـير الدون جورست (Sir Eldon Gorst) قنصلا عاما لها فى القاهرة ليقوم على تنفيذ هذه السياسة ٠ وقد عرفت تلك السياسة بسياسة الوفاق ، لأنهـا قامت على تقديـم تنازلات للخديـو وللمصريين بتمكينهم من مزاولة قدر من السلطة فى ادارة أمورهم ، فى حدود الاشراف البريطانى ٠ وكان الهدف مـن تلك السياسة استمالـة الخديو الى جانب الاحتلال وفصله عن الحركة الوطنية ، بالاضافة الى تقوية الفريق المعتدل من الحركة الوطنيـة وتأكيد فصلـه عن الفريق المتطرف منهـا ، وبذلك يتمكن الاحتلال البريطانى مـن تفتيت الحركة الوطنيـة فى مصر [١] بمـا يضمن له البقـاء والاستمرار ٠

وكان « الدون جورست » واحدا من رجـال الاحتلال ، فقد خدم فى مصر فى المدة من عام ١٨٨٦ الى عام ١٩٠٤ ، وقد أرادت انجلترا أن تعالج الحركة القومية فى عهده بطرقهـا من زاويـة جديدة وهى كسب الخديو بجانب الاحتلال باسترضائه برد بعض السلطات اليه ، على ألا يمعن المعتمد البريطانـى فى ذلك ٠ ولكن « جورست » انحرف نحو السلطة الشرعية التى كان يمثلها عباس انحرافا شديدا ٠ فأخذ يرضى شره الخديو الى السلطة والمال ممـا أدى الى استثارة الحركة القومية فى جانبها المتطرف ، المتمثل فى

---

(١) محمد جمال الدين المسدى (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١٦٨ ٠

(٢) محمد جمال الدين المسدى (دكتور) : نفس المصدر ، ص ١٧٤ ٠

الحزب الوطنى ، والمعتدل المتمثل فى حزب الأمة ٠وقد لمس الأعيان والمثقفون فى ظل سياسة الوفاق مبلغ تهديد الخديو لطموحهم فى المشاركة فى الحكم أو التفاهم مع الاحتلال على مصلحة مصر ٠ وهكذا صرف « جورست » المصريين الى محاربة الخديو بدلا من محاربة المحتلين ، ووقف الانجليز موقف المتفرج ، يتدخلون للتوسط ولحل النزاع حينما يحلو لهم ذلك ٠ غير أن الانجليز استخدموا القوة فى نهاية عهد « جورست » للتنكيل والضغط على الحريات مما أثار التوتر بين الانجليز وأطراف الحركة القوميه فى مصر حينذاك ٠

على أن حدة التوتر بين الوكالة البريطانية وأطراف الحركة القومية قد قلت خلال الفترة التى شغل فيها « اللورد كتشنر » منصب المعتمد البريطانى فى مصر خلفا « لجورست » والممتدة من عام ١٩١١ وحتى عام ١٩١٤ ٠ وكان كتشنر أيضا قد عمل من قبل فى مصر وكان قائدا عاما للجيش المصرى الذى قام بمهمة استرجاع السودان ٠ وكان كتشنر رجلا عسكريا صرفا يحتقر السياسة والساسة ويؤمن بضرورة ايجاد حكومة قوية تتمشى مع مطالب دعاة القوة فى مصر وفى انجلترا على السواء خاصة أن سياسة الوفاق التى مارسها «جورست » قد أدت الى فصم عرى الصلات التى قامت بين الخديو والوطنيين ٠ ولهذا كان على كتشنر أن يعود الى سياسة كرومر ويسير على نفس النهج لكى يخدم أغراض بلاده ، ولكن بوسائل جديدة قامت على الامعان فى سياسة الرياء وبطرق المسألة المصرية من جانب المصريين ٠ فسعى « كتشنر » لاسترضاء « أصحاب الجلابيب الزرقاء » بحماية الملكية الصغيرة ، اذ أصدر قانون الأفدنة الخمسة الذى نص على عدم امكان نزع ملكية من يمتلكون أقل من خمسة أفدنة بسبب تراكم

الديون عليهم · كما سعى أيضا لاسترضاء المثقفين بمنحهم حق التمثيل فى تنظيم جديد حل محل المجالس التمثيلية القائمة هو الجمعية التشريعية ، مع خنق الحريات وتشتيت الاتجاه المتطرف من النضال القومى والقضاء عليه ·

وهكذا ألغى « كتشنر » نظام الهيئتين شبه النيابيتين القائمتين : الجمعيه العمومية ومجلس شورى القوانين ، وأنشأ بدلهما نظام الجمعية التشريعية فى يوليو عام ١٩١٣ مشكلة من ستة وستين عضوا يمثلون المهن والهيئات · وكانت مدة العضوية ست سنوات يتغير ثلثهم كل سنتين ، أما انتخابها فكان على درجتين وقد بلغ أعضاؤها من كبار ملاك الأراضى تسعة وأربعين عضوا · [١] وكان يهدف « كتشنر » من اعادة تشكيل الحياة النيابية الصورية الى أن يوصد أبوابها أمام فئات « السياسيين » ، وأن يجعل الجمعية التشريعية أداة تمثيل لأصحاب المصالح الزراعية الذين لا يتأثرون بالتهييج السياسى، مما يؤدى الى تغليب الاعتدال على علاقتها بالحكومة ، فيكون استعمالها للسلطات الممنوحة لها استعمالا معتدلا ، لايشكل معارضة حقيقية للمصالح البريطانية · [١]

وهكذا حرص الاحتلال البريطانى على تفتيت الحركة الوطنية المصرية ، فسياسة الوفاق التى مارسها « جورست » أدت الى فصم عرى الصلات التى قامت بين الخديو عباس حلمى الثانى والوطنيين ، بينما عاد « كتشنر » الى اتباع سياسة « كرومر » وسار على نهجه لخدمة أهداف بلاده ، ولكن بوسائل جديدة قامت

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) : تاريخ مصر السياسى ، ص ٨١ - ٨٣ ·
(٢) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ ·

على الامعان فى اتبـاع سياسة الريـاء ، مع « أصحـاب الجلابيب الزرقـاء » من جهه ومع المثقفين من جهـه أخرى ، لاحتواء قوى الحركة الوطنية على النحو الذى أشرنـا اليه ٠ ورغم الجهود التى بذلها محمد فريد بعد وفـاة مصطفى كامل فى التمسك بالجـلاء وفى التنديد بسياسة الوفاق بين المعتمد البريطانى « جـورست » والخديو عباس حلمى الثانى ، فلم يحل ذلك دون ما اعترى الحركة القومية من تفتيت ، فضـلا عن تعرضه شخصيا لحرب مشبوبة من القوتين المتحالفتين ٠ حتى عين «كتشنر » خلفا «لجورست» فتتبع العناصر المتطـرفة فى الحزب الوطنى ، وعرضهم لسلسلة من المحاكمات والاضطهادات ، ولم يكد يمضى عـام كامـل على توليه لسلطاته فى مصر حتى كان محمد فريد رئيس الحزب الوطنـى قد هاجر الى خارج البلاد فى سنة ١٩١٢.[١] وقبيل قيـام الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ كان الخديو عباس حلمى الثانى يقوم برحلته المعتادة الى الأستانة ، ولكنه لم يعـد الى مصر بعد ذلك مما أثار شكوك السلطات البريطانية فى انحيازه الى جانب الألمـان ، تجاوبا مع الموقف الذى اتخذته الدولة العثمانية حينذاك٠ ثم كان من اعـلان بريطانيا حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ فأسفرت بذلك عن نياتهـا الحقيقية نحو البلاد ، ووضعت حـدا لسياسة الغموض التى سارت عليها منذ بداية الاحتلال ٠

وفى اليوم التالى مباشرة لاعـلان الحماية وهـو اليوم الذى وصل فيه آغاخان الى مصر لتنفيذ المهمة التى كلفته بها السلطات البريطانية حينذاك ، أعلنـت الحكومة البريطـانية خلع الخديو عباس حلمى الثانى ، وتولية السلطان حسين كامل عرش مصر ٠ وبذلك أنهى خلع الخديو واستبدال الاحتلال بالحماية عهدا كانت جهود الحركة الوطنية فيه موزعة بين مقاومـة الاحتلال من جهة ،

(١) عبد الرحيم الرافعى : محمد فريد ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ ٠

والسعى لانشاء حكومة دستورية من جهة اخرى • غير أن الموقف الجديد استلزم اتجـاه الوطنيين المصريين الى تركيز جهودهم ضد الحمـاية ـ التى كانت وليدة الاحتلال ـ لازالتهـا ولارغـام البريطانيين على الجلاء عن مصر فى أسرع وقـت ممكن •

وقد بدا أن هـذا الفريق الوطنى الذى كان يـرى ضرورة التعاون مع الانجليز وتنظيم علاقة مصر بأنجلترا عـلى أسـاس الاعتراف باستقلال مصر ، قد بدأ يتبوأ مركز الصدارة فى حياة البلاد • وكان على بريطانيا أن تواجه الموقف فى مصر وخاصةمع هذا الفريق الذى أخذ بمبدأ « لامفاوضـة الا بعد الجلاء » • (١) هذا فى الوقت الذى كان عليها أن تحقق الامن والاستقرار داخل مصر التى أصبحت تشكل قاعدة استراتيجية هامة لمهاجمة القوات العثمانية فى الشـام والجزيرة العربية وشبه جزيرة الأناضول ، بعد أن تجمعت فى مصر أعـداد هـائلة من القوات البريطانية والهنـــدية وغيرها من ســائر دول الدومنيـــون • وكانت نســبة كبيرة منهم تدين بالاســلام ممـا سيثير قضية التعــاطف مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية •

لهذا فان مهمة آغاخـان فى مصر فى بداية الحرب العـالمية الأولى سوف يقصد بها فى الدرجة الأولى امتصاص هذا التعاطف مع الدولة العثمانية ، وبث التوجيه المعنوى اللازم لشـحذ همـم الجنود لأداء مهامهم القتالية لتحقيق النصر لبريطانيا • هذا فضلا عن الدور الذى سيقوم به آغاخان أيضا فى التقاط صورة دقيقة لطبيعة الموقف فى مصر حينذاك ، حتى تسترشـد بها السلطـات

---

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٧٢ •

البريطانية لتسيير دفة الأمور هناك بمـا يتفق وتحقيق مصـالح بريطانيا الى ابعد مدى ممكن ٠

وهكذا تحددت أهداف المهمة التى أوكلت بريطانيا لاغاخان القيـام بهـا فى مصر فى بداية الحرب العـالمية الأولى والتى استغرقت الفترة الممتدة من اليوم التاسع عشر من شـهر ديسمبر سنة ١٩١٤ وحتى اليوم الثانى عشر من شهر يناير سنة ١٩١٥ ٠ وقد تحدث آغاخان فى مذكراته عن هذه المهمة فقال : «واذن فقد كانت مهمتى أن أوضح هذا الرأى وأعمل على استقراره (يقصد الرأى القائل بأنه ليس هنـاك مبرر لأن تقحم الدولة العثمـانية نفسهـا فى الحرب بانضمـامها الى دول وسط اوربا ، وأن ذلك لايجيز لها اعلان الجهـاد المبنى على موقف لامبرر له) ٠ لقد طلب الى أن أصطحب معـى زميلا لى ، ولذلك لجـأت الى صديق قديـم وعزيز لى هو سير عباس على بك ، الذى كان عندئذ العضو الهندى فى المجلس الدائم الذى كان يشير على وزير الهند فى لندن ٠ هكذا سافرنا الى القاهرة بأسرع ما استطعنا ، وهناك استقبلنا استقبالا يكاد يكون ملوكياً ٠ كنا هناك ضيفين رسميين على القائد العـام البريطانى ، وانصرفنـا فورا الى أداء مهمتنـا الدقيقة الشـاقة المتشعبة الى طبقات كثيرة من المجتمع المصرى ٠»

ويواصل آغاخـان فى مذكراته حديثـه عن الخطوات التى اتبعهـا فى أداء مهمته فى مصر فى بداية الحرب العـالمية الأولى فيقول : « أولا كـان علينـا أن نكـسب القصر ، أو بالأحرى الشخصيات الرئيسية فى العائلة المصرية الحاكمة ٠ كان هنالك السلطان الذى عين فى غياب عباس حلمى ، وكان هنالك أخوه ، الأمير فؤاد ، الذى أصبح من بعد الملك فؤاد الأول ، والذى كانت له ميول ألمانية وايطالية ، وكان هنالك شخصيات عديدة نـافذة

اخرى ، وأهم من هؤلاء جميعاً كان هنالك ابن السلطان الذى كان متزوجا من ابنة الخديوى • وكان هنالك العلماء الذين كانوا رؤساء جامعة الازهر ، كما كان هنالك عامة الشعب المصرى — المتعلمون الذين يجلسون فى مقاهيهم يطالعون ويناقشون الى ما لانهاية له ، وبشوق ، كل عدد من كل صحيفة ، والفلاحون الذين كانوا ومايزالون منذ غابر الازمان المصدر الحقيقى لقوة مصر • » (١)

ثم يشير آغاخان فى مذاكرته الى مفهومه للمهمه التى كلفته بريطانيا بالقيام بها فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى فيقول : «لقد فهمنا بمهمتنا مهمة ايضاح ونصح ، وكان علينا أن نقنع أولئك الذين كنا نتحدث اليهم ، فى المجتمعات الخاصة والعامة على السواء ، بأنه لم يكن من مصلحتهم فحسب ، بل من واجبهم ، بوصفهم مسلمين صالحين ، أن يؤيدوا ويؤازروا قضية الحلفاء • وكان بوسعى طبعا ، أن أتحدث وأنا واثق من نفسى مستند الى معرفة حديثة وشخصية ، فذكرت أن الاتراك قد اتيحت لهم كل فرصة للحصول على شروط عادلة من الحلفاء ، وأن بريطانيا العظمى وفرنسا كانتا راغبتين فى استخدام نفوذهما كله لدى روسيا لصيانة مصالح تركيا فى المستقبل ، وأهم من كل ذلك أن الحياد كان بوسعه أن يؤمن لتركيا مجال التنفس الذى كانت بحاجة اليه • وفى حين أن أوربا كانت مشغولة بتدمير نفسها ، فقد كان بوسع تركيا أن تنعم بالوقت الكافى لاعادة تنظيم جهاز الادارة المتفكك الواسع فى الأقاليم ، (٢) وللتخفيف من الاستياء المتزايد لدى الوطنيين العرب ، ولتنفيذ جميع تلك الاصلاحات

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ •
(2) Lenczowski, g. : The Middle East in World Affairs, p. 455.

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى كان من شأنها أن تعزز الامبراطورية وتوحدها • كل هذه الفوائد قد أضاعتها رمية مقامر واحدة ، والمقامرون فى النهاية ، لايربحون ، والتاريخ يبين أن المقامرين السياسين حظهم فى النجاح ضئيل كالمقامرين فى الكازينو أو سباق الخيل • » (١)

كان ذلك هو الأساس الفكرى الذى قامت عليه مهمة آغاخان فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى مما جعل مهمته هذه على حد تعبيره « مهمة ايضاح ونصح » شملت العديد من فئات المجتمع فى مصر حينذاك . وركزت على اقناعهم بأنه لم يكن من مصلحتهم فحسب، بل كان أيضا من واجبهم بوصفهم مسلمين صالحين أن يؤيدوا ويؤازروا قضية الحلفاء • ونظرا لاشتراك آغاخان ـ قبيل تكليفه بالقيام بمهمته فى مصر مباشرة ـ فى عملية المفاوضات السرية بين بريطانيا والعثمانيين من أجل استمالتهم لتحييد دولتهم ازاء الصراع الدولى الناشب حينذاك بين ألمانيا ودول الوفاق ، والتى وئدت نتيجة لاستجابة القادة العثمانيين للدور الذى قامت بهألمانيا لاستقطابهم الى جانبها، فقد أدى ذلك الى تزايد ثقة آغاخان فى نفسه وفى معلوماته المستقاه من تجربته الشخصية وممارساته الفعلية ، مما زاد من مقدرته على التأثير والاقناع • فأشار الى أن بريطانيا وفرنسا كانتا راغبتين فى استخدام نفوذهما كله لدى روسيا لصيانة مصالح الدولة العثمانية ، فضلا عن أن الحياد كان من شأنه أن يؤمن للعثمانيين مجال التنفس ، فى الوقت الذى كانت أوربا مشغولة فيه بتدمير نفسهابهذه الحرب ، بحيث يتيح ذلك الانشغال الوقت الكافى للدولة العثمانية لاعادة تنظيم جهازها الادارى المتفكك فى الأقاليم التابعة لها ، مما يخفف من شعور الاستياء المتزايد لدى

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٢٠٥

الوطنيين العرب فى الولايـات العثمانية ، فضلا عن تنفيذ جميع الاصلاحـات الاجتماعية والسياسية والاقتصـادية التى كان من شانهـا ان تكون وحدة الامبراطورية وتعززهـا • ولكن كل هذه الاهداف التى كان يمكن ان تتحقق قد نسفتها مقامرة السياسيين العثمانيين بتحالفهم مع الالمان وبقيـامهم ببذل جهودهم لاجتذاب امراء العرب وزعمائهم الى جانب المانيا » (١) ، فضلا عن انهائهم للمفاوضات السريـة التى اشترك أغاخـان فى التمهيد لها حتى « كـانت الثمرة عـلى وشـــك ان تقتطف من الشـــجرة ، عندما نسفت الشـــجرة ، بل البســـتان كله ، الى شـــظايا » على حد تعبيره الذى أشرنا اليه من قبل •

أما بالنسبة للاهداف التى تحققت نتيجة للمهمة التى كلفت بريطانيا أغاخـان القيام بها فى مصر فى بداية الحرب العـالمية الأولى فقد أشـار اليها أغاخـان فى مذكراته بقوله : «لقد أدت مهمتنا الى النتائج التى كنـا نرجوها ، فتأمن الاستقرار الداخلى فى مصر طوال الحرب العالمية الاولى • وكانت المسـاعدة ــ التى أسداها هذا الهدوء الى الحلفاء حتى زحف الجنرال اللنبى النهائى المظفر عبر فلسطين وسوريـا الى حلب وسفوح جبال الأناضول ــ كبيرة جداً • ومن مصر أخذت طريقـى الى الهنـد ، بعد أن زرت القوات الهندية التى كانت مرابطة فى قناة السويس ، وبعد أن شجعت أفرادها (وكان كثير منهم ، طبعا ، من المسلمين) ، وبعد أن حضضتهم على أداء واجبهم ، وأن يقاتلوا بأمـانة واخلاص فى سبيل الملك ــ الامبراطور ، الملك الذى أقسموا على خدمته • وفى الهند أدركت من مقدار الثناء والشـكر المندفع الذى استقبلنى

---

(1) Hurewitz, J. C. : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I., p. 219.

به نائب الملك فما دونه ــ أننا قد قمنا بعمل رائع • ومن النتائج الشخصية الحسنة لهــذه المهمة فى مصر ازدياد محبتى لسير عباس على بك الذى أصبح وظل منــذ ذلك الحين من أقرب أصدقائى الى طيلة حياتى • وبالمناسبة أذكر أن ولديه ليسا أقل منــه شأنا فى مجال الخدمة العامة ، فأحدهما الآن (فى منتصف الخمسينات من القرن الحالى) يشغل منصب وزير باكستان فى موسكو ، فى حين أن الآخر ،بعــد أن كان الرئيس الســابق لوزارة الخارجية فى كراتشى ، يشغل الآن منصب المندوب السامى فى أوتاوا • وبعد ذلك من السنة نفسهــا (١٩١٥) قفلت عائدا الى لندن ، ومــرة أخرى تشجعت عندما لمست نجاح مهمتنا فى مصر •وقد شكرنى الملك نفسه (جــورج الخــامس) ، ورئيس الوزارة وأعضــاء الوزارة الاخرون ،بجواره،وشعرت بالارتياح عندما ادركت اننى قمت بخدمة مفيدة حقــا • وفى ابريل من عــام ١٩١٦ منحنى جــلالته شرفا ذا اهمية شخصية خاصــة • ذلك انه وافق على أن تحيينى المدفعية باحدى عشرة طلقة ، وعلى أن يمنحنى رتبة أمير حاكم اول بين أمراء بــومباى • لقد جــردت نهاية الامبراطورية الهندية ، والتبدلات الواسعة السياسية والاجتماعية التى أدت اليها هذه النهاية ، أقول لقد جــردت هذه كلها تلك البادرة من معناها المعاصر ، غير أنه فى الظروف والأحوال التى كانت سائدة فى عام ١٩١٦ كانت تلك البادرة شرفا عظيما وتصرفا كريما من جانب الملك • فتحية الأمير الحــاكم ، وعــدد طلقاتها ، كانت أمرا مهماً يدل على أعلى الأولوية والمقام الرفيع • ولقد سبق أن خصت هذه التحية بشخص واحد لم يكن أمير اقليميا • وذلك الشخص كان سير سالار جونج ، رئيس وزراء حيدر أباد ، الذى كان له وحــده الفضــل فى الابقاء على ولاء الهند الوســطى ودكن للســلطات

البريطانية عام ١٨٥٧ • » (١)

بهذا يختتم آغاخان فى مذكراته حديثه عن مهمته فى مصرفى بداية الحرب العالمية الأولى موضحا الظروف التى أدت الى اختياره شخصيا من قبل السلطات البريطانية للقيام بهذا المهمة ، والابعاد التى تفرعت اليها ، والخطوات التى اتبعت فى أدائها ، والأهداف التى حرصت بريطانيا على تحقيقهامن ورائها • كما تحدث آغاخان عن مدى النجاح الذى تحقق نتيجة لقيامه بهذه المهمة ، وانعكاس هذا النجاح على مخططات بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى • وأخيرا أشار آغاخان الى مظاهر التقدير التى خطى بها من قبل السلطات البريطانية سواء فى بريطانيا أو الهند نتيجة لنجاحه فى هذه المهمة بصفة خاصة ، ولاخلاصه فى تحقيق المصالح البريطانية بصفة عامة •

ومن الواضح أن مصالح آغاخان وآماله وطموحاته الشخصية التقت — كما حدث مع والده وجده من قبل — مع المصالح البريطانية ، سواء فى الساحة الهندية التى نشأ فيها ، أم فى الساحة الدولية التى اقتضت مسؤولياته كامام للطائفة الاسماعيلية أن يعمل فيها ويجوب أرجاءها • ومن هذا المنطلق قام آغاخان بمهمة فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ، وكان حريصا كل الحرص على المصالح البريطانية • وقد بدا هذا الحرص بوضوح فى المذكرة السرية التى أعدها آغاخان — ورفيقه الذى اختاره معه أثناء قيامه بمهمته وهو سير عباس على بك — والمؤرخة فى الثانى من يناير سنة ١٩١٥ والتى رفعها الى وزارة الهند البريطانية ، وتدور حول الوضع القائم فى مصر فى بداية

---

(١) مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ •

الحرب العالمية الأولى ، ولم يشر اليها آغاخان فى مذكراته •

والحقيقة أن هذه المذكرة تعطى عمقا أبعد مدى لمهمة آغاخان فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى توصلها الى المستوى الاستخبارى • ذلك لأن هذه المذكرة تحدثت عن الوضع القائم فى مصر حينذاك ، أى فى أعقاب القرار الخطير الذى اتخذته بريطانيا بفرض حمايتها على مصر وفصلها نهائيا عن الدولة العثمانية فى اليوم الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ • فكان يهم بريطانيا كثيرا التعرف على انعكاسات هذا القرار على الشعب المصرى بجميع فئاته حينذاك • ومن هنا جاءت أهمية توقيت زيارة آغاخان ورفيقه لمصر للتعرف على حقيقة اتجاهات الرأى العام المصرى حينذاك ازاء القضايا الخطيرة التى تهم بريطانيا ، وتحقق المصالح البريطانية فى مصر الى أبعد مدى ممكن • وقد كان آغاخان متفهما لأبعاد مهمته ، ايجابيا فى ابداء ملاحظاته ، حتى أنه أضاء الضوئين الأخضر أحيانا ، والأحمر أحيانا أخرى فى مذكرته عن الوضع القائم فى مصر حينذاك ، لتسترشد بها السلطات البريطانية لتحقيق مصالحها • وسوف نستعرض فيما يلى فحوى مذكرة آغاخان السرية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى والتى رفعها الى وزارة الهند البريطانية لنتعرف على أبعادها الحقيقية • ففى بداية هذه المذكرة أشار آغاخان الى أنها : « تعبر بصفة غير رسمية عن وجهة نظرنا (آغاخان وعباس على بك) ازاء بعض مظاهر الوضع السياسى القائم فى مصر ، كما تشير بايجاز الى الجهود التى قمنا بها (آغاخان وعباس على بك لازالة الاضطرابات التى أثارتها دسائس الوكلاء الأتراك والألمان بين صفوف الجنود المسلمين التابعين لصاحب الجلالة (ملك بريطانيا)

وفى نفس الوقت لمساعدة السلطات البريطانية فى خلق جو من الثقة المتبادلة والتفاهم بين ممثلى الحكومة البريطانية من جهة ، والمصريين من جهة أخرى ، وهى أمور ربما تهم وتعنى الماركيز أوف كرو Marquess of Crewe والسير ادوارد جراى Sir Edward Grey • »(1)

وهكذا أوضح آغاخان فى مقدمة مذكرته السرية أن الهدف من اعدادها عرض وجهة نظره ـ ورفيقه ـ ازاء بعض مظاهر الوضع السياسى القائم فى مصر حينذاك ، وأنه ـ ورفيقه ـ سيتناولان فيها بايجاز الجهود التى قاما بها لازالة الاضطرابات التى أثارتها دسائس الوكلاء الأتراك والألمان بين صفوف الجنود المسلمين التابعين لصاحب الجلالة ملك بريطانيا • وأيضا لمساعدة السلطات البريطانية فى خلق جو من الثقة المتبادلة والتفاهم بين ممثلى الحكومة البريطانية من جهة ، والمصريين من جهة أخرى • وأبدى آغاخان توقعه الى أن هذه الأمور ربما تهم وتعنى القائمين على وزارة الهند البريطانية وبخاصة « الماركيز اوف كرو » « والسير ادوارد جراى • »

وقد أشار آغاخان فى مذكرته السرية الى أن السلطات البريطانية فى مصر قد هيأت له الفرصة ولرفيقه ليتعرفا على حقيقة وجهة نظر الرأى العام المصرى بجميع فئاته حينذاك ، من خلال الجولة التى قطعا فيها مسافة تزيد عن ألف ميل ، وشملت زيارة مدن مصرية متعددة ،التقيا فيها بقطاعات الشعب المصرى

---

(1) Foreign and Commonwealth Office, India Office, Political and Secret Library London, B. 216, Judical and Secret Memoranda No. 31, Secret, Note by the Aga K'han and M. A. Ali Baig on the Situation in Egypt, Port Said, 12 the January 1915, p. 1.

المختلفة وتعرفا على آرائها ومواقفها • وفى ذلك يقول آغاخان فى اثناء اقامتنا القصيرة فى مصر منذ اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ وحتى اليوم الثانى عشر من شهر يناير سنة ١٩١٥ ، سافرنا مسافة تزيد عن ألف ميل ، وقمنا بزيارة الاسماعيلية ، والسويس ، وبور سعيد ، وطنطا ، والاسكندرية ، كما قمنا بزيارة جميع معسكرات القوات الهندية • ومن خلال وساطة الوكالة البريطانية فقد اتيحت لنا فرص عديدة لمناقشة المشكلات المصرية ، وخاصة بالنسبة لعلاقة المصريين مع النظام السياسى الجديد • وقد تمت هذه المناقشات مع قادة جميع اتجاهات الفكر السياسى بما فى ذلك رئيس الوزراء الحالى وزملائه ، ورئيس الوزراء السابق سعيد باشا ، وبعض الوزراء السابقين ، فضلا عن زعيم المعارضة ، ورئيس الجمعية التشريعية ، وأعضاء أسرة صاحب السمو السلطان ، وممثلى الطبقات الوسطى ، وممثلى الصحافة ، ورجال الاكليروس ، والعلماء المسلمين ، وآخرين • وكان انطباعنا الأول ، وهو الانطباع الذى لايزال قائما دون تغيير ، وذلك فيما عدا بعض الشواهد الدالة على الحاجة لنشاط عسكرى جدير بالاعتبار للدفاع عن البلاد ، فانه لم يكن هناك مايدل دلالة واضحة على أن المصريين كانوا منزعجين بأى حال من الاحوال من جراء قيام الحرب العظمى (الأولى) ، التى جذبت الى اعصارها ودوامتها الامبراطوريتين البريطانية والعثمانية ، ووضعت كلا منهما فى مواجهة الأخرى • بل ان التصريح التاريخى الذى صدر فى اليوم الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ والذى غير المصير السياسى لمصر ، قد قوبل بارتياح من قبل الشعب المصرى • أذ أن الارتباط الرسمى الطويل بين تركيا (يقصد الدولة العثمانية) ومصر الذى انتهى مؤخرا ، قد أدى فى أوقات مختلفة ونتيجة للسياسات

المتقلبة ، الى تحريك كل القوى الاتحادية من جهة ، والقوى الانفصالية من جهة أخرى • ولقد أحرزت القوى الاخيرة الانفصالية هيمنة متزايدة نتيجة لبعد نظرها السياسى من جهة ولتعثر نظام الحكم السابق فى مصر ، وافتقاده للتبصر ولتدبر العواقب السياسية من جهة اخرى ، وخاصة بعد أن غير الاحتلال البريطانى لمصر منذ سنة ١٨٨٢ المظهر الكلى لمستقبل البلاد • »

وهكذا فسر آغاخان فى مذكرته السرية ، من خلال لقاءاته ومناقشاته مع قادة اتجاهات الفكر السياسى فى مصر فى أعقاب فرض الحماية البريطانية عليها فى اليوم الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ ، موقف « القوى الانفصالية » وهى القوى التى رحبت بالانفصال عن الدولة العثمانية ، موضحا أنها كانت قد أحرزت « هيمنة متزايدة » •وعلل آغاخان موقفها الانفصالى هذا ببعد نظرها السياسى من جهة ، ولتعثر نظام الحكم السابق فى مصر ، وافتقاده للتبصر ولتدبر العواقب السياسية من جهة أخرى ، فضلا عن ابرازه لدور الاحتلال البريطانى فى مصر منذ سنة ١٨٨٢ فى تغيير المظهر الكلى لمستقبل البلاد ، مما ولد نوعا من القناعة والرضا لدى هذه القوى الانفصالية ، وأدى الى ترجيح موقفها ، الأمر الذى جعل قرار الحماية يقابل «بارتياح من قبل الشعب المصرى » على حد تعبيره ، وان كان هذا الارتياح فى حقيقة الأمر قد اختصت به القوى الانفصالية التى أشرنا اليها دون غيرها وليس عموم الشعب المصرى •

ثم يتساءل آغاخان فى مذكرته السريه عن الأثر الذى أحدثه

---

(1) I. O. L.. B. 216, Judical and Secret Memoranda No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 1.

الاحتلال البريطانى فى مصر منذ سنة ١٨٨٢ مما نتج عنه تغير المظهر الكلى لمستقبل البلاد ، ويحاول آغاخان أن يستنتج بنفسه هذا الأمر فيقول : « ولقد حاولنا آن نستنتج ما اذا كان الرخاء والتقدم الناشىء عن الوجود البريطانى له وزن الاكثر ثقلا لدى المصريين ، بصرف النظر عن القوة العسكرية للدولة المحتلة (بريطانيا) التى ضمنت ولاء الشعب لها فى مواجهة روابط عقائدية شائعة ، والى أى مدى تاثرت — اذا كان ذلك قد حدث — المشاعر الوطنية لدى المصريين بالمثل الاسلامية ذات الاصل الواحد نتيجة لانحياز الاتراك الى الجانب الالمانى . فاذا اخذنا فى الاعتبار هذه النقاط ، فضلا عن تداخل العوامل المختلفة والتى يبدو وكانها تحكم موقف المصريين ، فانه يجب علينا ان نتذكر ان سكان مصر وخاصة فى المناطق الحضرية ، التى تضم مراكز الفكر السياسى والنشاط العام ، فقد كانوا غير متجانسين بحيث لا يمكن ان يتأثروا بنفس الطريقة وبنفس الدرجة بما يشهدونه من أحداث قريبة . » ولاشك أن هذا الاستنتاج الذى توصل اليه آغاخان صحيح ودقيق ، ويظهر تفهما واقعيا الاتجاهات مراكز الفكر السياسى والنشاط العام فى مصر حينذاك التى كانت غير متجانسة ، مما جعل تأثرها بالأحداث الجارية — ومن أهمها فرض الحماية البريطانية على مصر وفصلها سياسيا عن الدولة العثمانية ليس بنفس الطريقة وبنفس الدرجة ونجد آغاخان يستعين بالاحصاءات المتاحة فى مصر حينذاك لتفسير استنتاجاته وتأكيد منطقيتها ، ولهذا فقد قال فى مذكرته السرية عن الوضع فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى أنه «من وجهة النظر السياسية فان سكان مصر — بعد انقاص الزيادة الطبيعية التى طرأت عقب احصاء سنة ١٩٠٧ — ممكن تقسيمهم الى أعداد كاملة تقدر بحوالى ١١ر٣٢٥ر٠٠٠ مصرى مسلم

و ٨٩٥٫٠٠٠ مصرى قبطى ، و ٧٥٫٠٠٠ تركى وعناصر عثمانية أخرى ، و ١٣٧٫٠٠٠ يونانى وايطالى وفرنسى و ٤٣٫٠٠٠ يهودى ، و ٢٥٫٠٠٠ عناصر بريطانية ، وبذلك يبلغ مجموعهم الاجمالى ١٢٫٤٠٠٫٠٠٠ . » [١]

ويستطرد آغاخان فى مذكرته السرية محللا بيانات هذا الاحصاء فيقول : « ويشكل المصريون المسلمون الأغلبية بمعدل يزيد عن ٩٠ ٪ من عدد السكان ، وهم بذلك يمثلون العمود الفقرى للحياة القومية فى مصر خارج المناطق الحضرية الصغيرة . ونادرا ما يشعر الفرد من هؤلاء بالقضايا الهامة التى تشتمل عليها أمور الحرب العظمى ، ولهذا فهو دائما غير ميال بجميع التغيرات السياسية التى تزعج مسيرته الهامة فى حياته الدينية والاقتصادية ، خاصة وانه يرى ان أراضى مصر الرملية القاحلة تتحول الى مساحات خضراء من القمح المتموج والقطن ، ويتحقق من آن اجراءات مفيدة لتحسين حالته المعنوية والمادية تتخذ باستمرار . كما أنه يدرك أنه يتمتع بالحرية الدينية الكاملة وأن كل مؤسساته الدينية المقدسة مصانة وموضع احترام بل ان مشاعره العنصرية الخاصة ليس من طبيعتها أن تجعله يتنازل عن مزايا حكومة جيدة ونزيهة خاصة وقد تعرض من قبل لاضطهاد عصرما قبل الاحتلال . »

ويبدو تحليل آغاخان للموقف السياسى للاغلبية المصرية يجانبه الصواب من ناحية اتهامه بالسلبية للقطاع الهائل من الشعب

---

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, p. 1.

المصرى المثـل فى المصريين المسلمين الذين كانوا على حد تعبيره «يمثلون العمود الفقرى للحياة القومية فى مصر خـارج المناطق الحضرية الصغيرة » حتى صور الفرد منهم « دائما غير مبال بجميع التغيرات السياسية التى تزعـج مسيرته الهادئة فى حياته الدينية والاقتصادية » • ووممما يناقض قول أغاخان هذا الثورة العارمة التى قام بها المصريون ضد الاحتلال البريطانى فى سنة ١٩١٩ واشترك فيها المصريون المسلمون والاقباط على السواء •

ثم يتحدث آغاخان فى مذكراته السرية التى رفعها الى وزارة الهنــد البريطانية فى يناير ١٩١٥ عن موقف المصريين الاقباط حينذاك فيقول : «ليس لدى الأقباط (فى مصر) شيئا يكسبونه ، بينما لديهم الكثير ليخسروه اذا ما حدث أى تغيير فى الاوضـــاع الراهنة ، بل ان تعلقهم بالقضية البريطانية من الممكن الاعتماد عليه تماما • »

ورغم توفر هذا الاعتقاد لدى آغاخــان عن موقف المصريين الاقباط حينذاك ، فقد أضاء آغاخان الضوء الأحمر أمام السلطات البريطانية محذرا اياها من اظهار أى ميل تجاه المصريين الأقباط ممايــؤدى الى نتائج خطيرة تتمثل فى فقـدان المصريين المسلمين للثقة فى نزاهــة السلطات البريطانية واستقامتها • ولهذا فقــد قال فى مذكــرته السرية « بدا لنا على أية حــال أن أى ميل تجاه الأقباطـ (المصريين) من قبــل السلطات البريطانية سيؤدى الى نتيجة خطيرة تتمثل فى أن المصريين المسلمين سيفقدون الثقة فى نزاهة السلطات البريطانية واستقامتها • »

وكان آغاخان ــ على نحو ما أشار اليه فى مذكراته السرية ــ قد قــام بدور ايجــابى فى اقناع المصريين المسلمين بأن النزاهة المطلقة هى الأساس الذى تقوم عليه سياســة بريطــانيا ، وأن

توجسهم ريبة من هذا الجانب لا أساس له ، وذلك بعد أن تبين لدى قادتهم دلائل واضحة على أن الأقباط المصريين كانوا موضع الثقة الحقيقية رغم وجود رغبة صادقة لدى السلطات البريطانية فى مصر فى حفظ التوازن بين المسلمين والأقباط حينذاك • وفى ذلك يقول آغاخان : « لقد أحاطنا كثيرون من الرجال القادة (من المصريين المسلمين) أنه رغم وجود رغبة صادقة فى حفظ التوازن بين المسلمين والأقباط (لدى السلطات البريطانية) ، فهناك دلائل دائمة على أن الأقباط كانوا موضع الثقة الحقيقية • ولقد بذلنا قصارى جهدنا لاقناع المسلمين المصريين أن النزاهة المطلقة هى الاساس الذى تقوم عليه السياسة البريطانية ، وأن توجسهم ريبة من هذا الجانب لا أساس له • ولكننا (أى آغاخان ورفيقه) نعتقد فى ضرورة وأهمية تجنب القيام بأى عمل من شأنه أن يثير أدنى شك فى وجود أى تفضيل طائفى لاى من الاقباط أو المسلمين وعلى الرغم من ذلك لم يتحقق هذا دائما فى مسلك صغار الموظفين • » (١) ويقصد آغاخان بذلك أنه على الرغم مما كان ينبغى أن تلتزم به السلطات البريطانية فى مصر من حرص على تجنب القيام بأى عمل من شأنه أن يثير أدنى شك فى وجود أى تفضيل طائفى لاى من الاقباط أو المسلمين ، فان هذا الالتزام ما كان يتحقق دائما فى تصرفات صغار الموظفين التابعين للسلطات البريطانية فى مصر حينذاك ، مما جعل المصريين المسلمين يفقدون الثقة فى « نزاهة السلطات البريطانية واستقامتها • »

وينتقل آغاخان بعد ذلك الى الحديث — فى مذكرته السرية —

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, p. 2.

عن اليونانيين والجنسيات الاخرى المقيمة فى مصر حينذاك وموقفها ازاء القضايا التى اثارتها الحرب العالمية الاولى فيقول : « ان اليونانيين ، الذين تربطهم بالمصريين صلات حميمة أكثر من أى جنسية أوروبية أخرى ، حتى من يعيش منهم فى القرى الصغيرة النائية ، وكذلك الايطاليين والفرنسيين والعناصر الأجنبية الأخرى أيضا ، يحتفظون بولائهم ووطنيتهم لدولهم الأصلية • بل انهم يبدون دائما كمن يسبحون مع التيار السياسى الغالب عندما لايتعارض مع مصالحهم القومية • أما بالنسبة لليهود فيبدو موقفهم انتهازيا تمليه رغبتهم فى تركهم فى أمن وسلام • وبالنسبة للرعايا البريطانيين فانهم بطبيعة الحال موالون باخلاص لبريطانيا • أما بالنسبة للأتراك وكثير من العثمانيين المسلمين الاخرين فمن المتوقع أن يكونوا بطبيعة الحال متعاطفين مع مصير الامبراطورية العثمانية ، وان كان من المحتمل أن يبقوا مسالمين مالم يبدد هدوءهم قيام بعض التغيرات غير المتوقعة • » (١)

وهكذا يوضح آغاخان للسلطات البريطانية موقف اليونانيين والجنسيات الاوربية الاخرى كالايطاليين والفرنسيين وغيرهم المقيمين فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى ، مؤكدا احتفاظهم بولائهم ووطنيتهم لدولهم الأصلية ،وان أشار بصفة خاصة الى ارتباط اليونانيين بالمصريين بصلات حميمة أكثر من أى جنسية أوروبية أخرى حتى أنهم كانوا ينتشرون بشكل ملحوظ فى القرى الصغيرة النائية فى أرجاء مصر حينذاك ، وهذا عائد بطبيعة الحال للصلات التاريخية بين الشعبين المصرى واليونانى ، ولقرب المسافة بين مصر واليونان حيث لايفصلهما سوى البحر

---

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Op. Cit., P. 2.

المتوسط الذى كان عـامل اتصال ميسر بين البلدين ، فضلا عن التقـارب الواضح بين طبيعـة الشعبين • على أن آغاخـان أبرز حقيقة مؤداها أن اليونـانيين والعنـاصر الاوربية الأخرى التى كانـت تعيش فى مصر حينذاك كانوا جميعا يبدون دائما كمـن يسبحـون مع التيار السياسى الغـالب عندما لا يتعارض مـع مصالحهم القومية •

وفيما يتعلق باليهود بصفة خاصة فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى فقد أوضح آغاخان فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطـانية أن موقف اليهود كان انتهازيـا ازاء القضايا المعاصرة فى مصر حينذاك ، وأن ذلك الموقف الانتهازى كان موقفا تقليديا ، وان حاول آغاخـان أن يخفف من حدة هذا الموقف عندما أشار الى أن هذا الموقف الانتهازى كانت تمليه عليهم رغبتهم فى تركهم يعيشون فى أمن وسلام • ومن الملاحظ أن نبرة من التعاطـف والتحفظ الزائدين تبدو فى حديث آغاخـان عن الجالية اليهودية فى مصر حينذاك ، لعل مرجعها منطلق من طبيعة موقف البريطـانيين وسياستهم ازاء اليهود والحركة الصهيونية التى كانت تخط طريقها فى هذا الوقت المبكر الـذى سبق وعد بلفور بقرابة عامين من الزمان •

ثم أشار آغاخان الى موقف الرعايا البريطانيين فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ، موضحا أنهم بطبيعة الحال كانـوا موالين باخلاص للسيـاسة البريطانية • أمـا بالنسبة للاتراك والعناصر العثمانية المسلمة المقيمين فى مصر حينذاك فقد أوضح أنه كان من المتوقـع أنهم بطبيعة الحـال متعاطفين مـع مصير الامبراطورية العثمانية ، وان كان من المحتمـل أن يبقوا مسالمين مالـم يبدد هدوءهم قيـام بعض التغيرات غير المتوقعة فى الموقف

الدولى تنعكس على الأوضاع القـائمة فى مصر حينذاك ، أو فى تصرف السلطـات البريطانية ازاء هذه العنـاصر للحيلولة دون قيامها بأى نشاط معاكس يعوق تحقيق الأهداف البريطانية .

ولم يفت آغاخان فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهنـد البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى والتى تناولت الوضع القائم فى مصر حينذاك ، أن يشير الى موقف الأرستقراطية المصرية باعتبارها عاملا هاما فى سياسة مصر وذات تأثير كبير على سكانها فى ذلك الحين فقال : « وهناك عامل هـام جدا ومثير فى سياسة مصر وسكانها يتمثل فى الارستقراطية التركية الألبانية المكونة من سلالة محمد على والجنود المرتزقة الذين سـاعدوه فى فتح البلاد ، وفى بناء تنظيم مترابط الى حد ما اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا ، والذى احتكت به السلطـات البريطانية الحاكمة ، هذه الارستقراطية — التى تتكون من حوالى مائة أسرة ، لا تعتبر بأى حال من الأحوال ملتزمة تماما بالتراث الديمقراطى للاسلام — هـذه الأرستقراطية اندمجت مع الطبقات العليا التى كانت ترجع تقريبا الى أصول تركية ألبانية وشركسية . وتقدر هذه الطبقـات العليا بحوالى ألف أسرة . وتشكل نسبة كبيرة من القوى الحاكمة التى — فى ظل الاستشارة والتوجيه البريطانى — لا تزال تحظى بالسيطرة . ومعظم أعضـاء هذه الطبقة العليا من المجتمع المصرى كثيروا الأسفار ، وقد تلقوا تعليمهم فى الأقطار الأوربية وبشكل رئيسى فى فرنسا ، وتشبعوا الى حد ما بالثقافة الأوربية ، التى وسعت أفقهم العقلى ، على الرغم من أنه فى بعض الحالات بدا أن تأثير الأفكار الغربية على فضائلهم وقيمهم الوطنية قد ولـدت لديهم ميولا غير مرغوب فيهـا ، وأن أفضل مثـال

للارستقراطية التركية الألبانية هو السلطان الجديد لمصر [١] ٠٠ وبمضى الوقت ونتيجة لضغط الظروف فقد ضعف الى حد بعيد ، وفى كثير من الحالات زال نهائيا التعاطف التركى لهؤلاء الرجال، الذين نمــوا لديهم قــدرا محدودا من الوطنية للقطر الذى ولدوا فيه ونشأوا ، والذين يعرفون أن بمصيره اندمجت تماما حياتهم ورفاهيتهم ٠ »

ويختتم آغاخان حديثه عن « الارستقراطية المصرية » باظهار ما يمكن أن يفيد المصالح البريطانية من ورائها أو نتيجة للاعتماد عليهــا فيقول فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهنــد البريطانية : « ان ولاء هذه الطبقــات (الارستقراطية) يمكــن الاعتماد عليه أثناء الأزمة الحالية ، ولكننا نغامر اذا ما اعتقدنا أن انحيازهم لجــانب القضية البريطــانية يمكن تقويته بسياسة التوفيق فيما بينهم ، وعن طريق تقديم تنازلات سخية لمشاعرهم وتطلعاتهم المعقولة ٠ » [١] وهكذا أوضح آغاخــان المــدى الذى تبلغه السلطات البريطانية فى الاعتمــاد على هــذه الطبقــات الأستقراطية فى بداية الحرب العالمية الأولى ، بعد أن أظهر هوية الطبقات وطبيعة التطور الذى سلكته وتأثرت به فى الساحــة المصرية التى قدر لها أن تنشأ فيها ، وان كانت أصــولها تعود الى جــذور تركية ألبانية وشركسية ٠ وقد أبدى آغاخــان تحفظاته الواضحة عندمــا اعتبر أن اعتقاده ــ الذى قد يصل « الى حــد المغامرة التى لاتؤمن عواقبها » على حد تعبيره ــ فى أن انحياز هذه

---

(١) السلطان حسين كامل ٠

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, pp. 2, 3.

الطبقات الأرستقراطية فى مصر الى جانب قضية بريطانيا فى بداية الحرب العالمية الأولى ، يمكن للسلطات البريطانية أن تقوم بتقويته عن طريق سياسة التوفيق فيما بين هذه الطبقات ، وعن طريق تقديم تنازلات سخية لمشاعرهم وتطلعاتهم • ولاشك أن توصيات آغاخان -على نحو ما أوضحناه - تتسم بالحرص الزائد على ابداء النصح المتحفظ الى أبعد مدى ممكن للسلطات البريطانية حفاظا على مصالح بريطانيا فى مصر حينذاك •

ثم يعود آغاخان فيشير - فى مذكراته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى عن الوضع القائم فى مصر حينذاك - وهو بصدد الحديث عن « تطلعات المثقفين المصريين » الى أن «بعض أعضاء الطبقات صاحبة النفوذ المشار اليها فى الفقرة السابقة ، وكذلك الطبقات المتعلمة بصفة عامة ، بما فيهم الطبقة العليا من المثقفين المصريين المسلمين ، وخصوصا الطلاب ، متأثرون الى حدما بأفكار غامضة عن الوطنية والاستقلال » • [1] وواضح أن آغاخان يتجاهل فى قوله هذا وضوح الأفكار الخاصة بالوطنية والاستقلال لدى الطبقات صاحبة النفوذ المشار اليها من قبل . وكذلك الطبقات المتعلمة بصفة عامة ، بمافيهم الطبقة العليا من المثقفين المصريين المسلمين وخصوصا الطلاب ، ذلك لأن هذه الأفكار الخاصة بالوطنية والاستقلال لم تكن تلق ترحيبا من قبل السلطات البريطانية بطبيعة الحال ، مما دعاه الى وصفها « بالأفكار الغامضة » على حد تعبيره •

---

(1) I. O. L., B. 216., Judical and Secret Memorannda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1951, Op. Cit., p. 3.

ولكن آغاخان يسارع فيشير في مذكرته السرية الى أن هذه الأفكار الخاصة بالوطنية والاستقلال لم تكن الوحيدة السائدة في الساحة المصرية حينذاك ، بل وجدت أفكار أخرى لدى مجموعة من الرجال وصفهم آغاخان بأنهم كانوا أعمق وأكثر تجربة لأن موقفهم يتفق الى حد كبير والمصالح البريطانية • وقد قال آغاخان عن هؤلاء الرجال : « ولكننا وجدنا أن الرجال الأعمق تفكيرا والأكثر تجربة الذين تبادلنا معهم الحديث ، كانوا يدركون تماما أوجه القصور لدى الشعب المصرى فى القوة العددية والقدرة الدفاعية فى المرحلة الراهنة من مراحل نموهم السياسى والفكرى والاجتماعى ، وقدروا بسرعة أنهم لا يستطيعون أن يقفوا على أرجلهم بدون مساعدة يد قوية تحميهم • كما كانوا يدركون بوضوح أنه نظرا للموقع الجغرافى الذى تحتله مصر ، ومركز قناة السويس كحلقة حيوية فى سلسلة عالمية من المصالح البريطانية ، فان مثل هذا الدعم الفعال يمكن أن يتحقق فقط عن طريق السيطرة المباشرة لبريطانيا العظمى • »

ثم يستخلص آغاخان من كل ما تقدم أن « الرأى العام المصرى المستنير بدا لنا متماسكا بطريقة عملية فى استنكار أى احتمال قصد به أن ينال من نسيج الرخاء الذى يرفع مستواه حاليا ، أو التسبب فى احداث عرقلة فى التقدم المادى والمعنوى الثابت للبلاد • وعلى أية حال ، فان السياسيين المصريين لايخفون طموحاتهم ، التى تنحو نحو استقلال ذاتى تحت الحماية البريطانية ، أو ادارة غير موجهة لمثل شئونهم الداخلية تكون متحررة من التعقيدات الدولية • اذ أنهم يرغبون فى اجراء تعديل تدريجى لهذه التعقيدات ، والغاء سريع وحاسم للامتيازات الأجنبية • ونحن لاندرى ما اذا كانت مراعاة المشاعر الايطالية أو لأسباب سياسية أخرى ، لابد أن تكون قوية دون شك ، لا تزال

الامتيازات الأجنبية قائمة فى هذه الفترة الحالية الحاسمة ، بينما لم يكن ليحدث الغاؤها بطبيعة الحال أية اضطرابات على الاطلاق فى المحيط الدولى المشحون بمقتضيات الحرب المستغرقة للانتباه والتى تصرف العالم بطريقة عملية عن المسائل الثانوية • اننا نفهم على أية حال ان الامتيازات مصيرها الزوال فى نهاية الحرب، ونحن نعتقد بصدق أن المصريين يتطلعون ، بتوقع موثوق فيه ، الى تحقيق ذلـك • » (١)

وهكذا أوضح آغاخان ــ فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى عن الوضع القائم فى مصر حينذاك ــ موقف الرأى العام المصرى المستنير بأنه كان متماسكا فى مواجهة أية تغيرات يقصد بها تأخير تقدمه المادى أو المعنوى • وان الساسة المصريين كانوا لا يخفون طموحاتهم فى أن تنال مصر الاستقلال فى ظل نوع من الارتباط مع بريطانيا ، كما أنهم كانوا يتطلعون بتوقع موثوق فيه الى الغـاء الامتيازات الأجنبية ، خاصة وأن هذه الامتيازات كان مصيرها الى الزوال فى نهاية الحرب ، ممـا جعله يرجح الغـاءها دون ماتأثر بالمشاعـر الايطالية ، فى الوقت الذى لن يثير الغاؤها فيه أية اضطرابات فى المحيط الدولى المشغول عن مثل هـذه المسائل الثانوية بمتطلبات الحرب العالمية الأولى المستغرقة للانتباه حينذاك •

ثم يستطرد آغاخان فى مذكرته السرية موضحا أن « المثقفين المصريين يأملـون فى أن اتصالهم الوثيـق بتقاليد الحكم الذاتى

---

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, p. 3.

للشعب البريطانى ، ذلك الاتصال الذى يحتفل به الان (ويعنى به اعلان الحمـاية البريطانية على مصر) سيترتب عليه أخيرا رفـع المركز السياسى للبلاد الى مستوى أعلى ، بوجود برلمان محلى بدلا من جمعية تشريعية استشـارية والتى تعتبر انشطتها التشريعية فى ظل دستورها الحـالى يمكن ان يصدر حكما بتعطيلها . كمـا أنهم يدركون عـدم جدوى التطلع الى ادارة شئونهم العسكريـة والبحرية ، والتى يجـب ان تبقى تحت اشراف القوة الحـامية ، ولكن فيما يتعلق بمسائل التشريع المدنى البحت ، والتى لا يمكن أن تؤثر فى شىء على المصالح الامبراطورية ، فان سلطات الجمعية التشريعية كمـا يعتقدون ، يجب ان توسـع فى نطاق حـدود مأمونة .»

على أن آغاخـان وهو يعرض رؤيته للوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العـالمية الاولى ويشير فيها الى تطلعات المثقفين المصريين حينذاك ، فانه يتحفظ فى تحديد المـدى الذى يمكن آن تبلغه هـذه التوقعات التى تنبأ بهـا لتلك التطلعات فى نطـاق التطبيق السيـاسى العملى فيقول فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية حينذاك : « وليس لنا أن نقول الى أى مدى يمكن أن تدخل هذه التوقعات فى نطـاق السياسة العملية ، ولكننا نتفق مع وجهة النظـر القائلة بأن البداية يمكن أن تتـم بأمان فيما يتعلق بادارة شئـون :

أ ـ الأوقـاف .

ب ـ والمحكمة الشرعيـة .

جـ ـ والمجلـس الحسبى الذى يختصـ بالأوقاف الخيريـة ، والمسـائل الكنسية ، وشئون الوصـاية على التوالى .

واذا تم تحقيق ذلك فسوف ينتج عنه تأثير سياسى ممتاز دون أى مساس بجوهر السيطرة البريطانية . ويتميز قدوم السلطان الجديد [١] بأنه تنازل غير ضار ولكنه هام بالنسبة للمشاعر المصرية ، وأن هيبة السلطان ومكانته كعاهل يتمتع بالحماية ستعزز حكمه فى بداية عهده ،حينما يكون موقفه الموالى بقوة للقضية البريطانية ليس متحررا كلية من الصعوبات الداخلية أو الصعوبات الأخرى . وسوف يكون هذا التنازل موضع تقدير وامتنان كل طبقات الشعب المصرى ، وستزداد ثقتهم فى دوافع وسياسة الحكومة البريطانية . » (1)

وهكذا حدد آغاخان بداية معقولة كان يمكن للسلطات البريطانية فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى أن تبدأ بها أعمالها بأمان تام باطلاق الحرية للمصريين فى شئون الأوقاف والمحكمة الشرعية والمجلس الحسبى الذى يختص بالأوقاف الخيرية والمسائل الكنسية وشئون الوصاية على التوالى . فاذا ما تم تحقيق ذلك فقد توقع آغاخان أن ذلك سينتج عنه تأثير سياسى ممتاز لدى المصريين دون أى مساس بجوهر السيطرة البريطانية . ولاشك أن هذه وجهة نظر وتوصية ايجابية تساعد على ارضاء جانب من تطلعات المصريين فى ذلك الحين . ثم يشير آغاخان بعد ذلك الى أن قدوم السلطان الجديد حسين كامل انما يعد تنازلا غير ضار بالمصالح البريطانية، وأن ذلك أمر هام بالنسبة لارضاء المشاعر المصرية حينذاك . وسيكون مركز السلطان ومكانته كعاهل يتمتع بالحماية البريطانية ، من العوامل التى تعزز حكمه فى

---

(١) السلطان حسين كامل .

(1) I. O .L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., pp. 3, 4.

بداية عهـده عندما يكون موقفه الموالى بقوة للمصالح البريطانية ليس متحـررا كلية من مواجهة بعض الصعوبـات الداخلية أو الصعوبـات الأخرى · ويختتم آغاخـان حديثه فى هذا الشـأن بالاشـارة الى أن قدوم السلطان الجـديد سيكون موضع تقدير وامتنان كـل طبقات الشعب المصرى حينـذاك ، وستزداد بذلك ثقتهم ــ على حـد تقديره ــ فى سيـاسة الحكومة البريطانية ودوافعهـا ·

وجدير بالذكر ان اقتراح آغاخان ــ الذى أورده فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ــ والخاص باتفاقه مـع وجهـة النظر القائلة بأن البـداية التى ينبغى على السلطـات البريطانية فى مصر ان تتبعها يمكن أن تتـم بأمان فيمـا يتعلق بادارة شئون الأوقـاف والمحكمة الشرعية والمجلس الحسبى انما يتفق ذلك ويتواكب تماما مـع اتجاه الشيخ محمد عبده فى نهاية أيامه ــ بعد عودته من منفاه فى سنة ١٨٨٨ وصدور عفو الخديو توفيق عنه ــ الى اجراء اصلاحاته عن طريق التربية والتعليم بكل ما يتبع ذلك مـن أصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقـاف ، وبذلك اختلف الشيخ محمد عبده عن استاذه جمال الدين الأفغانى الـذى أراد أن يكون ذلك الاصلاح عـن طريق السياسـة دون سواها · ومن الواضح أن الشيخ محمد عبده كان قد أدرك أنه لن يستطيع البقاء فى وطنه وتنفيذ برنامجه فى الاصلاح الا بمداراة الانجليز ، فاخراجهم من مصر لا يمكن أن يتم الا بالسير فى الجهاد عن طريق الحكمة · ولذلك اتجه الشيخ محمد عبده بخطته هذه الى تربيـة الأمة وتكوينها حتى تكون مصـدر الادارة والسياسة فى بلادهـا · وأيقن الشيخ محمد عبـده أنه لن يتمكن من تنفيـذ اصلاحاته التى أشرنا اليها الا من طريق رسمى ، ولا شك أن ذلك يوضح سبب اتصالاته بالخديو عبـاس حلمى الثانى وبالانجليز

حينذاك • وقد كانت علاقات محمد عبده بالخديو طيبة فى بادىء الأمر مما جعله ينجح فى اقناعه باصلاح الازهر والمحاكم الشرعية والأوقاف ، ولكن سرعان ماانقلب الشيخ محمد عبده معارضا للخديو بسبب تصرفه فى أموال الأوقاف ، وتوترت العلاقات بينهما حتى ان الخديو غضب ممن شاركوا فى تشييع جنازة الشيخ محمد عبده فى عام ١٩٠٥ • (١)

ثم ينتقل آغاخان — فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية بشأن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى — الى الحديث عن وضع مصر بعد أن أصبحت « محمية » ، وكانت انجلترا قد فرضت حمايتها على مصر فى اليوم الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤ ، وهو اليوم السابق مباشرة لليوم الذى وصل فيه آغاخان الى الأراضى المصرية للقيام بمهمته حفاظا على المصالح البريطانية • وباعلان بريطانيا للحماية البريطانية على مصر حينذاك فقد أسفرت بذلك عن نياتها الحقيقية ازاء مصر ، ووضعت حداً لسياسة الغموض التى سارت عليها منذ احتلالها لمصر فى سنة ١٨٨٢ • وفى اليوم التالى لاعلان الحماية أعلنت الحكومة البريطانية أيضا خلع الخديو عباس حلمى الثانى وتولية السلطان حسين كامل عرش مصر • وجدير بالذكر أن خلع الخديو عباس حلمى الثانى واستبدال الحماية بالاحتلال قد أنهيا عهدا كان جهد النضال القومى فى مصر موزعا فيه بين مقاومة الاحتلال من جهة ، والسعى لانشاء حكومة دستورية من جهة أخرى • على أن المناضلين المصريين سيتجهون بعد ذلك الى تركيز جهودهم ضد الحماية — التى كانت بطبيعة الحال وليدة الاحتلال — وذلك لازالتها ولارغام البريطانيين على

---

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٣٨ •

الجلاء • ومن الملاحظ أن الفريق الذى كان يرى ضرورة التعاون مع الانجليز وتنظيم علاقة مصر بانجلترا على أساس الاعتراف باستقلال البلاد كان يتبوأ مركز الصدارة فى حياة مصر حينذاك • [١]

ويوضح آغاخان ــ فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الاولى ــ الملابسات التى أحاطت بوضع مصر كمحمية بريطانية حينذاك فيقول : « لقد كان قطع العلاقات الودية مع تركيا (يقصد الدولة العثمانية) ، بالاضافة الى الموقف العدائى للخديو عباس الثانى الذى جاء فى تقرير سير لويس مالت "Sir Louiz Mallett" للتعاون مع الحزب العسكرى التركى فى تنظيم عملية تهديد خطيرة فى سوريا ضد الوضع البريطانى فى مصر ، قد أدى الى طرح تساؤل عما اذا كان ينبغى ضم مصر للامبراطورية البريطانية ، أو فيما اذا كان يجب تسوية الوضع السياسى للقطر بطريقة أخرى • لقد كان الرفض المؤكد والمتكرر فى السنوات الماضية من قبل وزراء بريطانيين متعاقبين لأى نية لضم مصر قد أثار قضايا معنوية كانت تسويتها تراقب باهتمام شديد وريبة جديرة بالاعتبار ، ليس من قبل المصريين فحسب ، بل من قبل كل العالم الاسلامى أيضا • ولقد قيل لنا أن عملية الضم ستثير مشاعر العداء ضد بريطانيا العظمى فى أنحاء متعددة وربما أدى ذلك الى حدوث تعقيدات خطيرة • ولكن تحويل مصر الى محمية بريطانية فى الظرف الراهن يعتبر بوجه عام أفضل حل

---

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٢ •

سياسى لمشكلة دقيقة وصعبة للغاية ٠ » [1]

وبذلك يرجح آغاخان القرار الذى اتخذته بريطانيا بفرض حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ فى اليوم السابق لوصوله اليها ، ويعتبر هذا القرار من وجهة نظره افضل حل سياسى اتخذته بريطانيا لمشكلة دقيقة وصعبة للغاية كان ينظر اليها باهتمام شديد ليس من قبل المصريين فحسب ، بل من قبل كل العالم الاسلامى أيضا ، مما جعل وزراء بريطانيين متعاقبين يبدون رفضا مؤكدا ومتكررا فى السنوات السابقة لقيام الحرب العالمية الأولى لأى نية لضم مصر الى بريطانيا ٠ اما قرار اعلان الحماية فى الظروف الأخيرة التى أشار اليها آغاخان فهو يعتبر « أفضل حل سياسى لمشكلة دقيقة وصعبة للغاية » على حد تعبيره ٠

ثم يتحدث آغاخان فى مذكرته السرية أيضا عن سلطان مصر الجديد السلطان حسين كامل فيقول : « ان ابتهاج المصريين بقرار حكومة صاحب الجلالة (ملك بريطانيا) عزز بالاختيار السعيد لسمو السلطان حسين كامل كأول سلطان لمصر ٠ وهو يحظى بتقدير المصريين وثقتهم أكثر من الخديو السابق (يقصد عباس حلمى الثانى) ، الذى سممت مؤامراته المستمرة جو القاهرة ، كما خلق استثماره المالى المشكوك فيه داخل البلاد ، وحتى

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 4.

بين أقرب أقربائه ، شعورا بعدم الثقة والخوف ٠ (١) أما فيما يتعلق بالسلطان الجديد فهو معروف باستقامته وتمسكه بالشرف، وعنايته الزائده بمصالح الفقراء ، واهتمامه الزائد بالشئون الزراعية ، والتى يجب ان يعتمد عليها بشكل كبير رخاء بلد مثل مصر ، كما أن ماضيه وارتباطه المبكر بكل فروع الادارة بما فيها الموارد المالية ، والشئون الحربية ، والأشغال العمومية ، والداخلية ، والأوقاف ، والتعليم ، تدفع الشعب المصرى الى الثقة فى مقدرته ومعرفته بالأمور ٠ لقد قيل لنا أنه لو أجرى استفتاء عام فان اختيار المصريين سيكون مثلما فعلت حكومة صاحب الجلالة البريطانية ٠ »

ويستطرد آغاخان فى حديثه عن السلطان حسين كامل باظهار انطباعه عن مقابلته وما أبداه السلطان من توضيح لموقفه ازاء المصالح البريطانية فيقول : « ولقد اتيحت لنا فرص لمقابلة سموه (السلطان حسين كامل) والتحدث معه ٠ وقد أثر فينا كرجل مستقيم ، ومستنير ، وواسع الافق ٠ وفى مقابلتنا الخاصة الأخيرة مع السلطان (حسين كامل) والتى تمت تلبية لرغبته الخاصة ، فقد عبر سموه بثقة وصراحة تامة عن آرائه فى

---

(١) لاحظ ما سبق أن ذكره آغاخان فى مذكراته عن الخديو عباس حلمى الثانى الذى توطدت علاقته معه بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، والمناقض تماما لما كان يعتقده عنه عندما رفع مذكرته السرية الى وزارة الهند البريطانية فى بداية تلك الحرب وضمنها ما أورده عنه من سوء ظن على نحو ما يبدو فى تلك السطور ٠ أما فى مذكراته فقد قال آغاخان عن عباس حلمى : « غير أنى خبرت عباس حلمى جيدا ابان السنوات الاخيرة فى منفاه الطويل فى أوربا ، وانى لمقتنع بأنه ظلم وحكم عليه حكما خاطئا ، (وكان قد توفى فجأة فى نهاية الحرب العالمية الثانية) » ٠ مذكرات آغاخان : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ ٠

تغير الحالة السياسية لمصر ، وصعوبات حالته الخاصة • اذ استجمعنا من حديثه أن الدور الذى يلعبه كمجرد رئيس صورى مزخرف لرقعة الشطرنج السياسية ، والذى كان يأمل بثقة أنه لم يكن متوقعا حينما وافق باخلاص على مقترحات حكومة الهند البريطانية ، هذا الدور سوف يقلل من هيبته فى نظر العالم الاسلامى ، بل وفى نظر رعاياه المصريين كذلك ، ويجعل من وضعه أمرا لا يمكن احتماله • لقد عبر عن اقتناعه بأنه نظرا لسجله النظيف وخبرته الناضجة ، فان سياسته القائمة على الثقة المتبادلة والارادة الطيبة المصحوبة برغبة قوية فى المحافظة على كرامته مع اعتبار خاص للسلطات والمسئوليات المرتبطة بوضع الحاكم فقط ، تستطيع أن تعمق شعور التعاون الودى الضرورى لتعزيز المصالح المصرية والبريطانية على السواء • »

ويختتم آغاخان حديثه عن السلطان حسين كامل فى مذكرته السرية فيقول : « وقد طلب (السلطان حسين كامل) منا أن ننقل الى صاحب الجلالة (ملك بريطانيا) ووزراء التاج رسالة بحسن نيته الصادقة ، وتأكيداته باخلاصه للرابطة البريطانية • وقد أضاف أنه أثناء الأزمة الحالية وفى المستقبل يمكن الاعتماد على ولائه الكامل فى تقديم كل الخدمات الممكنة للامبراطورية البريطانية ولبلاده ، ولقد تأثرنا أبلغ تأثير بنبرة الاخلاص الأصيل التى صبغت بها أحاديث سموه ، ونعتقد أن تعلقه الحازم بالقضية البريطانية فوق كل شك • » (١)

كانت هذه هى انطباعات آغاخان عن السلطان حسين كامل —

---

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915,

كما عبر عنها فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الاولى ـ وعن الظروف التى صاحبت تنصيبه سلطانا على مصر ، وردود فعل ذلك لدى المصريين ثم عن مدى اخلاصه للمصالح البريطانية وهو ماعبر عنه آغاخان بأن تعلق السلطان الحازم بالقضية البريطانية « فوق كل شك » ٠

اما بالنسبة للوزراء المصريين ومستشاريهم من الانجليز فقد تحدث عنهم آغاخان فى مذكرته السرية التى رفعها الىوزارة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الاولى فقال : « من خلال أحاديث الوزراء الذين أتيحت لنا فرصة الحديث معهم جميعا فى منافشة الموقف المصرى بصورة غير رسمية وبصفة ودية ، فقد استخلصنا انهم يرغبون فى تبادل حر وصريح لوجهات النظر فى الاستشارات المقدمة اليهم قبل ان تصبح نافذة المفعول ٠ لقد ألمحوا انه قد حدث احيانا ان اخذت فى الاعتبار استشارات صادرة عن وجهات نظر لم يؤخذ بها ، وعزيت الى التصلب فى الرأى والتعصب له ٠ وهذا بطبيعة الحال يفسد الى حد ما العلاقة الودية بين الوزير (المصرى) وبين مستشاره (الانجليزى) ، ويترك انطباعات سيئة فى ذهن كل من الجانبين ٠ ونتيجة لذلك فقد كان عزل الوزير القدير وابعاده يتم أحيانا بأية وسيلة ، بحيث ساد انطباع بأن الوزراء المستعدين للتنازل عن أحكامهم هم فقط المقبولون أو المرضى عنهم ٠ ومن المحتمل أن يكون ذلك رأيا مبالغا فيه عن هذه الحالة ، [1] ولكن مما لاشك فيه أيضا أنه يوجد فى أذهان كثير من السياسيين المصريين ان حرية الحكم أحيانا لها نقائصها ٠ ولقد تأكدنا تماما من أنه فى حالة تسوية المسائل الحيوية للمصالح الامبراطورية

---

(١) من الملاحظ التحفظ الواضح فى مذكرة آغاخان عند توجيه أى اتهام للسلطات البريطانية فى مصر حينذاك ٠

البريطانية لاينبغى التضحية بالحـزم مقابل توفر رغبة مترددة للحصول على تهدئة أو تسوية للامور ٠»

ويستطـرد آغاخـان فى حـديثه عن الوزراء المصريين ومستشاريهم وما أمكنه أن يستخلصه من مقابلاته معهم بما يفيد المصالح البريطانية فيقول : كذلك فاننا تبينا ان التأثير على هيبة البريطانيين من موقف غير مـؤكد ومتذبذب فى بلد يميل الناس فيه بالغريزة الى السلطة ، التى يعتقدون أنها تملك جوهر القوة الحقيقية ، فانه يجب ان نأخذ الحيطة ازاء مثل هـذا الاتجاه ٠ ولكن فى الظـروف العادية فانه يمكن اتخاذ مـوقف متحفظ من شأنه تجنـب التحيز عند اختيار أية قضية مما قـد يترتب عليه حدوث نتائج قد تكون ضارة على المدى الطويل للهيبة البريطانية التى يمكن الابقاء عليها على أساس من العدل والانصاف ٠ »

ويختتم آغاخان حديثه عن الوزراء المصريين ومستشاريهم الانجليز — فى مـذكرته السرية التى رفعهـا لوزارة الهنـد عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى — فيقول : « ومن المعتقد ان جوا من أى جانب ، وذلك قبل أن تبدأ الادارة بالنقد الودى والنزيه من أى جانب ، وذلك قبل أن تبدأ الادارة فى انجاز مهامها ووضعها موضـع التنفيذ ، لكفيل هـذا بتحقيق تقدم ملموس للمصالح الامبراطورية العليا من جهة ، وللمصالح المصرية من جهة أخرى ، كما أنها تزود زعماء الشعب (المصرى) بالثقة فى الادارة البريطانية ٠ وجدير بالذكر أن هذه الملاحظات ليست لها عـلاقة شخصية بهيئة المستشارين العـاليين (يقصـد الانجليز) اذ أن غالبيتهم يتمتع بعظيم التقدير ٠ » (١)

(1) I. O. L., B. 216, Judicai and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915,

هكذا اختتم آغاخان حديثه عن الوزراء المصريين ومستشاريهم فى بداية الحرب العالمية الأولى بالاشارة الى أن الملاحظات التى أوردها عنهم فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية حينذاك لم تكن تتعلق بشخصية المستشارين البريطانيين الذين كانوا موجودين فى مصر فى ذلك الحين والذين كان معظمهم — فى رأيه — يتمتعون بعظيم التقدير • ولاشك أن قول آغاخان هذا يعبر عن تحفظه الملحوظ بالنسبة لموظفى الادارة البريطانية فى مصر حينذاك •

وجدير بالذكر أن « سياسة نجلزة الادارة المصرية » قد مورست على نطاق واسع من قبل السلطات البريطانية فى مصر فى أعقاب عقد الوفاق الودى "Entente Cordiale" فى سنة ١٩٠٤ ، بحيث تضاعف بعد ذلك عدد الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية • ففى عام ١٩٠٦ كان هناك مستشار انجليزى فى نظارة الداخلية • أما نظارة المالية فكان مستشارها المالى ووكيلاها ومراقب الضرائب بها من الانجليز • بينما كانت وزارة الأشغال بها مستشار ووكيلان ومفتش عام للرى من الانجليز •كما شغل الانجليز أيضا منصبى وكيل نظارة الحربية وسردار الجيش المصرى أى القائد العام للجيش • بل ان الانجليز شغلوا كذلك مناصب المستشار القضائى والمدعى العمومى والمفتش العام للنيابات فى نظارة الحقانية • وبذلك سيطر الانجليز من مستشارين ووكلاء للنظارات ومديرين للمصالح على جميع النظارات ، عدا نظارة الخارجية نظرا لقلة أهميتها حيث لم يكن لمصر ،وهى ولاية عثمانية،علاقات دبلوماسية رسمية مع الدول• كما قام «سير الدون جورست» المعتمد البريطانى بعد « كرومر » بفتح مكتب دائم فى لندن لتوظيف الانجليز فى الحكومة المصرية• وهكذا فان عدد المستشارين الانجليز تضاعف بشكل ملحوظ بعد

عقد الوفاق الودى ممـــا كان له أسوأ الأثر فى مشاعــر المصريين الذين لاحظــوا أن البريطانيين ينفذون مخططاتهم ويفرضـــون ارادتهم على الجهاز الادارى لمصر دون أى مراعاة لوجهات النظر المصرية حينذاك ٠ (١)

ولهذا فقد أشار آغاخان ـ فى مذكرته السريةالتى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائـم فى مصر فى بـداية الحرب العالمية الأولى ـ عند معالجته لموضــوع الوزراء المصريين ومستشاريهم الانجليز ، الى أنه ينبغى على السلطات البريطانية فى مصر أن تتخذ « مــوقفا متحفظا من شأنه تجنب التحــيز (الى الجانب البريطانى بطبيعة الحال) عند اختيار أية قضية » ، وأن هــذا أدعى للحفاظ على هيبــة بريطانيا لدى المصريين ، تلك الهيبة « التى يمكن الابقاء عليها على أساس من العدل والانصاف» كما أكد آغاخان على أن خلق جو من الثقة المتبادلة بين السلطات البريطانية والمصريين بحيث يسمح بالنقد الودى والنزيه من قبل كلا الجانبين قبل وضع الأمور موضع التنفيذ لكفيل بتحقيق تقدم ملموس للمصالح البريطانية العليا من جهة ، وللمصالح المصرية من جهة أخرى ، كما يزود زعماء الشعب المصرى بالثقة فى الادارة البريطانية ٠ ولاشك أن هذه التوصيات التى أبداها آغاخان فى مذكرته السرية ايجابية ومفيدة لخلق جو من الثقة بين المصريين والبريطانيين فى ذلك الحين ٠

ثم ينتقل آغاخان ـ فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهنــد البريطانية عن الوضع القــائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ـ الى الحديث عن الوطنيين المصريين والظروف التى

---

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ٠

صاحبت الحركة الوطنية في مصر حينذاك وموقف السلطات البريطانية ازاءها فيقول : « ان الحركة الوطنية ، التى استهدفت وضع حد للاحتلال البريطانى والحصول على الاستقلال المطلق لمصر قد كبح جماحها فى سنة ١٩٠٧ عندما تعاون الخديو السابق (عباس حلمى الثانى) مع سير الدون جورست "Sir Eldon Gorst" (١٩٠٧ ــ ١٩١١) فى قمعها (١) • وفى أثناء حكم لورد كتشنر "Lord Kitchener" فقد أمكن الى حد بعيد تحييد أنشطة الوطنيين عن طريق التأثير الكبير الناتج عن الاجراءات التى اتخذها • ويبدو على أية حال مما شاهدناه وسمعناه فى مصر أن الروح الوطنية لم تمت ولكنها خلدت الى السكون • فالطلاب وخاصة طلاب مدرسة الحقوق بالقاهرة ، وهؤلاء الذين يتلقون تعليمهم فى الأقطار الأجنبية معرضون بوجه خاص لدعاية الوطنيين • »

ويستطرد آغاخان فى حديثه عن الوطنيين المصريين فى مذكرته السرية فيقول : « ان الفئة القليلة التى تمثل وجهات النظر الوطنية والذين تحادثنا اليهم ، يبدو أنهم يعتقدون أنه اذا تم تبنى سياسة ذات ثقة أكبر فى ممثلى الشعب (المصرى) ، وأنه اذا روعى فى حكم البلاد (المصرية) مصلحة المصريين وآمالهم الشرعية كأمة تحترم ذاتها ، وليس لأية اعتبارات ثانوية أخرى فان المصريين سوف يؤيدون بحرارة السلطات البريطانية • ولقد اعترف هؤلاء بأن اجراءات توسيع الرقعة الزراعية وتحسين الحالة المالية للفلاح حققت نجاحا مذهلا ، ولكن من وجهة نظرهم

---

(١) يعتبر « سير الدون جورست » من رجال الاحتلال البريطانى القدامى ذلك لانه خدم فى مصر فى الفترة من ١٨٨٦ ــ ١٩٠٤ قبل أن يشغل منصبه كمعتمد بريطانى فى الفترة من ١٩٠٧ ــ ١٩١١ •

فان سياسة التعليم التى تتبعهــا الحكومة المصرية تحت التوجيــه البريطانى قد كانت الى حد ما فاترة ، وتركت انطباعا فى عقولهم بأن النهضة الحقيقية لشعــب مصر بين مصاف الأمــم غير مرغوب فيها لأسباب سياسية ، ولهذا فانهم يطالبون بأنه لا يجب أن يسمح لهذه الأسباب بالوقوف فى طريق التقدم الوطنى » •

هكذا أشار آغاخان فى مذكرته الى الحركة الوطنية المصرية التى استهدفت على حــد تعبيره « وضع حد للاحتــلال البريطانى والحصول على الاستقلال المطلق لمصر» • ومن المعروف أن الحركة الوطنية كانت قد خمدت بعــد أن انتهت الثورة العرابيــة بسجن زعمائها وتشريدهم ، واستمر الحــال كذلك طوال عهد الخديــو توفيق نتيجة لتحالفه البغيض مع سلطات الاحتلال البريطانى التى ارتمى فى أحضــانها • ومــن المعروف أن « السير ايفلين بيرنج "Sir Evelyn Baring' لورد كرومر "Lord Cromer" فيما بعد (١٨٤١ ـ ١٩١٧) المعروف بمبادئه الاستعمارية وبأنه أحد دعاة الامبراطورية والامبريالزم ، (١) قد استبد بحكم مصر وانكر عليهــا الحقوق النيابية ، وكان مخطئا فى اعتقــاده أن الاحتلال الانجليزى كان منجاة لمصر واصلاحا لحالتها وحلا حاسما لمشكلتها • وعندما عرضت الدولة العثمانية على انجلترا الدخول معها فى مفاوضات فى أواخر سنة ١٨٨٢ لبحث موضوع الجــلاء عن مصر ، وأوفدت انجلترا « سير هنرى درمندولف "Sir Henry Drummond Wolff » فى بعثة الى استانبول والقاهرة للتفاوض مع

---

(1) Owen, R. : The Influence of Lord Cromer's Indian experience on British policy in Egypt, 1883 — 1907, Middle Eartern Afairs, 4, pp. 109 — 113.

الحكومة العثمانية على أساس تحديد موعد للجلاء فى سنوات معينة • وتوصل « درمندولف » الى اتفاق مع الحكومة العثمانية فى ٢٢ مايو عام ١٨٨٧ ، [١] فان فرنسا وروسيا عملتا على فشل هذه الاتفاقية وأثارتا مخاوف السلطان العثمانى من التوقيع عليها ، الأمر الذى جعل بريطانيا لم تعد تفكر اطلاقا فى احتمال دعوة الدولة العثمانية للتعاون معها فى المسألة المصرية ، وأخذت تقوى لديها فكرة اطالة أمر الاحتلال نظرا لزيادة المصالح البريطانية الامبراطورية فى قناة السويس [٢] الى جانب المصالح التجارية والقطنية ، فضلا عن رغبة الحكومة البريطانية فى استرجاع السودان بعد أن أدى اتفاق الحكم الثنائى "Anglo Egyptian Convention" الذى أبرمته انجلترا مع مصر فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الى تثبيت أقدامها فى وادى النيل • وبالاضافة الى كل ماسبق فقد كان «اللورد كرومر » من أشد المعارضين لفكرة الجلاء عن مصر حينذاك • وكانت انجلترا قد فرضت على مصر فى الفترة مابين عامى ١٨٨٢ و ١٩١٤ حماية مقنعة "Veiled protectorate" ففى حين ظلت السلطة الشرعية فى البلاد فى أيدى الخديو ومجلس النظار ، فقد تركزت السلطة الفعلية فى يد « اللورد كرومر » الذى استمر فى منصبه حتى عام ١٩٠٧ •

على أن مركز انجلترا فى مصر ظل مزعزعا ، نظرا لان مصر ظلت من الناحية الشرعية خاضعة لسيادة الدولة العثمانية ، كما

---

(1) Safwat, M. (Dr.) : Great Britain and Egypt : The problem of evacuation with special reference to the Mission of Sir Henry Drummond Wolff, pp. 97 — 142.

(٢) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : انجلترا وقناة السويس ، ١٨٥٤ — ١٩٥٦ ، ص ١٥ •

أن انجلترا لقيت معارضة قوية حينذاك من جانب الدول الأوربية وخاصة فرنسا ، فضلا عن المعارضة القوية التى واجهتها من جانب الشعب المصرى • واذا كانت انجلترا قد تخلصت من معارضة فرنسا بعقد الاتفاق الودى فى ٨ أبريل سنة ١٩٠٤ واعترفت فرنسا بموجبه بمركز بريطانيا الفعلى فى مصر مع الاحتفاظ بالحالة السياسية فيها على نحو ما كانت عليه حينذاك • [1] لهذا لم يعد أمام بريطانيا لفرض سيادتها الكاملة على البلاد سوى ذلك الخيط الشرعى الرفيع ، الذى كان يربط مصر بالدولة العثمانية ، مما جعلها تقطعة بعد ذلك بعشر سنوات بفرض الحماية البريطانية على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وهو اليوم السابق مباشرة لليوم الذى وصل فيه آغاخان الى مصر للقيام بمهمته فيها حفاظا على المصالح البريطانية •

أما بالنسبة للمعارضة القوية التى واجهتها انجلترا من قبل الشعب المصرى والتى كانت قد خمدت فى السنوات العشر الأولى التى تلت الاحتلال ، فقد تغير وضعها بعد اعتلاء عباس حلمى الثانى كرسى الخديوية عقب وفاة أبية فى ٧ يناير سنة ١٨٩٢ • وكان عباس شديد الاعجاب بجده اسماعيل فى الوقت الذى كان يحتقر فيهو الده لضعفه واستسلامه • لهذا فقد ساءه عندما تولى كرسى الخديوية أن يرى الانجليز يفرضون سيطرتهم على وزارات الحكومة ومصالحها ، فاعتزم وضع حد لهذا التدخل غير المشروع • وقد شجعه مستشاروه على استرداد حقوقه باعتبار أن فرنسا ومن ورائها روسيا ــ كانتا حينذاك تؤيدان استقلال مصر الذاتى •

---

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه ، ص ١١٨ ــ ١١٩ •

كما قام عباس حلمى بتغيير الحاشية التى أحاطت بوالده وتودد الى المصريين الذين أحبوه واستبشروا به خيرا ، لدرجة أن « كرومر » اعتقد أن المبادىء العرابية قد عادت الى الظهور تحت اسم جديد هو لقب الخديوية ، وأن الحالة قد أصبحت كثيرة الشبه بما كانت عليه عند بداية قيام الثورة العرابية • [1]

وقد بدا عباس حلمى الثانى جريئا واسع الأمل عند توليه كرسى الخديوية ، وحاول القضاء على سيطرة البريطانيين على مقدرات البلاد ، مما جعله يصطدم « بكرومر » الذى قرر أن يلقنه درسا يطلعه على حقيقة الموقف فى مصر حينذاك • وانتهز « كرومر » فرصة قيام الخديو باقالة وزارة مصطفى فهمى فى يناير سنة ١٨٩٣ وكانت موالية للانجليز ، واحتج بشدة على مسلك الخديو ولم يعترف بوزارة حسين فخرى باشا التى عينها عباس حلمى مكان الوزارة المقالة • وعندما أيدت الحكومة الحكومة البريطانية « كرومر » فى ذلك اضطر الخديو عباس أن يتراجع ويوافق عى اقتراح « كرومر » بتولية رياض باشا على رأس وزارة جديدة • بل واستصدر « كرومر » أيضا نصيحة من الحكومة البريطانية لعباس بألا يجرى تعديلا وزاريا دون استشارة المعتمد البريطانى • [1]

ونظرا لأن هذا الموقف من قبل الخديو عباس حلمى الثانى قد لقى عطف الشعب والتفافه حوله فقد حاول « كرومر » توجيه لطمة قوية ثانية لعباس حلمى عندما احتك الخديو « بكتشنر » —

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) : تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة ، ص ٢٠ •

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣١٧ •

سردار الجيش المصرى حينذاك ـ فبادر « كرومر » الى الاتصال برياض باشا الذى تولى الوزارة بناء على اقتراح « كرومر » وطلب منه تقديم اعتذار رسمى من الخديو عباس حلمى ينشر فى الصحيفة الرسمية • ولم يجد عباس بدا من الاعتذار لأنه وجد نفسه وحيدا فى مواجهة « كرومر » وحكومته • ولا شك أن هذه الحادثة الأخيرة كانت ضربة قاضية لنفوذ عباس فى الجيش على نحو ما أكدته صحيفة الأهرام حينذاك • [1] وعندما حاول عباس الاحتماء بالدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على مصر فانه لم يتلق من السلطان سوى النصائح والتشجيع على مقاومة الاحتلال لأن السلطان نفسه كان عاجزا عن مقاومة الدول الأوربية ، والتخلص من نفوذها المتزايد •

أما بالنسبة للظروف التى مرت بها الحركة الوطنية فى مصر فى أعقاب الاحتلال ، فمن الملاحظ أن سلطات الاحتلال قد اكتسبت الى جانبها العمد والمشايخ وكبار الملاك الزراعيين وبعض العناصر الأخرى التى تشكل منها حزب الأمة ، ولكنها فشلت فى اجتذاب رجال الطبقة الوسطى من سكان المدن والبورجوازيين الذين لم يمتلكوا أرضا ولم يتأثروا بسياسة الاحتلال الزراعية • وعلى ذلك لم يمت الشعور القومى فى مصر بل قام شباب الجيل الجديد أو الطليعة المثقفة الناشئة من المحامين والأطباء والمهندسين والصحفيين والمعلمين وغيرهم ينادون بحقوقهم السياسية • فكانوا يتوقون الى أن يلعبوا دورهم فى الحياة السياسية ، خاصة وأنهم كانوا قد تأثروا كثيرا بالاتجاهات الغربية • وقد أحدث هذا اختلافا بينهم وبين قرنائهم ممن

---

(١) محمد حسين (دكتور) : الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ، الجزء الاول ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ •

تتلمذوا فى الأزهر وتأثروا بالبيئة الدينية التى كان لها وزن كبير خلال الثورة العرابية • وسوف يحدث هذا الاختلاف تصادما بين الفكر التقليدى والفكر المتأثر بالغرب بحيث ينعكس ذلك فى برامج الأحزاب السياسية التى ظهرت فى مصر فيما بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٤ • [1]

وقد حرص رجال حزب الأمة على حسن صلتهم بسلطات الاحتلال لأنهم كانوا يعتقدون أن مصر فى ضعفها وانحلالها حينذاك كانت لاتستطيع أن تقاومه ، وأن الطريقه الأمثل للتقدم هو اصلاح حالتها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية بالاتفاق مع سلطات الاحتلال • غير أن الكثير من المصريين لم يستجبوا لآراء حزب الأمة ودعوته مثلما استجابوا لأسلوب مصطفى كامل وصحيفة اللواء ، ولم تلق أيديولوجية « القومية المصرية » التى نادى بها حزب الأمة قبول أيديولوجية « الجامعة الاسلامية » التى وجدت رواجا كبيرا فى مجتمع عاش طول عمره اسلاميا • كما أن صحيفة « الجريدة » المعبره عن حزب الأمة على الرغم أنها راجت رواجا حسنا ، واستطاعت أن تثبت كيانها ، لم تحظ بانتشار يماثل جرائد الحزب الوطنى التى كانت تقدم لقرائها المقالات الحماسية التى تخاطب العاطفة •

ومن ناحية أخرى فنظرا لأن حزب الأمة لم يحقق آمال « كرومر » والدوائر الانجليزية بسبب قيامه فى الوقت الذى اتسعت فيه الهوة بين المصريين والانجليز ولهذا فقد حدث بعد أن وقعت انجلترا الاتفاق الودى مع فرنسا ، أن أظهر «كرومر» علنا نيات الاحتلال واعتبر نفسه السيد الآمر الناهى الذى يستطيع أن

---

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣١٩ — ٣٢٠ •

يسير الدولة كيفما يشاء • ونتيجة لذلك فقد انهارت الامال التى علقها حزب الأمة على التعاون مع الانجليز • كما كان التقرير الأخير الذى نشره « كرومر » على اثر رحيله من مصر ضربة موجهة لحزب الامة ، لانه صب احتقاره على المبادىء التى اعتز بهامفكروه صحيفة«الجريدة»لسان حال حزب الأمة تقرير«كرومر» وانتقدته، وما لبث أن تطور النهج الذى سار عليه الحزب بعد انتهاء«كرومر»في سنة ١٩٠٧ فى ظل سياسة الوفاق فى عهد خلفه « سير الدون جورست » ، الذى أرادت انجلترا فى عهده معالجة الحركة القومية بطرقها من زاوية جديدة وهى كسب الخديو بجانب الاحتلال باسترضائه برد بعض السلطات اليه • وكانت الخطة ألا يمعن المعتمد البريطانى فى هذا الارضاء أو الاغضاب ، ولكن « جورست » انحرف نحو السلطة الشرعية — وكان يمثلها عباس — انحرافا شديدا فأخذ يرضى شره الخديو الى السلطة والمال ويطلق يده فى كل ماتشتهيه نفسه منهما • واغتر الخديو وأسرف ، فاستثار هذا الحركة القومية فى جانبها المتطرف ، المتمثل فى الحزب الوطنى ، والمعتدل المتمثل فى حزب الأمة حتى تطور منهجه الى الحملة على الاحتلال ثم الخديو •

ولهذا فان توصية آغاخان التى أوردها فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ، هى أن تتبنى السلطات البريطانية فى مصر سياسة ذات ثقة أكبر فى ممثلى الشعب المصرى ، وأنه اذا راعت سلطات الاحتلال فى حكم مصر مصلحة المصريين وآمالهم الشرعية كأمة تحترم ذاتها ، وليس لأية إعتبارات ثانوية أخرى ، فان المصريين سوف يؤيدون بحرارة السلطات البريطانية ، خاصة وأن هذا الاتجاه كان يتبناه حزب

الأمـة على النحـو الذى أشرنا اليه • ولاشك أن هـذه التوصية تستهدف اجتذاب العناصر الوطنية وتوليد الثقة لديها في حسن نـوايا بريطانيا التى بدت — فى رأى آغاخـان — فى بعض الاصلاحات التى أشار اليها • وكانت سلطات الاحتـلال فى مصر قد استخدمت فى عهد « جورست » القـوة للتنكيل والضغط على الحريات والمحاكمات ومصادرة الصحف ، مما أدى الى توسيع هوة الخـلاف بين الوطنيين والسلطات البريطانية الأمـر الذى أوصى آغاخان بالعمل على تلافية •

واذا كان آغاخان قد أشار فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهنـد البريطانية عن الوضع القائـم فى مصر فى بداية الحرب العالميـة الأولى — الى أن الحركة الوطنيـة المصرية التى استهدفت وضع حد للاحتلال البريطانى والحصول على الاستقلال المطلق قد كبح جمـاحها فى سنة ١٩٠٧ عندما تعـاون فى قمعها الخديو عباس حلمى الثانى مـع « سير الدون جورست » المعتمـد البريطانى بعد « كرومر » فقد حدث ذلك عندما تضعضع موقف عباس وخار عزمه أمـام اللطمتين القاسيتين اللتين تلقاهمـا من « كرومر » • وفقد الخديو الأمل فى تلقى أية مساعدة حقيقية من المصادر التى كان يرجو مساعدتها ، مما اضطره أن يبدأ فى اتباع سياسة التسليم للاحتلال بعد حادثة فاشـودة عام ١٨٩٨ ، ولهذا فقد وافق على اتفـاقية السودان عام ١٨٩٩ ، وتوالى خضوعـه للاحتلال بعد ذلك • ومن مظاهر خضوع عباس حلمى للاحتـلال البريطانى مشاهدته للعرض الذى كان يقيمه جيش الاحتلال فى ميدان عابدين بمناسبة ميلاد الملكة « فيكتوريا » ثم الملك « ادوارد السابع » من بعدها • ووقوفه للمرة الأولى تحت العلم البريطانى بجوار « لورد كرومر » فى عام ١٩٠٤ ، مرتديا بدلة التشريفـة يحيط به حرسه الخاص ، وقبوله تعيين ياور انجليزى له فى عام

١٩٠٥ وهو « الجنرال واطسون » . بل أن عباس انصرف فى غمرة يأسه الى المال يجمعه فى شره ولا يبالى شيئا غير تحقيق منفعته ، معتذرا عن مسلكه بأنه يعادى دولة قوية قاهرة تحتاج فى حربها الى المال ، وبأنه لا يدرى أينتهى الأمر بظفره فينجح فى اجلائها أم تظفر هى فتطرده خارج مصر ؟ وأدى انحراف عباس الى تحول الشعب عنه وسخطه عليه ، كما فترت علاقة الخديو بمصطفى كامل . وهكذا خضعت « السلطة الشرعية الحاكمة » فى مصر للاحتلال البريطانى منذ عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٠٦ ، ولم يبد الخديو أى اعتراض على تزايد السيطرة البريطانية فى الادارة . وهذا يفسر ماقاله آغاخان فى مذكرته السرية من أن الحركة الوطنية قد كبح جماحها فى سنة ١٩٠٧ عندما تعاون فى قمعها الخديو عباس حلمى الثانى مع « سير الدون جورست » المعتمد البريطانى فى مصر بعد « كرومر » . كذلك أشار آغاخان الى أن نشاط الوطنيين قد أمكن الى حد بعيد تحييده أثناء حكم « لورد كتشنر » عن طريق التأثير الكبير الناتج عن الاجراءات التى اتخذها . ولكن آغاخان عاد فقال أنه يبدو من خلال المشاهدة والاستماع أن الروح الوطنية فى مصر لم تمت ولكنها خلدت الى السكون ، وأن طلاب مدرسة الحقوق بالقاهرة ، والطلاب المصريين الذين يتلقون تعليمهم فى الأقطار الأجنبية معرضون للانجذاب لدعاية الوطنيين . وهو استنتاج صحيح تؤكده مجريات الأحداث التى ستتوالى على الحركة الوطنية فى مصر فيما بعد .

وعندما أشار آغاخان فى مذكرته السرية الى « أن الفئة القليلة التى تمثل وجهات النظر الوطنية والذين تحادثنا اليهم ، يبدو أنهم يعتقدون أنه اذا تم تبنى سياسة ذات ثقة أكبر فى ممثلى الشعب ، وأنه اذا روعى فى حكم البلاد (المصرية) مصلحة المصريين وآمالهم الشرعية كأمة تحترم ذاتها ، وليست لأية

اعتبارات ثـانوية أخرى ، فان المصريين سـوف يؤيدون بحرارة السلطات البريطانية · »ومن الملاحظ أن آغاخـان بذلك يلفـت نظر البريطانيين الى ما يستجلب رضـا الوطنيين ويوجد نقطـة التقاء بينهم وبين المصالح البريطانية ، خاصة وأنه يقول بعد ذلك أن هؤلاء الوطنيين قد اعترفوا « بـأن اجراءات توسيع الرقعـة الزراعية وتحسين الحالة المالية للفلاح حققت نجاحا مذهلا ، ولكن من وجهة نظرهم (أى الوطنيين) فان سياسة التعليم التى تتبعهـا الحكومـة المصرية تحت التوجيـه البريطانى كانت الى حـد ما فاترة ، [١] وتركت انطباعا فى عقولهم بـأن النهضة الحقيقيـة لشعب مصر بين مصاف الأمم غير مرغوب فيها (من قبل بريطانيا) لأسباب سياسية ، ولهذا فانهم يطالبون بأنه لايجب أن يسمح لهذه الأسباب بالوقوف فى طريق التقدم الوطنى · » ومن الواضح أن آغاخان يضع أمام السلطات البريطانية ضـوءا أحمر لتعدل من الاجـراءات التىتمارسها فى مصر بمايجعلها تحظى بالقبوللدى

---

(١) عبر حافظ ابراهيم شاعر النيل عن استياء المصريين من اهمال كرومر للتعليم فى مصر فخاطبه قائلا :

بناديك قد أزريت بالعلـم والحجـا
ولم تبق للعلـم يا « لورد » معهـدا
وأنك أخصبت البـلاد تعمـدا
وأجدبت فى مصـر العقول تعمـدا
قضيت عـلى أم اللغـات وانـه
قضاء عليها أو سـبيل الى الـردى

كما أن مصطفى كامل قد « اتهم كرومـر بالاهمـال المقصود للتعليم » أثناء شغله لمنصب المندوب السامى البريطانى لمصر ، ممـا يؤكد صحة استنتاج آغاخـان الذى أبداه فى مذكرته السرية ·

أنظر كتاب الاستاذ عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ١٩٥٠ ·

الوطنيين المصريين ويؤدى الى استقرار الأمور بما يحقق ما يتفق والمصالح البريطانية فى مصر حينذاك ٠

وينتقل آغاخـان بعد ذلك ـ فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن وضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ـ الى الحديث عن الصحافة المصرية حينذاك فيقول : «ان قانون المطبوعات أو قانون الصحافة الصادر فى سنة ١٩٠٩ قد أحدث تأثيرا مهدئا على الصحافة المصرية المحلية ٠ حيث كانت تصدر فى داخل البلاد حوالى ستين صحيفة عربية فى وقت واحد ٠[1] بينما كان نفس العدد تقريبا يصدر باللغات الأوربية ٠ وقد تناقص عدد الصحف المحلية الى حد بعيد فى الفترة الأخيرة ٠ وأن نشاط الصحافة فى مصر قد ألهم وطور بواسطة الأحـزاب السياسية المختلفة ، وقد أصبح هذا النشاط فى حالة جمود فى ظل الأحكام العرفية ٠ وأهم هذه الأحزاب :

١ ـ الحزب الوطنى الذى سبق أن أشرنا اليه ٠

٢ ـ حزب الأمة أو حزب الشعب ٠

٣ ـ حزب الاصلاح (الدستورى) ٠

(١) تجدر الاشارة الى أن الفترة التى سبقت قيام الاحزاب فى مصر وواكبتها قد شهدت صدور مجلات وجرائد اهتمت كثيرا بنشر الفكـر الاوربى ، ففى عـام ١٨٩٨ كانت فى مصر ١٦٩ جريدة ومجلة وبلغ عددها عـام ١٩١٣ الى ٢٨٢ جريدة ومجلة ٠ وهذه الصحف وان كانت تعبر أساسا عن وجهات نظر سياسية فانها قد تضمنت كثيرا من الاعمال الفكرية ذات القيمة الكبرى ٠ عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ ٠

وكانت صحيفة « اللواء » ناطقة بلسان الحزب الوطنى ، وقد صدرت فى سنة ١٨٩٨ وكانت أهم صحيفة سياسية فى هذا الوقت وقـد أغلقت فى سنة ١٩١٢ ٠ وكانت سياسـتها مستوحاة من مصطفى كامل باشا٠ولقد حلتصحيفة الشعب محلصحيفة اللواء وتلتها صحيفة العلم ٠ ولقد أغلقت الصحيفة الاخيرة أيضـا فى نوفمبر سنة ١٩١٤ ، أما الصحيفة الناطقة بلسان حزب الامة وهو حزب يتألف من رجال أثرياء ، كانت آراؤهم المعتدلة تسـتهدف موازنة الانشطة الوطنية ــ فهى صحيفة « الجريدة » ٠ (١) ولقد تضاءلت هذه الصحيفة فى أهميتها منذ استقالة رئيس تحريرها، لطفى السيد ، وهو صحفى شريف كانت مثاليته غير متوافقة مع

---

(١) تجدر الاشارة الى أن فكرة اصدار صحيفة « الجريدة » قد ظهرت لدى المثقفين من أبناء طبقة كبار ملاك الاراضى الزارعية ـــ وهى الطبقة التى ظهرت فى تكتل يعرف باسم حزب الامة ـ فى سنة ١٩٠٣ لكى تعبـر عن اتجاههم ٠ لكنها لم تصدر الا بعد أن ألحت الظروف فى اصدارها فى ظل اشتداد الحركة القومية ولا سيما بعد حادثة طابا فى سنة ١٩٠٦ التى أنهت كل أمل يعقده المصريون على دولة الخلافة ٠ وقد دعا أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ ـ ١٩٦٣) ـ وكان من السائرين على درب الشيخ محمد عبده ـ لاجتماع وضعت فيه خطة العمل والمبادىء التى تقوم عليها صحيفة « الجريدة » التى أريد لها أن تكون مستقلة تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لهـا ميل خاص الى الدولة العثمانية أو الخديو أو سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر ٠ وبعد اقتناع كبار ملاك الاراضى الزراعية تألفت شركة « الجريدة » واكتتبوا لانشائها بمبلغ عشرين ألف جنيه ، وصدر العدد الاول منها فى ٩ مارس ١٩٠٧ ٠ وفى ٢١ سبتمبر من نفس السنة قرر أعضاء شركة « الجريدة » تحويلها الى حزب سياسى أطلقوا عليه اسم حزب الامة ، على أن تكون صحيفة « الجريـدة » هى لسان حـال هذا الحزب ٠ وقد رأس الحزب بعد تأليفه محمود سليمان باشا العضو بمجلس شورى القوانين وأحد كبار أثرياء الصعيد حينذاك٠ عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٣٦ ـــ ٣٣٧ ٠

حقائق الوضع القائم فى مصر • (١) أما حزب الاصلاح ، والذى كان يؤيدسياسة الخديو المستبعد (الخديو عباس حلمى الثانى) فقد كان هذاالحزب يعبرعن آرائه من خلال أعمدة صحيفة «المؤيد»(٢)• وكانت الصحيفة فى وقت ما تحرر بمهارة ، وكثيرا ما كانت تعتنق اتجاها مستقلا • ولكنها لم تعد ذات أهمية كبيرة الان (عام ١٩١٥) • »

ويواصل آغاخان حديثه فى مذكرته السرية عن الصحافة المصرية فى بداية الحرب العالمية الأولى فيقول : « أما عن الصحف المستقلة ، فتوجد صحيفة الأهرام ، التى صدرت فى سنة ١٨٧٥ ، وهى أقدم وأفضل صحيفة ، اذ تناصر الاراء المعتدلة والمعقولة ، أما بالنسبة لسياستها فهى مناصرة لبريطانيا • وهناك أيضا « المقطم » وهى صحيفة أخرى هامة • ويديرها المسيحيون السوريون الذين يناهضون فى سياستهم الترك بشدة • وينظر الى هذه الصحيفة على أنها صحيفة شبه رسمية للوكالة البريطانية ، وقد علمنا أن المسلمين المصريين ينظرون الى هذه الصحيفة بشك وريبة • وفى هذا الصدد فاننا يجب أن نذكر بصفة عارضة أن موقف السلطات البريطانية ازاء السوريين يراقب بعين الريبة

---

(١) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج(١) ص ٢٨ •

(٢) صاحب صحيفة « المؤيد » هو الشيخ على يوسف الذى كان يعتنق فكرة الجامعة الاسلامية ويرى أهمية المحافظة على سيادة السلطان العثمانى فى مصر حينذاك •

تجدر الاشارة الى أن مؤرخنا الراحل الاستاذ محمد شفيق غربال قد أشار الى أن للاستاذ أحمد لطفى السيد الفضل فى أنه ارتفع بموقف الاعيان من مستوى المصالح التى يفهمونها الى مذهب يسعى للمصلحة العامة ويقدس الحرية ويحتكم للعقل •

والشك من قبــل المسلمين المصريين • وبالنسبة للأقباــط فان لهم صحيفتين ، وهمــا صحيفتا «مصر» و «الوطــن» اللتان ترعيان مصالحهم وتدافعان عنها • »

ثم يتحدث آغاخان فى مذكرته السرية عن الصحف الأوربية فى مصر فى بدايــة الحرب العالميــة الأولى فيقول : « ومــن بين الصحف الأوربية فانه يبدو لنا أن أهمها صحيفة : ذى اجيبشيان جازيــت "The Egyptian Gazette" ولى فار دا لكسندرى "La Phare d'Alexandrie" ولى ايجيبــت "L'Egypte" واجيبشــيان مورنيــخ نيوز ولابورس Egyption Morning Nevs اجيبسيان "La Bourse Egyptienne" وكل هذه الصحف تناصر وتؤيد وجهات النظر اولأربية • »

ويختتم آغاخــان حديثه فى مذكرته السرية عن الصحافــة المصرية فى نهاية الحرب العالمية الأولى فيقول : « ويبدو لنا أنه من خلال ما سمعنــاه آنه فى ظــل العمليات المشتركة لقــانون المطبوعات والحكم العسكرى فان الصحف العربية لم تعد تعكســ على مدى واسع اتجاهات مشاعر المصريين فى كل مظاهرها • على أنه يمكن القــول أن تعطيل بعض الصحــف الخطيرة كان أمــرا ضروريا فى الظروف الراهنة • » (١)

وهكذا يشير آغاخان ــ فى مذكرته السرية التى رفعهــا الى وزارة الهند البريطانية عن الوضــع القائم فى مصر فى بدايــة

---

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 6.

الحرب العالمية الأولى — فى ختـام حديثه عن الصحافة المصريـة حينذاك الى انه قد استنتج من خلال ما سمعه من الشخصيات التى قابلها فى مصر فى ذلك الحين أنـه فى ظل العمليات المشتركـة لقانون المطبوعـات والحكم العسكرى البريطانى اثنـاء الحرب ، فان الصحف العربية التى كانت تصدر فى مصر حينذاك لم تعـد تعكس على مـدى واسع اتجـاهات مشاعـر المصريين فى كـل مظاهرها • ولعل هذا ما جعل شاعر النيل حافظ ابراهيم (١٨٧١ — ١٩٣٢) ينعى فوضى الرأى فى ذلك الحـين بأبياته التالية :

وصحـف تطن طنين الذبـاب　　وأخرى تشـن على الأقـرب
وهـذا يلـوذ بقصـر الأمير　　ويدعـوا الى ظلـه الأرحـب
وهـذا يلـوذ بقصر السفير　　ويطنـب فى ورده الأعـذب
وهـذا يصيح مـع الصائحين　　على غير قصـد ولا مـأرب

ولكن آغاخـان حـاول تبرير تعطيل بعض الصحف — التى أشار اليها بأنها « الصحف الخطيرة — بأنه كان مرا ضروريا تحتمه مقتضيات المواقف الحرجة التى كانت تواجه البريطانيين فى مصر فى أعقـاب فرض الحمـاية البريطانية عليها فى بداية الحـرب العالمية الأولى ، وهـو الوقت الذى نمت فيه الحـركة الوطنية وفقدت فيه الثقة فى التعاون مع الانجليز المحتلين ، بما يناقض الاتجاه الذى كان موجودا من قبل لدى حزب الأمة ، والذى تحول عنه كلية نتجية لسياسة المحتلين البريطانيين القائمة على الضغط على العناصر الوطنية فى مصر حينذاك •

وينتقل آغاخان بعد ذلك الى الحـديث عن الخلافة — فى مذكرته السرية التى رفعهـا الى وزارة الهنـد البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحـرب العالمية الأولى فيقول : « أما بالنسبة لموقف المسلمين تجاه الخـلافة ، فانه يمكن تقسيم

العالم الاسلامى تقريبا الى مجموعتين • الأغلبيــة العظمى من المسلمين الذين يعتنقون مذهب السنه أو المذهب القويم ، وأقليه مكونة من الشيعة والأباضية والخــوارج والزيديين والطوائف الأخــرى الصغيرة • ومسألة الخلافة تعنى فقط أتباع المذهــب السنى ، نظرا لان الطوائف الاخرى لديها وجهات نظر متعارضة فى هذا الموضوع • وأن الأصل التاريخى للخلافة يمكن ارجاعه الى الظروف الطارئة التى دعت الى عمل تسوية فورية عقب وفاة مؤسس الاســلام (ويعنى به النبى محمد صلى الله عليه وسلم) وانتخب الخليفة الأول أبوبكر بواسطة الشعب (يعنى المسلمين) ، ولكنه رشح قبل وفاته عمرا خلفا له • ولقد اتبعت هذه السابقة منذ ذلك الحين بالنسبة للخلافة ، كل خليفة يتعاقب على الخلافة يرشحــه سلفه (١) • وقد احتفظ بالتعاقــب الأبوى فى مختلف الأسرات العربية الحاكمة حتى قام السلطان سليم الأول العثمانى بغزو مصر ، وأغرى آخر الخلفاء العباسيين أن يرشحه خلفاً له • وبهــذا الاسلوب بقى خط الخلافــة بالتعاقــب الأبوى بواسطة الترشيــح مستمرا دون انقطاع حتى الان ، ولهــذا السبب فان المسلمين السنيين فى الهند ومصر والأقطار الاخرى ينظرون الى سلطان تركيا على أنه الخليفة الحقيقى للاسلام • ومهما كانت النتائج التى ستسفر عنها الحرب الحالية (الحرب العالمية الأولى) بالنسبة لتعديل الحــدود الاقليمية ، فانه يبــدو من الأمــور الجوهرية من وجهة نظر أهل السنة أن حماية الامــاكن المقدسة يجب أن تستقر فى أيدى حــاكم مسلم يستمد لقبه فى الخلافة بترشيح من سلفه • »

---

(١) من المعروف أن تولى الخلفاء الراشدين للخلافــة تــم باجماع جمهور المسلمين ومبايعتهم •

واستطرد آغاخان فى حديثه عن الخلافه فى مذكرته السرية — التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى — فقال : «ان جهود حزب تركيا الفتاة فى تكتيل التأييد العسكرى للاسلام حول الخليفة العثمانى ربما كان من الممكن أن تقابل برد فعل أقل عداء لو لم يكن الحكم التركى غير مساير لروح العصر بشكل ملحوظ وأن الاتجاهات التقدمية للعصر فى تركيزها على رفع مستوى الشعوب المحكومة ورفاهيتها لايمكن فصلها عن الناحية الروحية البحته للخلافة • وأن الأخطار البالغة والمضايقات التى يتعرض لها الحجاج المسلمون من عمليات السلب التى يقوم بها البدو وعمليات النهب من قبل الموظفين المحليين أثناء رحلة الحج الى الأراضى المقدسة فى الحجاز وميزوبوتاميا (لعراق) بالاضافة الى الظروف غير الصحية التى تحيط بهم ، قد أدت بشكل طبيعى الى فتور حماسهم الاسلامى ازاء الخليفة السلطان التركى بالنسبة لدوره فى حماية الكعبة وكر بلاء • ولهذا فانه من الخطأ أن نفترض أن الأتراك مكروهين من قبل المصريين أو من المناصر الاسلامية الأخرى • بل انه على العكس من ذلك ، فان تقاليد الامبراطورية العثمانية لم تكف عن أسر خيال العالم الاسلامى وتحريك تعاطفه معها • ولكن من الواضح أن الأتراك أخطأوا فى حساب الحدود النفسية والمعنوية التى يخضع لها مثل هذا التعاطف • وبصرف النظر عما اذا كانت الخلافة قائمة حقيقة على أساس دينى أوما اذا كان المطالب بهذا المنصب الرفيع يجب أن ينتمى الى قبيلة نبى الاسلام ، فان توقعات العسكريين الأتراك فى أن حسنات الحكومة الصالحة ، بما تشتمل عليه من الحرية الكاملة للعقيدة الدينية ،

سيصرف النظر عنها ، بما أن أوامر الخليفة السلطان كان مقدرا لها الاخفاق » •

ويختتم آغاخان حديثه عن الخلافة فى مذكرته السريه فيقول : «وعلى آية حال فانه مذهب مقبول ان يكون الاعتراف بالسلطان كخليفة لا يتضمن أى ولاء سياسى له ، ولهذا السبب فان مسلمى مصر والهند لم يتذبذبوا فى ولائهم الدنيوى السياسى ، أما بالنسبة للجانب الروحى للخلافة فان أى تدخل من قبل قوة غير اسلامية فى تعيين خليفة فانه سينسب بالتأكيد الى دوافع سياسية ، ولايمكن الموافقة بوجه عام على أى خليفة يعين على هذا النحو • ولهذا فانه من الحكمة ترك حل هذه المسألة الدقيقة فى حكم الشعوب الاسلامية التى ستواجه الموقف فى الوقت المناسب طبقا لتقاليد الاسلام وتعاليمه • » (١)

ومن الملاحظ أن آغاخان قد وضع فى توصيته التى اختتم بها حديثه عن الخلافة — فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى — ضوء أحمر أمام السلطات البريطانية لتحذيرها من القيام بأى عمل من شأنه التدخل لتعيين خليفة جديد للمسلمين غير السلطان العثمانى ، لأن ذلك سينسب بالتأكيد الى دوافع سياسية • وأنه طالما أن الاعتراف بالسلطان العثمانى كخليفة لا يتضمن أى ولاء سياسى له ، وأن ذلك قد أصبح مذهبا مقبولا ، على نحو مابدا فى مصر والهند — من وجهة نظر آغاخان — مما جعل معظم المسلمين فى القطرين لا يتذبذبون فى ولائهم السياسى — من وجهة نظره أيضا — فعلى

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 7.

بريطانيا أن تكتفى بذلك ، لأن المسلمين لن يقبلــوا أى تدخــل لتعيين خليفة جديد من قبل قــوة غير اسلامية حينذاك ، خاصــة وأنهم ينظرون الى الخلافة من ناحية مكانتها الروحية ، ولهذا فانه لايمكن أن يوافق المسلمون بوجه عام على أى خليفة يعين على هذا النحو • وبناء على ذلك فقد رأى آغاخان أنه من الحكمة ترك حل هــذه المسألة الدقيقة فى حكــم الشعوب الاسلامية ، وان هــذه الشعوب نفسها ستواجه الموقف فى الوقت المناسب وفقا لتقاليد الاسلام وتعاليمه • وهى وجهة نظر صحيحة تعبر عن تفهم آغاخان تفهما دقيقا لهذه المشكلة الحساسة فى تاريخ المسلمين المعاصر ، كما تظهر مــدى حرصه على عــدم تعرض السلطات البريطانية للتورط فى تلك القضية الاسلامية الخطيرة •

ثم انتقل آغاخان فى مذكرته السرية ــ التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية فى بدية الحرب العالمية الأولى عن الوضع القائم فى مصر حينذاك ــ الى الحديث عن فتوى الجهاد التى أعلنها شيخ الاسلام فى استانبول حينذاك فقال : «ان فتوى شيخ الاسلام فى تركيا حول الجهاد أو الحــرب المقدسة قد فشلت فى ان تجــد لها أرضا خصبة فى مصر ، كما أن الشعب لايهتم بها على الاطلاق • وهذه الفتوى تتكون من التأييد المبهم لسلسلة من القضايا البارعة التى صاغها حزب الحــرب فى تركيا • كما أن الادعــاءات التى تختفى خلف هذه القضايا لا أساس لها تتريبا بالنسبة للموقف السياسى العسكرى الناشىء عن الحرب • وقد اعترف بذلك أولئك الذين أتيحت لنافرصة التحدث معهم • اذأن عقلية المسلم المتوسط الذين أتيحت لنا فرصة التحدث معهم • وقد اعترف بذلك أولئك الثقافــة فى مصر كما فى الأقطار المحمديــة (يعنى الاسلامية) الأخرى قد تتأثر بالوحدة الاسلامية الدينية فى حالة قيام حركة

عدائية ضد الاسلام ، ولكن الطبقات الذكية بين المسلمين المصريين لم تكن تخدعهم طبيعة الوحدة الاسلامية السياسية المستوحاة من قبل رجال الدعاية الألمان » • (١)

وهكذا أشار آغاخان فى مذكرته السرية الى فتوى الجهاد التى أصدرها شيخ الاسلام فى استانبول لبحث المسلمين على الدخول فى حرب مقدسة ضد دول الوفاق (انجلترا وفرنسا وروسيا) ، لم تجد لها أرضا خصبة فى مصر ، وأن الشعب المصرى لم يهتم بها على الاطلاق — من وجهة نظره • كما أوضح أن هذه الفتوى استندت الى سلسلة من القضايا البارعة التى صاغها حزب الحرب (حزب الاتحاد والترقى) فى الدولة العثمانية ، وأن الادعاءات التى تختفى خلف هذه القضايا لا أساس لها فيما يتعلق بالموقف السياسى والعسكرى الناشىء عن الحرب • وأشار آغاخان الى أن الذين اتيحت له فرصة التحدث معهم قد اعترفوا بذلك ، لأن عقلية المسلم المتوسط الثقافة فى مصر حينذاك ، كما فى الأقطار الاسلامية [الاخرى ، قد تتأثر بالوحدة الاسلامية] الدينية وتستجيب فى حالة قيام حركة عدائية ضد الاسلام • ولكن الطبقات المستنيرة بين المسلمين المصريين ما كانت لتخدعهم طبيعة الوحدة الاسلامية السياسية المستوحاة من قبل رجال الدعاية الألمان الذين حرصوا على الترويج لدعاية الجهاد المقدس ضد دول الوفاق حينذاك •

ثم انتقل آغاخان فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., pp. 7, 8.

العالمية الاولى ــ الى الحديث عن تأثير سياسة « ايرل كتشنر » الذى شغل منصب المعتمد البريطانى فى مصر (١٩١١ ــ ١٩١٤) على الوضع القائم فيها حينذاك فقال : « اننا قد نجازف بأن نوضح هنا أن الهدوء المطمئن حاليا فى مصر انما يبدو أنه يرجع الى حد كبير الى النظام الناجح الذى وضعه لورد كتشنر Lord Earl Kitchener ففى كل الاتجاهات صادفتنا دلائل قاطعة على هيمنته الحازمة التى اكتسبها ببصيرته المتعاطفة على العقلية المصرية فى عملها ، وباتساع أفقه فى تحقيق تناسق بين التقدم المصرى والمصالح العريضة للامبراطورية البريطانية • وأنسياسته فى التحقيق التدريجى للمطامح القومية المشروعة ، تبدو أنها كسبت ولاء كل المستنيرين المصريين وثقتهم » • (١)

هذا ما ذكره آغاخان فى مذكرته السرية عن تأثير سياسة « ايرل كتشنر » على الوضع القائم فى مصر قبيل بداية الحرب العالمية الأولى • ولكى نتفهم أبعاد ماذكره آغاخان فانه ينبغى علينا أن نشير الى أن « كتشنر » كان قد عمل من قبل فى مصر وكان قائدا عاما للجيش المصرى الذى استرجع السودان من أيدى الدراويش • وكان « كتشنر » رجلا عسكريا صرفا يحتقر السياسة والساسة ويؤمن بضرورة ايجاد حكومة قوية تتمشى مع مطالب دعاة القوة فى مصر وفى انجلترا على السواء ، خاصة أن سياسة الوفاق كانت قد أدت الى فصم عرى الصلات التى قامت بين الخديو والوطنيين ولهذا فقد كان على « كتشنر » أن يعود الى

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 8.

سياسة « كرومر » ويسير على نفس النهج لكى يخدم أغراض بلاده ، ولكن بوسائل جديدة قامت على الامعان فى سياسة الرياء وبطرق المسألة المصرية من جانب المصريين ٠

ومن هنا حاول « كتشنر » أن يسترضى « أصحاب الجلابيب الزرقاء » بحماية الملكية الصغيرة (اذ أصدر قانون الأفدنة الخمسة الذى نص على عدم امكان نزع ملكية من يمتلكون أقل من خمسة أفدنة بسبب تراكم الديون عليهم) ٠ كما حاول «كتشنر» أن يسترضى المثقفين بمنحهم حق التمثيل فى تنظيم جديد حل محل المجالس التمثيلية القائمة هو الجمعية التشريعية ، مع خنق الحريات وتشتيت الاتجاه المتطرف من النضال القومى والقضاء عليه ٠ وهكذا ألغى « كتشنر » نظام الهيئتين شبه النيابيتين القائمتين : الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين ، وأنشأ بدلهما نظام الجمعية التشريعية فى يوليو ١٩١٢ مشكلة من ٦٦ عضوا يمثلون المهن والهيئات ، وكانت مدة العضوية ٦ سنوات يتغير ثلثهم كل سنتين ، أما انتخابها فكان على درجتين ، وقد بلغ أعضاؤها من كبار ملاك الأراضى ٤٩ عضوا ٠

ومن المرجح أن الهدف الذى كان يسعى اليه « كتشنر » من اعادة تشكيل الحياة النيابية الصورية أن يوصد أبوابها أمام فئات « السياسيين » ، وأن يجعل الجمعية التشريعية أداة تمثيل لأصحاب المصالح الزراعية الذين لا يتأثرون بالتهييج السياسى ، مما يؤدى الى تغليب الاعتدال على علاقاتها بالحكومة فيكون استعمالها للسلطات الممنوحة لها استعمالا معقولا ٠ وهذا مايشير اليه آغاخان فى مذكرته السرية فى مطلع عام ١٩١٥ عندما قال: « أن الهدوء المطمئن حاليا فى مصر انما يبدو أنه يرجع الى حد كبير الى النظام الناجح الذى وصفه لورد كتشنر » ، وأن هذا

النظام مكنه من « تحقيق تناسق بين التقدم المصرى والمصالح العريضة للامبراطورية البريطانية · وأن سياسته فى التحقيق التدريجى للمطامح القومية المشروعة ، تبدو أنها كسبت ولاء كل المستنيرين المصريين وثقتهم » ·

وعلى أية حال فقد قدر لهذه الجمعية التشريعية التى وضع « كتشنر » نظامها فى يوليو ١٩١٣ أن تتحول من محصن هيئة استشارية الى أداة قوية للمعارضة برزت فيها كتلة الوطنيين الدستوريين من المحامين والأعيان الذين تزعمهم سعد زغلول ، ففى اول جلسة انتخب باجماع الاراء وكيلا للجمعية ، فتجلى بمناقشاته حرصه على رعاية مصالح الأمة · وهكذا أصبحت الجمعية التشريعية أداة لتدريب رجال السياسة البرلمانيين الذين تزعموا ثورة ١٩١٩ وتصدروا الحياة السياسية فى مصر فى أعقابها · (١)

ثم كان الموضوع الأخير الذى تحدث عنه آغاخان — فى مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى — هو الدور الذى قام به لاقناع القوات الهندية المسلحة المعسكرة فى مصر حينذاك بالاستمرار فى الدفاع عن المصالح البريطانية وتهدئة الاضطرابات التى ظهرت فى صفوف جنود الحدود من الهنود المسلمين هناك فقال : « لقد أحاطنا علما الجنرالات ولسون Wilson وكوكس Cox وميليس Melliss بأنه كانت هناك بعض الاضطرابات بين جنود الحدود من الهنود

(١) عمر عبد العزيز عمر (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٣٤٨—٣٤٩

المسلمين ، وخاصة البراهيوس Brahuis والهازارس Hazars والخاناكس Khattaks واليوسوفزاس Yusufzais والسواتيس Swatis والافريديس Afridis وذلك بالنسبة لبعض مظاهر الحرب مع تركيا • وفى رأى السلطات العسكرية ان عملاء تركيا كانوا يحاولون دون شك أن يصلوا الى الجنود المسلمين ، وأنه هناك ما يدل على ان المتاعب بدات حتى قبل مغادرة هذه القوات للهند • وان الاراء التى أبداها هؤلاء الرجال هى أنهم يجب أن يقادوا (للحرب) ضد الألمان ، حيث أنهم أفهموا فى الهند أن الحرب كانت موجهة ضد المانيا ، وذلك بدلا من ان يطلب منهم محاربة الجنود التابعين للخليفة — والعرب اليمنيين والاتراك — الذين كانوا حراسا طبيعيين للأماكن المقدسة • ويبدو أن هؤلاء الرجال يعتقدون أن الاسلام يحرم سفك الدماء بين المسلمين • وهم أيضا يعتقدون أن دول الوفاق كانت لها مخططات عدوانية على الاماكن المقدسة الاسلامية ، كما أنها تستهدف تحطيم الاسلام » •

هكذا عرض آغاخان المشكلة التى كانت قائمة حينذاك فى صفوف القوات الهندية المسلحة التى كانت تشكل نسبة كبيرة من تعداد القوات البريطانية المعسكرة فى الأراضى المصرية • وكان على بريطانيا أن تحسم هذه المشكلة حتى تطمئن الى قيام هذه القوات بالمهام التى كانت ستكلف بالقيام بها فى العديد من ميادين الحرب العالمية الأولى فى مواجهة القوات العثمانية المسلحة المتحالفة مع دول وسط أوربا • وكان يقلق بريطانيا غاية القلق اقتناع القوات الهندية المسلحة التابعة لها بأنها لاينبغى أن تقاتل جنود مسلمين تابعين للخليفة العثمانى وخاصة العرب والأتراك العثمانيين الذين كانوا حراسا طبيعيين للأماكن الاسلامية

المقدسة · وقــد أحس قادة القوات الهندية بهــذه المشكلة قبــل مغادرتهم للهند ــ حيث كانت دعايات العثمانيين التى ساندهــا الألمان حينذاك قد وصلت الى جنودهم وأثارت مشاعرهم الدينية ــ غير أنهم أفهموا بأنهم سيحاربون الالمــان ، واذ بهم يواجهون الحقائق وخاصة القوات التى كانت مرابطة على الحدود مما أثار الاضطراب بين صفوفــهم ، الأمــر الذى كان على بريطانيا أن تواجهه وتحسم هذه المشكلة قبل أن تتفاقم · ولهذا قامت بريطانيا بتكليف آغاخان بمهمته فى مصر لمعالجة المشكلة على وجه السرعة ·

وهنا يعرض آغاخان فى مذكرته السرية الجهود التى قام بها فى مصر لحسم هــذا الموضــوع فقال : « وبناء على اقتراحــات الجنرالات سير جون ماكسويل Sir John Maxwell وويلسون Wilson فقد قمنا بزيادة ألوية الجيش (البريطانى فى مصر حينذاك) التى يقودهــا بريجادير جنرال يونجها سبند Younghusband وكوكس Cox و أ · واطسون A. Watson و هـ · واطسون H. Watson و جيوجان Geoghegan وميليس Milliss وقــد صحبنــا فى هذه الزيارة كل من ميجــور جنرال ولســون Wilson وبريجا دير جنرال بينجلى Bingley رئيس الأركان · وقد اصطفت القوات فى معسكراتها الخاصة ، كما حضر جميــع الجنرالات والضباط · وبعد أداء الرسميــات المعتادة من تفتيش وتقــديم بمعرفة جنرال ولسون فقــد جمــع الضباط الوطنيين (الهنود) فى مجموعات وقد خاطبهم آغاخان باللغة الأوردية ، مواجها اعتقادهــم الخاطىء الناتج عن دسائس الاتراك والألمــان بمناقشة نقطة بعد الأخــرى طبقا للشريعــة والتعاليم الاسلامية · وقد أوضح آغاخان أن الاسلام فرض عليهم

الواجب فى أن يكونوا مخلصين للح السردار الذى يتمتعون فى ظل حمايته بحرية دينية كاملة ، كما أنه بالتالى توجد فى جيوش روسيا وفرنسا آلاف السيوف المسلحة التى أشهرت دفاعا عن القضية العادلة التى تحارب من أجلها دول الوفاق » • (١)

وهكذا بذل آغاخان قصارى جهده لاقناع القوات الهندية العاملة فى الجيش البريطانى فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى بعدالة الحرب التى كان عليهم ان يخوضوا غمارها ضد قوات الدولة العثمانية المتحالفة مع الألمان ، رغم ماكان يربط الهنود المسلمين والقوات العثمانية التابعة لدولة الخلافة من رابطة الدين الوطيدة • واستخدم آغاخان لتحقيق غايته تفسيرات دينية ادعى انها مطابقة للشريعة والتعاليم الاسلامية ، واستشهد بوجود آلاف المسلمين — دون ان يشير الى أنهم كانوا مغلوبين على أمرهم بطبيعة الحال — ضمن جيوش روسيا وفرنسا يدافعون عن « القضية العادلة التى تحارب من أجلها دول الوفاق » على حد تعبيره • وكان يهدف آغاخان بطبيعة الحال الى خدمة المصالح البريطانية حتى يقوم هؤلاء الجنود الهنود المسلمين بالدفاع عنها باذلين أرواحهم — فى قضية لاناقة لهم فيها ولاجمل •

ثم يظهر آغاخان فى مذكرته السرية نتائج الجهود التى بذلها لاقناع القوات الهندية المسلحة بالوقوف بكل قوة الى جانب بريطانيا ودول الوفاق المحالفة لها فى الحرب العالمية الأولى فيقول : « وقد انطبع فى ذهنهم (رجال القوات الهندية المسلمين)

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 8.

ان السردار البريطانى كان يصادق دائما الامم الاسلامية ويحميها وأن حرمة الاماكن المقدسة مكفولة أثناء الحرب وبعدها من قبل بريطانيا العظمى بالاشتراك مع روسيا وفرنسا ، وأن تركيا برغم الضمانات والتأكيدات والوعود التى قدمت لها والتى كانت ستؤمن سلامة وتقدم مصالح الامبراطورية العثمانية ، فقد سيقت الى الحرب بواسطة ألمانيا وحفنة من المتعصبين الوطنيين الاتراك الذين تأثروا بأسباب سياسية ، وأن الحرب لم تكن دينية بأية حال كما يدل على ذلك موقف الرؤساء الهنود المسلمين ، وأمير أفغانستان ، وكثير من المسلمين المعروفين . كما أن الارتقاء الجديد للامير حسين كامل لمنصب سلطان مصر قد ذكر على أنه أقرب مثال معبر عن الاسلوب الذى تمت به حماية الأقطار الاسلامية بمعرفة بريطانيا العظمى ، وتمت المحافظة به على تقاليدها الاسلامية . وقد شرحت لهم كافة الترتيبات التى أعدت فى انجلترا لمصلحة الجنود الهنود ، ولاشباع الحاجات الدينية لكل من الهندوس والمسلمين . كما ألمح لهم بكرم الملك الامبراطور (ملك بريطانيا) وعنايته المفرطة برفاهيتهم ، وعبر لهم عن الأمل فى أن يكونوا أهلا للثقة التى وضعها فيهم صاحب الجلالة (ملك بريطانيا) بالمحافظة بشرف على تقاليد الجيش الهندى وباضافة أكاليل غار جديدة لانجازاته السابقة » . (١)

وهكذا أوضح آغاخان فى مذكرته السرية — التى رفعها إلى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر حينذاك — انه

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31., Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., PP. 8, 9.

قد وفق فى اقناع رجال القوات الهندية المسلمين فى الجيش البريطانى المعسكر فى مصر حينذاك بالوقوف بكل قوة الى جانب بريطانيا ودول الوفاق المحالفة لها فى الحرب الدائرة بينها وبين دول وسط أوربا التى تحالفت معها الدولة العثمانية • وذلك بعد أن أوضح آغاخان لهم أن « السردار البريطانى » يصادق دائماً الأمم الاسلامية ويحميها ، وأن حرمة الاماكن الاسلامية المقدسة مكفولة أثناء الحرب وبعدها من قبل بريطانيا العظمى بالاشتراك مع حليفتيها روسيا وفرنسا ، وأن الدولة العثمانية على الرغم من الضمانات والتأكيدات والوعود التى قدمت لها والتى كان من شأنها أن تؤمن سلامة وتقدم مصالحها . فانها قد سيقت الى الحرب بواسطة ألمانيا وحفنة من المتعصبين الوطنيين الاتراك ويعنى بهم أعضاء حزب الاتحاد والترقى الذين تأثروا بأسباب سياسية •

كما أوضح آغاخان فى مذكرته السرية أنه قد وفق كذلك فى اقناع رجال القوات الهندية المسلمين فى الجيش البريطانى المعسكر فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى بأن تلك الحرب لم تكن حربا دينية بأية حال كما يدل على ذلك موقف الرؤساء الهنود المسلمين ، وأمير أفغانستان ، وكثير من المسلمين المعروفين• وحرص آغاخان على أن يوضح لهم أيضا أن ارتقاء الأمير حسين كامل منصبه سلطانا لمصر حينذاك انما كان أكبر دليل وأقرب مثال معبر عن الأسلوب الذى تمت به حماية الاقطار الاسلامية بمعرفة بريطانيا العظمى وتمت بموجبه المحافظة لهذه الأقطار على تقاليدها الاسلامية •

بل ان آغاخان حرص كذلك على أن يبلغ القوات الهندية المسلحة العاملة فى الجيش البريطانى فى مصر حينذاك بالترتيبات التى أعدت فى انجلترا لمصلحة الجنود الهنود ، ولاشباع الحاجات

الدينية لكل من الهندوس والمسلمين • كما ألح آغاخان لهم بكرم ملك بريطانيا الامبراطور وعنايته المفرطة برفاهيتهم ، وعبرلهم أيضا عن الآمـال فى أن يكونوا اهلا للثقة التى وضعها فيهم ملك بريطانيا بالحافظة بشرف على تقاليد الجيش الهنـدى وباضافة آكاليل غـار جـديدة لانجازاته السابقه فى خدمـة المصالـح البريطانية •

وأخيرا اختتم آغاخان مذكرته السرية التى رفعها الى وزارة الهنـد البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحـرب العالمية الأولى باظهار امتنانه البالغ هـو ورفيقه « سير عباس على بك » « للجنرال مكسويل "General Maxwell" القائد العام للقوات البريطانية فى مصر حينذاك على ضيافته الكريمـة لهما فقال : «اننا مـدينون كثيرا للجنرال مكسويل على ضيافتـه الكريمة • كما أننا نبدى عرفاننا للسيدين تشيثام Cheetham وستورز Storrs على المقابلات العـديدة التى قامـا بتنظيمهـا لنا • ويمكننا أن نضيف فى النهاية أننا لم نضيـع أية فرصـة أتيحت لنا للتأثير على من اتصـلنا بهم ، بالتنويه بمزايا الارتباط البريطانى كما توضح ذلك الأوضاع القائمة فى الهند ، وبابراز أن الحماية (البريطانية) قد فتحت أفقا جديدا لامكانات لاحد لها من أجل مصلحة مصر » •(١)

وهكذا اختتم آغاخان مذكـرته السرية بالتعبير عن امتنانه

---

(1) I. O. L., B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan . . . etc., Port Said, 12 th January 1915, Op. Cit., p. 9.

البالغ هو ورفيقه« سير عباس على بك » «للجنرال مكسويل »القائد العام للقوات البريطانية فى مصر حينذاك على حسن ضيافته ، وللسيدين « تشيثام » «وستورز » على تنظيمها للمقابلات العديدة التى أمكنهما من خلالها التعرف على أبعاد الوضع القائم فى مصر فى ذلك الحين ، بحيث تم وضع ما تضمنته المذكرة السرية من توصيات ، وما اشتملت عليه من توضيحات • كما آكد آغاخان فى خاتمة مذكرته حرص وزميله على عدم تضييع أية فرصة اتيحت لهما للتأثير على كل من اتصلا بهم وبخاصة بالتنويه بمزايا الارتباط البريطانى على نحو ما تظهره الأوضاع القائمة فى الهند حينذاك ــ وان كان آغاخان قد أوضح فى مذكراته أن الأوضاع فى الهند فى ذلك الحين لم تكن على خير مايرام على نحو ما أشرنا اليه من قبل • كما أبرز آغاخان مزايا هذا الارتباط بالاشارة الى أن الحماية البريطانية على مصر والتى أعلنت فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ قد فتحت أفقا جديدا لامكانات لا حد لها من أجل مصلحة مصر حينذاك ــ وان كان ذلك على غير ما انتهت به أحداث الحرب العالمية الأولى التى استلزمت من وجهة نظر بريطانيا ضرورة فرض حمايتها على مصر حينذاك ، اذ كانت النتيجة الحتمية هى تفجر ثورة مصر الوطنية عام ١٩١٩ معلنة احتجاج مصر على مواصلة البريطانيين تجاهل المصالح المصرية رغم انتهاء الحرب العالمية الأولى لصالح بريطانيا ودول الوفاق •

وعلى أية حال فان مذكرة آغاخان السرية التى رفعها الى وزارة الهند البريطانية عن الوضع القائم فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى وفى أعقاب فرض الحماية البريطانية عليها حينذاك ــ والتى تناولناها بالدراسة والتحليل فى الصفحات السابقة ، انما تعبر أبلغ تعبير عن ولاء آغاخان للمصالح

البريطانية الى أبعد مدى ممكن ، كما توضح أن مصالحة الشخصية من جهة ، مصالحه كزعيم للطائفة الاسماعيلية المنتشرة فى مناطق كان لبريطانيا اليد الطولى عليها من جهة أخرى ، قد تطلبت منه أن يسير فى فلك بريطانيا ، ويدور معها حيثما دارت . ويقدم خدماته المخلصة لها ، بما يحقق أهدافها ، ويزكى مصالحها ، على نحو ذلك الدور الذى قام به باخلاص تام أثناء أدائه لمهمته فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ·

كما تعبر مذكرة آغاخان السرية عن حقيقة الأوضاع القائمة فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى أبلغ تعبير على نحو ماتبيناه من تحقيقنا السابق لفحوى هذه المذكرة · ومما لاشك فيه أن توصيات آغاخان التى أوردها فى مذكرته هذه ، ووضعه للضوئين الأخضر والأحمر أمام بريطانيا لتسترشد بها سطاتها فى مصر حينذاك ، كان لها أبعد الأثر فى تحقيق أهداف بريطانيا ومصالحها أثناء فترة الحرب العالمية الأولى وما بعدها الى أبعد مدى ممكن · ولا أدل على ذلك من هذا التكريم الذى حظى به آغاخان من قبل السلطات البريطانية فى مصر ، ومن قبل وزارة الهند البريطانية ، بل وأيضا من قبل التاج البريطانى ، فى أعقاب انتهاء مهمته فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى على نحو ماأشار اليه هو نفسه فى مذكراته الشخصية التى استعرضنا ماجاء بها حول مهمته هذه قبل تناولنا لمذكرته السرية بالدراسة والتحقيق ·

ومن الانصاف هنا أن نشير قبل أن نغلق الملف الخاص بالجزء الأول من حياة آغاخان حتى قيامه بمهمته فى مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ، أن هذا الرجل قد حمل بين جوانحه لمصر

ولشعبها حبا عميقا وتقديرا صادقا جعله ــ وهو يخلص النصيحة لبريطانيا من أجل مصالحها وفقا للاعتبارات السابقة ــ ألا يتجنى على شعب مصر الذى كان يعانى حينذاك تحت وطـأة الاحتــلال البريطانى ، وألا ينكر على المصريين نضالهم وطموحاتهم لتحقيق استقلالهم وتطوير بلادهم • كما حــرص دائما على ابراز محبته وتقديره لأرض مصر الزاهرة ولحضــارتها العريقة ، حتى أنه أوصى فى نهاية أيامه أن يوارى جثمانه بعد وفاته فى ثراهــا • فأصبح ضريحه فى أسوان مزارا لأتباعه على الضفة الغربية للنيل، وكأنه يشهد العالم بوفائه لمقام أجداده الفاطميين ، أو لعله أراد أن يقتدى اعجابا بفراعنة وادى الملوك الأقدمين •

ترجمـة من اللغة الإنجليزية الى اللغة العربية

لنص مذكرة آغا خان و م٠ عباس على بك

بشـأن الوضـع القائم فى مصر

بورســعيد فى اليوم الثانى عشر من يناير ١٩١٥

هذه الوثيقة تخص مجلس سكرتارية الدولة لشئون الهند ، سرى رقم ٣١ ٠ (١)

مذكرة أعدها آغاخان و م ٠ عباس على بك
بشأن الوضع القائم فى مصر

(١) تعبر هذه المذكـرة بصفة غير رسمية عن وجهـة نظرنا ازاء بعض مظاهـر الوضع السياسى القائم فى مصر ، كما تشير بايجـاز الى الجهـود التى قمنا بها لازالة الاضطرابات التى أثارتها دسائس الوكلاء الأتراك والألمان بين صفوف الجنود المسلمين التابعين لصاحب الجلالة (ملك بريطانيا) ، وفى نفس الوقت لمساعدة السلطات البريطانية فى خلق جـو من الثقة المتبادلة والتفاهم بين ممثلى الحكومـة البريطانية من جهة والمصريين من جهة أخرى ، وهى أمور ربما تهم وتعنى «الماركيز أوف كرو "Marquess of Crewe
و «السير ادوارد جراى "Sir Edwardgrey" (٢)

---

(1) Foreign and Commonwealth Office, India Office, Political and Secret Library, London, B - 216., Judical and Secret Memoranda, No. 31., Secret, Note by the Aga Khan and M. A. Ali Baig on the Situation in Egypt, Port Said, 12 th January 1915, pp. 1-9.

(٢) السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا حينذاك ٠

موقف الشعب المصرى

(٢) ففى أثناء اقامتنا القصيرة فى مصر منذ اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ وحتى اليوم الثانى عشر من شهر يناير سنة ١٩١٥ ، سافرنا مسافة تزيد عن الف ميل ، وقمنا بزيارة الاسماعيلية ، والسويس ، وبورسعيد ، وطنطا ، والاسكندرية ، كما قمنا بزيارة جميع معسكرات القوات الهندية • ومن خلال وساطة الوكالة البريطانية فقد أتيحت لنا فرص عديدة لمناقشة المشكلات المصرية ، وخاصة بالنسبة لعلاقة المصريين مع النظام السياسى الجديد • وقد تمت هذه المناقشات مع قادة جميع اتجاهات الفكر السياسى ، بما فى ذلك رئيس الوزراة الحالى وزملائه ، ورئيس الوزارة السابق سعيد باشا ، وبعض الوزراء السابقين ، فضلا عن زعيم المعارضة ، ورئيس الجمعية التشريعية ، وأعضاء أسرة صاحب السمو السلطان ، وممثلى الطبقات الوسطى ، وممثلى الصحافة ، ورجال الاكليروس، والعلماء المسلمين، وآخرين • وكان انطباعنا الأول ، وهو الانطباع الذى لايزال قائما دون تغيير ، وذلك فيما عدا بعض الشواهد الدالة على الحاجة لنشاط عسكرى جدى بالاعتبار للدفاع عن البلاد ، فانه لم يكن هناك ما يدل دلالة واضحة على أن المصريين كانوا منزعجين بأى حال من الأحوال من جراء قيام الحرب العظمى، التى جذبت الى اعصارها ودوامتها الامبراطوريتين البريطانية والعثمانية ، ووضعت كلا منهما فى مواجهة الأخرى • بل ان التصريح التاريخى الذى صدر فى اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ والذى غير المصير السياسى لمصر ، قد قوبل بارتياح من قبل الشعب المصرى •

اذ أن الارتباط الرسمى الطويل بين تركيا ومصر والذى انتهى مؤخرا ، قد أدى فى أوقات مختلفة ونتيجة للسياسات المتقلبة ، الى تحريك كل من القوى الاتحادية من جهة ، والقوى الانفصالية من جهة أخرى • ولقد أحرزت القوى الأخيرة الانفصالية هيمنة متزايدة نتيجة لبعد نظرها السياسى من جهة ، ولتعثر نظام الحكم السابق فى مصر ، وافتقاده للتبصر ولتدبر العواقب السياسية من جهة أخرى ، وخاصة بعد أن غير الاحتلال البريطانى لمصر منذ سنة ١٨٨٢ المظهر الكلى لمستقبل البلاد •

ولقد حاولنا أن نستنتج ما اذا كان الرخاء والتقدم الناشىء عن الوجود البريطانى له وزنه الأكثر ثقلا لدى المصريين ، بصرف النظر عن القوة العسكرية للدولة المحتلة (بريطانيا) التى ضمنت ولاء الشعب لها فى مواجهه روابط عقائدية شائعة ، والى أى مدى تأثرت ، اذا كان ذلك قد حدث ، المشاعر الوطنية لدى المصريين بالمثل الاسلامية ذات الأصل الواحد ، نتيجة لانحياز الأتراك الى الجانب الألمانى• فاذا أخذنا فى الاعتبار هذه النقاط ، فضلا عن تداخل العوامل المختلفة والتى يبدو وكأنها تحكم موقف المصريين ، فانه يجب علينا أن نتذكر أن سكان مصر ، وخاصة فى المناطق الحضرية ، التى تضم مراكز الفكر السياسى والنشاط العام ، فقد كانوا غير متجانسين بحيث لايمكن أن يتأثروا بنفس الطريقة وبنفس الدرجة بما يشهدونه من أحداث قرينة •

(٣) ومن وجهة النظر السياسية فان سكان مصر — بعد انقاص الزيادة الطبيعية التى طرأت عقب احصاء سنة ١٩٠٧ — يمكن تقسيمهم الى أعداد كاملة تقدر بحوالى ٠٠٠ر٣٢٥ر١١

مسلم مصـرى و ٧٩٥٫٠٠٠ قبطى و ٧٥٫٠٠٠ تركى وعناصـر عثمانية أخـرى و ١٣٧٫٠٠٠ يونانى وايطالى وفرنسى و ٤٣٫٠٠٠ يهودى و ٢٥٫٠٠٠ عناصر بريطانية، وبذلك يبلغ مجموعهم الاجمالى ١٢٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة ٠

(الصفحة الثانية من الوثيقة)

المصريون المسلمون

(٤) ويشكل المصريون المسلمون الأغلبية بمعدل يزيد عن ٩٠٪ من عـدد السكان ، وهـم بذلك يمثلون العمود الفقرى للحياة القومية فى مصر خارج المناطق الحضرية الصغيرة ٠ ونادرا ما يشعر الفرد من هؤلاء بالقضايا الهامة التى تشتمل عليها أمور الحرب العظمى ، ولهـذا فهو دائما غـير مبال بجميع التغيرات السياسية التى تزعـج مسيرته الهادئة فى حيـاته الدينية والاقتصادية ، خاصـة وأنه يرى أن أراضى مصر الرملية القاحلة تتحول الى مساحات خضراء من القمح المتموج والقطن ، ويتحقق من أن اجـراءات مفيـدة لتحسين حالته المعنوية والمادية تتخذ باستمرار ٠ كما أنه يدرك أنه يتمتع بالحرية الدينية الكاملة وأن كل مؤسساته الدينية المقدسة مصانة وموضع احترام ٠ بل ان مشاعره العنصرية الخالصة ليس من طبيعتها أن تجعلـه يتنازل عن مزايا حكومـة جيدة ونزيهة خاصـة وقد تعـرض من قبل لاضطهاد عصر ما قبل الاحتلال ٠

الأقباط

ليس لدى الأقباط شيئا يكسبونه بينما لديهم الكثير ليخسروه اذا ما حدث أى تغير فى الأوضاع الراهنة ، بل ان تعلقهم بالقضية البريطانية من الممكن الاعتماد عليه تماما • وقد بدا لنا على أية حال أن أى ميل تجاه الأقباط من قبل السلطات البريطانية سيؤدى الى نتجية خطيرة تتمثل فى أن المصريين المسلمين سيفقدون الثقة فى نزاهة السلطات البريطانية واستقامتها • ولقد أحاطنا كثيرون من الرجال القادة أنه رغم وجــود رغبة صادقة فى حفظ التوازن بين المسلمين والأقباط ، فهناك دلائل دائمة على أن الأقباط كانوا موضع الثقة الحقيقية • ولقد بذلنا قصارى جهدنا لاقناع المسلمين المصريين أن النزاهة المطلقة هى الأساس الذى تقوم عليه السياسة البريطانية ، وأن توجســهم ريبة من هــذا الجانب لا أساس له • ولكننا نعتقد فى ضرورة وأهمية تجنب القيام بأى عمل من شأنه أن يثير أدنى شك فى وجود أى تفضيل طائفى لأى من الأقباط أو المسلمين ، وعلى الرغــم من ذلك لم يتحقق هــذا دائما فى مسلك صغار الموظفين •

اليونانيون والجنسيات الأخرى

ان اليونانيين ، الذين تربطهم بالمصريين صلات حميمة أكثر من أى جنسية أوروبية أخــرى ، حتى من يعيش منهم فى القرى الصغــيرة النائيــة ، وكذلك الايطاليين والفرنسيين والعناصــر الأجنبيــة الأخــرى أيضا ، يحتفظون بولائهم ووطنيتهم لدولهم الأصلية • بل انهم يبدون دائماكمن يسبحون مع التيار السياسى الغالب عندما لا يتعارض مــع مصالحــهم القومية • أما بالنسبة

لليهود فيبــدو موقفهم انتهازيا تمليه رغبتهم فى تركهم فى أمــن وسلام • وبالنسبة للرعــايا البريطانيين فانهم بطبيعة الحــال موالــون باخلاص لبريطانيا • أمــا بالنسبة للأتراك وكثير من العثمانيين المسلمين الآخرين فمن المتوقع أن يكونوا بطبيعة الحال متعاطفين مع مصير الامبراطورية العثمانية ، وان كان من المحتمل أن يبقوا مسالمين مالم يبدد هــدوء هم قيام بعض التغيرات غــير المتوقعة •

الأرســتقراطية المصرية

(٧) وهناك عامل هام جدا ومثير فى سياسة مصر وسكانها يتمثل فى الارستقراطية التركية الالبانية المكونة من سلالة محمد على والجنود المرتزقة الذين ساعدوه فى فتح البلاد وفى بناء تنظيم مترابط الى حد ما اجتماعيا وســياسيا واقتصــاديا وعسكريا والذى احتكت به السلطات البريطانية الحاكمة ، هذه الارستقراطية ـ التى تتكون من حوالى مائة أسرة لاتعتبر بأى حــال من الاحوال ملتزمة تماما بالتراث الديمقراطى للاسلام ـ هذه الارستقراطية اندمجت مع الطبقات العليــا التى كانت ترجع تقريبا الى أصول تركية ألبانية وشركسية • وتقدر هذه الطبقات العليا بحوالى ألف أسرة ، وتشكل نسبة كبيرة من القوى الحاكمة التى ـ فى ظل الاستشارة والتوجية البريطانى ـ لا تزال تحظى بالسيطرة ، ومعظم أعضاء هذه الطبقة العليا من المجتمع المصرى كثيروا الاسفار •

[الصفحة الثالثة من الوثيقة]

وقد تلقوا تعليمهم فى الاقطار الاوربية وبشكل رئيسى فى فرنسا ، وتشبعوا الى حـد ما بالثقافة الاوربية ، التى وسـعت أفقهم العقلى ، على الرغم من أنه فى بعض الحـالات بدا أن تأثير الافكار الغربية على فضـائلهم وقيمهم الوطنية قد ولدت لديهم ميولا غير مرغوب فيها • وأن أفضل مثال للارستقراطية التركية الالبانية هوالسلطان الجديد لمصر، الذى سنتناول شخصيته بمزيد من التفصيل فى الفقرة التالية • وبمضى الوقت ونتيجة لضغط الظروف فقد ضعف الى حـد بعيد ، وفى كثير من الحالات زال نهائيا التعاطف التركى لهؤلاء الرجال . الذين نموا لديهم قدرا محدودا من الوطنية للقطر الذى ولدوا فيه ونشـأوا ، والذين يعرفون أن بمصيره اندمجت تماما حياتهم ورفاهيتهم • ان ولاء هذه الطبقات يمكن الاعتماد عليه أثناء الازمة الحالية ، ولكننـا نغامر اذا ما اعتقدنا أن انحيازهم لجانب القضـية البريطانيـة يمكن تقويته بسياسة التوفيق فيما بينهم ، وعن طريق تقـديم تنازلات سخية لمشاعرهم وتطلعاتهم المعقولة •

تطلعـات المثقفين المصريين

(٨) ان بعض أعضاء الطبقات صـاحبة النفوذ المشـار اليها فى الفقرة السابقة ، وكذلك الطبقات المتعلمة بصفة عامة ، بما فيهم الطبقة العليا من المثقفين المصريين المسلمين ، وخصوصا الطلاب ، متأثرون الى حد ما بأفكـار غامضـة عن الوطنية والاستقلال، ولكننا وجدنا أن الرجال الاعمق تفكيرا والاكثر

تجربة الذين تبادلنا معهم الحـديث ، كانوا يدركـون تماما أوجه القصور لدى الشعب المصرى فى القوة العددية والقدرة الدفاعية فى المرحلة الراهنة من مراحل نموهم السـياسى والفكرى والاجتماعى وقدروا بسرعة أنهم لا يسـتطيعون أن يقفوا على أرجلهم بدون مساعدة يد قوية تحميهم • كما كانوا يدركون بوضوح أنه نظرا للموقـع الجغرافى الذى تحتله مصر ، ومركز قنـاة السـويس كحلقة حيـوية فى سلسلة عالمية من المصالح البريطانية ، فان مثل هذا الدعم الفعـال يمكن أن يتحقق فقط عن طريق السيطرة المباشرة لبريطانيا العظمى • ونتيجة لما تقدم فان الرأى العام المصرى المستنير بدا لنا متماسكا بطريقة عملية فى استنكار أى احتمال قصد به أن ينال من نسيج الرخاء الذى يرفع مستواه حاليا ، أو التسبب فى أحداث عرقلة فى التقدم المـادى والمعنـوى الثابت للبلاد • وعلى أية حال ، فان السياسيين المصريين لا يخفون طموحاتهم ، التى تنحو نحو اسـتقلال ذاتى تحت الحماية البريطانية ، أو ادارة غير موجهـة لمثل شـئونهم الداخلية تكون متحررة من التعقيدات الدولية • انهم يرغبون فى اجراء تعديل تدريجى لهـذه التعقيدات ، والغاء سريع وحاسم للامتيازات الاجنبية • ونحن لا ندرى ما اذا كانت مراعاة المشاعر الايطالية أو لاسباب سياسية أخرى ، لابد أن تكون قوية دون شك ، لاتزال الامتيازات الاجنبية قائمة فى هذه الفترة الحالية الحاسمة ، بينما لم يكن ليحدث الغاؤها بطبيعة الحال أية اضطرابات على الاطلاق فى المحيط الدولى المشحون بمقتضيات الحرب المستغرقة للانتباه والتى تصرف العالم بطريقة عملية عن المسائل الثانوية • اننـا نفهم على أية حال أن الامتيازات مصيرها الزوال فى نهاية الحـرب ،

ونحن نعتقد بصدق أن المصريين يتطلعــون ، بتوقع موثوق فيه ، الى تحقيق ذلك ٠

(٩) ان المثقفين المصريين يأملون فى أن اتصالهم الوثيق بتقاليد الحكم الذاتى للشعب البريطانى ، ذلك الاتصال الذى يحتفل به الآن ، سيترتب عليه أخيرا رفع المركز السياسى للبلاد الى مستوى أعلى ، بوجود برلمان محلى بدلا من جمعية تشريعية استشارية والتى تعتبر أنشطتها التشريعية فى ظل دستورها الحالى يمكن أن يصدر حكما بتعطيلها ٠ كما أنهم يدركون عدم جدوى التطلع الى ادارة شئونهم العسكرية والبحــرية ، والتى يجب أن تبقى تحت اشراف القوة الحامية ، ولكن فيما يتعلق بمسائل التشريع المدنى البحت،والتى لا يمكن أن تؤثر فى شىء على المصالح الامبراطورية ، فان سلطات الجمعيــة التشريعية كما يعتقدون ، يجب ان توسع فى نطاق حدود مأمونة ٠

(١٠) وليس لنا أن نقول الى أى مدى يمكن أن تدخل هذه التوقعات فى نطاق السياسة العملية ، ولكننا نتفق مع وجهة النظر القائلة بأن البداية يمكن أن تتم بأمان فيما يتعلق بادارة شئون (أ) الاوقاف ٠

[الصفحة الرابعة من الوثيقة]

(ب) والمحكمة الشرعية (جـ) والمجلس الحسبى الذى يختص بالاوقاف الخيرية ، والمسائل الكنسية ، وشئون الوصاية على

التوالى • واذا تم تحقيق ذلك فسوف ينتج عنه تأثير سياسى ممتاز دون أى مساس بجوهر السيطرة البريطانية • ويتميز قدوم السلطان الجديد بأنه تنازل غير ضار ولكنه هام بالنسبة للمشاعر المصرية ، وأن هيبة السلطان ومكانته كعاهل يتمتع بالحماية ستعزز حكمه فى بداية عهده ، حينما يكون موقفه الموالى بقوة للقضية البريطانية ليس متحررا كلية من الصعوبات الداخلية أو الصعوبات الاخرى • وسوف يكون هذا التنازل موضع تقدير وامتنان كل طبقات الشعب المصرى ، وستزداد ثقتهم فى دوافع وسياسة الحكومة البريطانية •

المحمية

(١١)لقد كان قطع العلاقات الودية مع تركيا ، بالاضافة الى الموقف العدائى للخديو عباس الثانى الذى جاء فى تقرير « سيرلويس مالت sir louis Maliett للتعاون مع الحزب العسكرى التركى فى تنظيم عملية تهديد خطيرة فى سوريا ضد الوضع البريطانى فى مصر ، قد أدى الى طرح تساؤل عما اذا كان ينبغى ضم مصر للامبراطورية البريطانية ، أو فيما اذا كان يجب تسوية الوضع السياسى للقطر بطريقة أخرى • لقد كان الرفض المؤكد والمتكرر فى السنوات الماضية من قبل وزراء بريطانيين متعاقبين لاى نية لضم مصر قد أثار قضايا معنوية كانت تسويتها تراقب باهتمام شديد وريبة جديره بالاعتبار ليس من قبل المصريين فحسب، بل من قبل كل العالم الاسلامى أيضا • ولقد قيل لنا أن عملية الضم ستثير مشاعر العداء ضد بريطانيا العظمى فى

أنحاء متعددة ، وربما أدى ذلك الى حدوث تعقيدات خطيرة٠ ولكن تحـويل مصر الى محمية بريطانية فى الظرف الراهن يعتبر بوجه عام أفضل حل سياسى لمشكلة دقيقة وصـــعبة للغاية ٠

السـلطان الجديد

(١٢)ان ابتهاج المصريين بقرار حكومة صاحب الجـلالة [ملك بريطانيا] عزز بالاختيار السعيد لسمو السلطان حسـين كامل كأول سـلطان لمصر ٠ وهو يحظى بتقـدير المصريين وثقتهم أكثر من الخديو السابق ، الذى سـممت مؤامراته المستمرة جو القاهرة ، كما خلق استثماره المـالى المشكوك فيه داخل البلاد وحتى بين أقرب أقربائه شعورا بعدم الثقة والخوف ٠ أما فيما يتعلق بالسلطان الجـديد فهو معروف باستقامته وتمسكه بالشرف ، وعنـــايته الزائدة بمصالح الفقراء ، واهتمامه الزائد بالشئون الزراعية والتى يجب أن يعتمد عليها بشكل كبير رخاء بلـد مثل مصر ، كما أن ماضيه وارتباطه المبكر بكل فروع الادارة بما فيها الموارد المالية ، والشؤون الحربية ، والاشغال العمومية، والداخلية، والاوقاف، والتعليم تدفع الشعب المصرى الى الثقة فى مقدرته ومعرفته بالامور ٠ لقد قيل لنا أنه لو أجرى استفتاء عام فان اختيار المصريين سيكون مثلما فعلت حكومة صاحب الجلالة البريطانية ٠

(١٣) ولقد اتيحت لنا فرص لمقابلة سموه والتحدث معه ٠ وقد أثر فينا كرجل مستقيم ، ومستنير ، وواســع الافق ٠ وفى

مقابلتنا الخاصة الاخيرة مع السلطان [حسين كامل] والتى تمت تلبية لرغبته الخاصة ، فقد عبر سموه بثقة وصراحة تامة عن آرائه فى تغير الحالة السياسية لمصر ، وصعوبات حالته الخاصة • اذا استجمعنا من حديثه أن الدور الذى يلعبه كمجرد رئيس صورى مزخرف لرقعة الشطرنج السياسية ، والذى كان يأمل بثقة أنه لم يكن متوقعا حينما وافق باخلاص على مقترحات حكومة الهند البريطانية ، هذا الدور سوف يقلل من هيبته فى نظر العالم الاسلامى ، بل وفى نظر رعاياه المصريين كذلك ، ويجعل من وضعه أمرا لا يمكن احتماله • لقد عبر عن اقتناعه بأنه نظرا لسجله النظيف وخبرته الناضجة ، فان سياسته القائمة على الثقة المتبادلة والارادة الطيبة المصحوبة برغبة قوية فى المحافظة على كرامته مع اعتبار خاص للسلطات •

[الصفحة الخامسة من الوثيقة]

والمسئوليات المرتبطة بوضع الحاكم فقط ، تستطيع أن تعمق شعور التعاون الودى الضرورى لتعزيز المصالح المصرية والبريطانية على السواء • وقد طلب منا أن ننقل الى صاحب الجلالة [ملك بريطانيا] ووزراء التاج رسالة بحسن نيته الصادقة ، وتأكيداته باخلاصه للرابطة البريطانية • وقد أضاف أنه أثناء الازمة الحالية وفى المستقبل يمكن الاعتماد على ولائه الكامل فى تقديم كل الخدمات الممكنة للامبراطورية البريطانية ولبلاده • ولقد تأثرنا أبلغ تأثير بنبرة الاخلاص الاصيل التى صبغت بها أحاديث سموه، ونعتقد أن تعلقه الحازم بالقضية البريطانية فوق كل شك •

الوزراء ومستشاروهم

(١٤)من خلال أحاديث الوزراء الذين أتيحت لنا فرصة الحديث معهم جميعا فى مناقشة الموقف المصرى بصورة غير رسمية وبصفة ودية ، فقد استخلصنا أنهم يرغبون فى تبادل حر وصريح لوجهات النظر فى الاستشارات المقدمة اليهم قبل أن تصبح نافذة المفعول • لقد ألمحوا أنه قد حدث أحيانا أن أخذت فى الاعتبار استشارات صادرة عن وجهات نظر مختلفة لم يؤخذ بها وعزيت الى التصلب فى الرأى والتعصب له • وهذا بطبيعة الحال يفسد الى حدما العلاقة الودية بين الوزير وبين مستشاره ، ويترك انطباعات سيئة فى ذهن كل من الجانبين • ونتيجة لذلك فقد كان عزل الوزير القدير وابعاده يتم أحيانا بأية وسيلة ، بحيث ساد انطباع بأن الوزراء المستعدين للتنازل عن أحكامهم هم فقط المقبولون أو المرضى عنهم • ومن المحتمل أن يكون ذلك رأيا مبالغا فيه عن هذه الحالة ، ولكن مما لا شك فيه أيضا أنه يوجد فى أذهان كثير من السياسيين المصريين أن حرية الحكم أحيانا لها نقائصها • ولقد تأكدنا تماما من أنه فى حالة تسوية المسائل الحيوية للمصالح الامبراطورية البريطانية لا ينبغى التضحية بالحزم مقابل توفر رغبة مترددة للحصول على تهدئة أو تسوية للامور • كذلك فاننا تبينا أن التأثير على هيبة البريطانيين من موقف غير مؤكد ومتذبذب فى بلد يميل الناس فيه بالغريزه الى السلطة ، التى يعتقدون أنها تملك جوهر القوة الحقيقية ، فانه يجب أن نأخذ الحيطة ازاء مثل هذا

الاتجاه • ولكن فى الظروف العادية فانه يمكن اتخاذ موقف متحفظ من شأنه تجنب التميز عند اختبار أية قضية مما قد يترتب عليه حدوث نتائج قد تكون ضـــارة على المدى الطويل للهيبة البريطانيـة التى يمكن الابقـاء عليها على أساس من العدل والانصاف •

(١٥)ومن المعتقد أن جوا من الثقة والمـودة المتبادلتين والذى يسمح بالنقد الودى والنزيه من أى جانب ، وذلك قبل أن تبدأ الادارة فى انجاز مهامها ووضعها موضـع التنفيذ ، لكفيل هذا بتحقيق تقدم ملوس للمصـالح الامبراطوريـة العليا من جهة ، وللمصالح المصرية من جهة أخرى ، كما أنها تزود زعماء الشعب بالثقة فى الادارة البريطانية •

وجدير بالذكر أن هذه الملاحظـات ليست لها عـلاقة شـخصية بهيئة المسـتشارين الحاليين اذ أن غالبيتهم يتمتع بعظيم التقدير •

الوطنيـــون

(١٦)ان الحركة الوطنية ، التى استهدفت وضـع حد للاحتـلال البريطانى والحصول على الاسـتقلال المطلق لمصر قد كبح جماحها فى سنة ١٩٠٧ عندما تعاون الخـديو السـابق مع « سيرالدون جورست Sir Eldon Gorst فى قمعها • وفى أثناء حكم « لورد كتشنر Lord Kitchener » فقد أمكن الى حد بعيد تحييد أنشطة الوطنيين عن طريق التأثير الكبير الناتج عن الاجراءات التى اتخذها • ويبدو على أية حال مما شاهدناه وسمعناه فى مصر أن الروح الوطنية لم تمت

ولكنها خلدت الى السكون ٠ فالطلاب وخاصة طلاب مدرسة الحقوق بالقاهرة ، وهؤلاء الذين يتلقـــون تعليمهم فى الاقطار الاجنبية معرضون بوجه خاص لدعاية الوطنيين ٠

(١٧)ان الفئة القليلة التى تمثل وجهات النظر الوطنية والذين تحادثنا اليهم يبدو أنهم يعتقدون أنه اذا تم تبنى سياســة ذات ثقة أكبر فى ممثلى الشعب ٠

[الصفحة السادسة من الوثيقة]

وأنه اذا روعى فى حــكم البــلاد مصــلحة المصريين وأمالهم الشرعية كامة تحترم ذاتها ، وليس لأية اعتبارات ثانوية أخرى. فان المصريين سوف يؤيدون بحرارة السلطات البريطانية ٠ ولقد اعترف هؤلاء بأن اجراءات توســـيع الرقعة الزراعية وتحسين الحالــة المــالية للفـــلاح حققت نجاحا مذهلا، ولكن من وجهة نظرهم فان سياسة التعليم التى تتبعها الحكومة المصرية تحت التوجيه البريطانى قد كانت الى حد ما فاترة، وتركت انطباعا فى عقولهم بأن النهضة الحقيقة لشعب مصر بين مصـــاف الامم غير مرغوب فيها لاســـباب سياسية ، ولهذا فانهم يطالبون بأنه لا يجب أن يسمح لهذه الاسباب بالوقوف فى طريق التقدم الوطنى ٠

الصـحافة المصرية

(١٨)ان قانون المطبوعات أو قانون الصحافة الصادر فى ســنة ١٩٠٩ قد أحدث تأثيرا مهدئا على الصحافة المصرية المحلية ٠ حيث كانت تصدر فى داخل البلاد حوالى ستين صحيفة عربية

فى وقت واحد. بينما كان نفس العدد تقريبا يصدر باللغات الاوربية . وقد تناقص عدد الصحف المحلية الى حد بعيد فى الفترة الاخيرة . وان نشاط الصحافة فى مصر قد أتهم وتطور بواسطة الاحزاب السياسية المختلفة ، وقد اصبح هـــذا النشاط فى حالة جمود فى ظل الاحكام العرفيه . واهــم هذه الاحـــزاب :ــ

(١) الحزب الوطنى الذى سبق أن أشرنا اليه .

(٢) حزب الامة أو حزب الشعب .

(٣) حزب الاصلاح .

وكانت صحيفة اللواء ناطقة بلسان الحزب الوطنى، وقد صدرت فى سنة ١٨٩٨ وكانت أهم صحيفة سياسية فى هذا الوقت . وقد أغلقت فى سنة ١٩١٢ . وكانت سياستها مستوحاه من مصطفى كامل باشا . ولقــد حلت صــحيفة الشعب محل صحيفة اللواء وتلتها صحيفة العلم . ولقــد أغلقت الصحيفة الاخيرة أيضا فى نوفمبر سنة ١٩١٤ ، أما الصحيفة الناطقة بلسان حزب الامة وهــو حزب يتألف من رجال أثرياء ، كانت آراؤهم المعتدله تســـتهدف موازنة الانشــطة الوطنية ــ فهى صحيفة « الجـــريدة » . ولقد تضالت هذه الصــــحيفة فى أهميتها منذ اســتقالة رئيس تحريرها ، لطفى السيد ، وهو صحفى شريف كانت مثاليته غير متوافقة مع حقائق الوضع القائم فى مصر . أما حزب الاصلاح ، والذى كان يؤيد سياسة الخديو المستبعد ، فقد كان هذا الحزب يعبر عن آرائه من خلال أعمــدة صــحيفة

« المؤيد » · وكانت الصحيفة فى وقت ما تحـرر بمهارة ، وكثيرا ما كانت تعتنق اتجاها مستقلا · ولكنها لم تعد ذات اهميه كبيرة الان ·

أما عن الصحف المستقلة ، فتوجـد صحيفة الاهرام ، التى صدرت فى سنة ١٨٧٥ ، وهى اقدم وأفضل صحيفه، اذ تناصر الاراء المعتدلة والمعقولة ، اما بالنسبة لسياستها فهى مناصرة لبريطانيا ·

وهناك أيضا « المقطم » وهى صـحيفة أخرى هامة · ويديرها المسيحيون السوريون الذين يناهضون فى سياستهم الترك بشدة · وينظر الى هذه الصحيفة على أنها صـحيفة شبة رسمية للوكالة البريطانية ، وقد علمنا أن المسـلمين المصريين ينظرون الى هذه الصحيفة بشك وريبة · وفى هذا الصدد فاننا يجب أن نذكر بصفةعارضة أن موقف السلطات البريطانية أزاء السوريين يراقب بعين الريبة والشك من قبل المسلمين المصريين ·

وبالنسبة للاقباط فان لهم صحيفتين ، وهما صـحيفتا « مصر » و « الوطن » اللتان ترعيان مصالحهم وتدافعـان عنها ·

ومن بين الصـحف الاوربية فانه يبدو لنا أن أهمهـا صحيفة :

« ذى اجيبشيان جازيت Thre Egyptian gazette

« لى فار دا لكسندرى "Le Phare d'Alexandrie

« لىجورنال دى كير "Le Journal du Caire"

« لى ايجيبت "L'Egypte

« ايجبشيان مورننج نيوز "Egyptian Morning News

« لابورس اجيبسيان "La Bourse Egyptienne"

وكل هذه الصحف تناصر وتؤيد وجهات النظر الاوربية .

ويبدو لنا أنه من خلال ما سمعناه أنه فى ظل العمليات المشتركة لقانون المطبوعات والحكم العسكرى فان الصحف العربية لم تعد تعكس على مدى واسع اتجاهات مشـــاعر المصريين فى كل مظاهرها . على أنه يمكن القول أن تعطيل بعض الصحف الخطـــيرة كان أمرا ضروريا فى الظروف الراهنـة .

[الصفحة السابعة من الوثيقة]

الخـــــلافة

(١٩)أما بالنســبة لموقف المسلمين تجـاه الخـلافة ، فانه يمكن تقسيم العالم الاسلامى تقريبا الى مجمــوعتين . الاغلبيـــة العظمى من المسلمين الذين يعتنقون مذهب السنة أو المذهب القويم ، وأقلية مكونة من الشيعة والاباضية والخــوارج

والزيديين والطوائف الاخرى الصغيرة • ومسألة الخلافة [ويعنى به النبى محمد صلى الله عليه وسلم] وانتخب الخليفة لديها وجهات نظر متعارضة فى هذا الموضوع • وان الاصل التاريخى للخلافة يمكن ارجاعه الى الظروف الطارئة التى دعت الى عمل تسوية فورية عقب وفاة مؤسس الاسلام • [ويعنى به النبى محمد صلى الله عليه وسلم] وانتخب الخليفة الاول أبو بكر بواسطة الشعب (المسلمين) • ولكنه رشح قبل وفاته عمرا خلفا له • ولقد اتبعت هذه السابقة منذ ذلك الحين بالنسبة للخلافة ، كل خليفة يتعاقب على الخلافة يرشحه سلفه (١)• وقد أحتفظ بالتعاقب الابوى (٢) فى

(١) يلاحظ أن تفسير آغاخان لتعاقب الخلافة مناقض للحقيقة وخاصة فى عهد الخلفاء الراشدين ذلك أن عمر رشح ستة من الصحابة ومهم ابنه عبد الله مستشارا لايقع عليه الاختيار ، وذلك ليختاروا بالمشورة فيما بينهم واحدا منهم ليرشحوه خليفة للمسلمين ليأخذ البيعة من جمهور المسلمين ، ومع اعتبار حرص عمر على تلافى حدوث خلاف بين المسلمين فى وقت انشغالهم بالفتوحات • أما الخليفه الثالث عثمان فقد قتل دون أن يرشح للخلافة أى شخص من قبله • وكذلك الحال بالنسبة لعلى ، رضى الله عنهم جميعا •

(٢) يلاحظ أيضا أن « التعاقب الأبوى » لم يكن القاعدة فى تولى الخلافة فى عهود الدول الاسلامية التى أعقبت عهد الخلفاء الراشدين •

مختلف الاسرات العربية الحاكمةحتى قام السلطانسليمالاول العثمانى بغزو مصر ، وأغرى آخر الخلفاء العباسيين أن يرشحه خلفا له٠ وبهذا الاسلوب بقى خط الخلافة بالتعاقب الابوى بواسطة الترشيح مستمرا دون انقطاع حتى الان، ولهذا السبب فان المسلمين السنيين فى الهند ومصر والاقطار الاخرى ينظرون الى سلطان تركيا على أنه الخليفة الحقيقى للاسلام ٠ ومهما كانت النتائج التى ستسفر عنها الحرب الحالية [الحرب العالمية الاولى] بالنسبة لتعديل الحدود الاقليمية ، فانه يبدو من الامور الجوهرية من وجهة نظر أهل السنة أن حماية الاماكن المقدسة يجب أن تستقر فى أيدى حاكم مسلم يستمد لقبه فى الخلافة بترشيح من سلفه٠

وان جهود حزب تركيا الفتاة فى تكتيل التأييد العسكرى للاسلام حول الخليفة العثمانى ربما كان من الممكن أن تقابل برد فعل أقل عداء لو لم يكن الحكم التركى غير مساير لروح العصر بشكل ملحوظ ، وأن الاتجاهات التقدمية للعصر فى تركيزها على رفع مستوى الشعوب المحكومة ورفاهيتها لا يمكن فصلها عن الناحية الروحية البحتة للخلافة ٠ وان الأخطار البالغة والمضايقات التى يتعرض لها الحجاج المسلمون من عمليات السلب التى يقوم بها البدو وعمليات النهب من قبل الموظفين المحليين أثناء رحلة الحج الى الأراضى المقدسة من الحجاز وميزدبوتاميا [العراق] بالاضافة الى الظروف غير الصحية التى تحيط بهم ، قد أدت بشكل طبيعى الى فتور حماسهم الاسلامى ازاء الخليفة السلطان التركى بالنسبة لدوره فى حماية الكعبة وكربلاء ٠ ولهذا فانه من الخطأ أن نفترض أن الأتراك مكروهين من

قبل المصريين أو من العناصر الاسلامية الأخرى . بل انه على العكس من ذلك ،فان تقاليد الامبراطورية العثمانية لم تكف عن أسر خيال العالم الاسلامى وتحريك تعاطفه معها . ولكن من الواضح أن الاتراك أخطأوا فى حساب الحدود النفسية والمعنوية التى يخضع لها مثل هذا التعاطف . وبصرف النظر عما اذا كانت الخلافة قائمة حقيقة على أساس دينى أو ما اذا كان المطالب بهذا المنصب الرفيع يجب ان ينتمى الى قبيلة نبى الاسلام ، فان توقعات العسكريين الاتراك فى أن حسنات الحكومة الصالحة ، بما تشتمل عليه من الحرية الكاملة للعقيدة الدينية ، سيصرف النظر عنها ، بما أن أوامر الخليفة السلطان كان مقدرا لها الاخفاق .

وعلى أية حال فانه مذهب مقبول أن يكون الاعتراف بالسلطان كخليفة لا يتضمن أى ولاء سياسى له ، ولهذا السبب فان مسلمى مصر والهند لم يتذبذبوا فى ولائهم الدنيوى السياسى ، أما بالنسبة للجانب الروحى للخلافة ، فان أى تدخل من قبل قوة غير اسلامية فى تعيين خليفة فانه سينسب بالتأكيد الى دوافع سياسية ، ولا يمكن الموافقة بوجه عام على أى خليفة يعين على هذا النحو . ولهذا فانه من الحكمة ترك حل هذه المسألة الدقيقة فى حكم الشعوب الاسلامية ، التى ستواجه الموقف فى الوقت المناسب طبقا لتقاليد الاسلام وتعاليمه .

فتوى الجهاد

(٢٠) ان فتوى شيخ الاسلام فى تركيا حول الجهاد أو الحرب

المقدسة قد فشلت فى أن تجد لها أرضا خصبة فى مصر ، كما أن الشعب لا يهتم بها على الاطلاق • وهذه الفتوى تتكون من التأكيد المبهم لسلسلة من القضايا البارعة التى صاغها حزب الحرب فى تركيا • كما أن الادعاءات التى تختفى خلف هذه القضايا •

[**الصفحة الثامنة من الوثيقة**]

لا أساس لها تقريبا بالنسبة للموقف السياسى العسكرى الناشىء عن الحرب وقد اعترف بذلك أولئك الذين اتيحت لنا فرصة التحدث معهم • اذ أن عقلية المسلم المتوسط الثقافة فى مصر كما فى الأقطار المحمدية [الاسلامية] الأخرى قد تتأثر بالوحدة الاسلامية الدينية فى حالة قيام حركة عدائية ضد الاسلام ، ولكن الطبقات الذكية بين المسلمين المصريين لم تكن تخدعهم طبيعة الوحدة الاسلامية السياسية المستوحاه من قبل رجال الدعاية الألمان •

تاثير سياسة ايرل كتشنر

(٢١) اننا قد نجازف بأن نوضح هنا أن الهدوء المطمئن حاليا فى مصر انما يبدو أنه يرجع الى حد كبير الى النظام الناجح الذى وضعه « لورد كتشنر Lord Kitchener » ففى كل الاتجاهات صادفتنا دلائل قاطعة على هيمنته الحازمة التى اكتسبها ببصيرته المتعاطفة على العقلية المصرية فى عملها ، وباتساع أفقه فى تحقيق تناسق بين التقدم

سياسته فى التحقيق التدريجى للمطامع القومية المشروعة ، تبدو انها كسبت ولاء كل المستنيرين المصريين وثقتهم ٠

القوات الهندية

(٢٢)لقد أحاطنا علما الجنرالات « ولسون "Wilson" » وكوكس "Cox" » وميليس "Melliss" بأنه كانت هناك بعض الاضطرابات بين جنود الحدود من الهنود المسلمين ، وخاصة « البراهيوس "Brahuis" » والهازارس "Hazars" « والخاتاكس "Khattaks" » واليوسوفزاس "Yusafzis" » والسواتيس "Swatis" » والأفريديس Afridis » وذلك بالنسبة لبعض مظاهر الحرب مع تركيا ٠ وفى رأى السلطات العسكرية أن عملاء تركيا كانوا يحاولون دون شك أن يصلوا الى الجنود المسلمين . وأنه هناك ما يدل على أن المتاعب بدأت حتى قبل مغادرة هذه القوات للهند٠ وأن الآراء التى أبداها هؤلاء الرجال هى أنهم يجب أن يقادوا [للحرب] ضد الألمان ، حيث أنهم أفهموا فى الهند أن الحرب كانت موجهة ضد ألمانيا ، وذلك بدلا من أن يطلب منهم محاربة الجنود التابعين للخليفة — والعرب اليمنيين والأتراك — الذين كانوا حراسا طبيعيين للاماكن المقدسة ٠ ويبدو أن هؤلاء الرجال يعتقدون أن الاسلام يحرم سفك الدماء بين المسلمين ٠ (١) وهم أيضا يعتقدون أن دول الوفاق كانت لها مخططات عدوانية على الاماكن المقدسة الاسلامية كما أنها تستهدف تحطيم الاسلام ٠

وبناء على اقتراحات الجنرالات « سير جون ماكسويل
Sir John Max well " و « ولسون Wilson"
فقد قمنا بزيارة ألوية الجيش التى يقودها « بريجادير
جنرال يونجهاسبند Younghasb..nd" و كوكس Cox"
و « أ . واطسون A. Watson"
و « هـ . واطسون A. Watson" » و « جيوجان
geoghgegan" » و « ميليس Mellise" » .
وقد صحبنا فى هذه الزيارة كل من « ميجور جنرال ولسون
Wilson" » و « بريجادير جنرال بينجلى Bingley
رئيس الاركان . وقد اصطفت القوات فى معسكراتها
الخاصة ، كما حضر جميع الجنرالات والضباط . وبعد أداء
الرسميات المعتادة من تفتيش وتقديم بمعرفة « جنرال
ولسون » فقد جمع الضباط الوطنيين [الهنود] فى
مجموعات . وقد خاطبهم آغاخان باللغة الاوردية ، مواجها
اعتقادهم الخاطىء الناتج عن دسائس الاتراك والالمان
بمناقشة نقطة بعد الاخرى طبقا للشريعة والتعاليم الاسلامية
وقد أوضح آغاخان أن الاسلام فرض عليهم الواجب فى أن
يكونوا مخلصين لملح السردار الذى يتمتعون فى ظل حمايته
بحرية دينية كاملة ، كما أنه بالتالى توجد فى جيوش روسيا
وفرنسا آلاف السيوف المسلمة التى أشهرت دفاعا عن القضية
العادلة التى تحارب من أجلها دول الوفاق . وقد انطبع فى
ذهنهم أن السردار البريطانى كان يصادق دائما الامم
الاسلامية ويحميها ، وأن حرمة الاماكن المقدسة مكفولة
أثناء الحرب وبعدها من قبل بريطانيا العظمى بالاشتراك
مع روسيا وفرنسا ، وأن تركيا برغم الضمانات

والتأكيدات والوعود التى قدمت لها والتى كانت ستؤمن سلامة وتقدم مصالح الامبراطورية العثمانية ، فقد سيقت الى الحرب بواسطة المانيا وحفنة من المتعصبين الوطنيين الاتراك الذين تأثروا بأسباب سياسية ، وأن الحرب لم تكن دينية بأنه حال كما يدل على ذلك موقف الرؤساء الهنود المسلمين ، وأمير أفغانستان ، وكثير من المسلمين المعروفين · كما أن الارتقاء الجديد للأمير حسين كامل لمنصب سلطان مصر قد ذكر على أنه أقرب مثال معبر عن الاسلوب الذى تمت به حماية الاقطار الاسلامية بمعرفة بريطانيا العظمى ، وتمت المحافظة به على تقاليدها الاسلامية ·

[الصفحة التاسعة من الوثيقة]

وقد شرحت لهم كافة الترتيبات التى أعدت فى انجلترا لمصلحة الجنود الهنود ، ولاشباع الحاجات الدينية لكل من الهندوس والمسلمين · كما ألح لهم بكرم الملك الامبراطور [ملك بريطانيا] وعنايته المفرطة برفاهيتهم ، وعبر لهم عن الامل فى أن يكونوا أهلا للثقة التى وضعها فيهم صاحب الجلالة [ملك بريطانيا] بالمحافظة بشرف على تقاليد الجيش الهندى وباضافة أكاليل غار جديدة لانجازاته السابقة ·

خاتمة

(٢٣)اننا مدينون كثيرا « للجنرال مكسويل General Maxwell على ضيافته الكريمة · كما أننا نبدى

عرفاننا للسيدين « تشيثام "Cheetham" » وستورز Storrs » على المقابلات العديدة التى قاما بتنظيمها لنا . ويمكننا أن نضيف فى النهاية أننا لم نضيع أية فرصة أتيحت لنا للتأثير على من اتصلنا بهم ، بالتنويه بمزايا الارتباط البريطانى كما توضح ذلك الأوضاع القائمة فى الهند ، وبابراز أن الحماية [البريطانية] قد فتحت أفقا جديدا لامكانات لاحد لها من أجل مصلحة مصر .

بورسعيد	آغاخان
فى اليوم الثانى عشر	و
من يناير سنة ١٩١٥	م . عباس على بك

مصـــادر البحث

مصـــادر باللغـة العربيـة

أولا ـ وثائق منشورة :

ـ مذكرات آغاخان ، نقلتها الى العربية دار العلم للملايين ببيروت ، الطبعة الاولى ، فبراير ١٩٥٩

ـ السلطان عبد الحميد الثانى ، مذكراتى السياسية ١٨٩١ ـ ١٩٠٨، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٧

ثانيا ـ مؤلفات منشورة :

ـ ابن حنبل ، عبد الله أحمد بن محمد : المسند ، ستة مجلدات ، القاهرة ١٣١٣ هـ.

ـ ابن النديم ، محمد بن اسحق : كتـــاب الفهرست ، ليبزج ١٨٧١

ـ أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) :

ـ أفكار جمال الدين الافغانى السياسية ، المجلة التاريخيـة المصرية ، القاهرة ١٩٦٢

ـ مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢، القاهرة ١٩٦٦

ـ تاريخ مصر السياسىمن الاحتلال الى المعاهدة، القاهرة١٩٦٧

ـ برنارد لويس (دكتور) :

أصول الاسماعيلية ـ ترجمة الى العربية خليل أحمد جلو وجاسم الرجب ـ وقدم له الدكتور عبد العزيز الدورى ، القاهرة١٩٤٧

ـ حسن ابراهيم حسن (دكتور) :

وطه شرف (دكتور) : عبيد الله المهدى ، القاهرة ١٩٤٧

– حسن ابراهيم حسن (دكتور) :
تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ .

– سعد زغلول عبد ربه (دكتور) :
سياسة بريطانيا فيما يتعلق بالجلاء عن مصر ١٦٨٢–١٩١٤ ، الاســكندرية ١٩٧٦

– الشهر ستانى ، محمد بن عبدالكريم :
الملل والنحل ، تحقيق أبو الفتح بدران ، جزآن ، القاهرة١٩٤٧

– طـه شرف (دكتور) :
دولة النزارية أجداد آغاخان كما أسسها الحسن بن صــباح
زعيم الاسماعيلية فى فاس ، القاهرة ١٩٥٠

– عبد الرحمن الرافعى :
– مصطفى كامل ، باعث الحركة الوطنية ، القاهرة١٩٥٠
– محمد فريد ، رمز الاخلاص والتضــحية (تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٩) القاهرة ١٩٦٢

– عبد المنعم ماجد (دكتور) :
المستنصر بالله الفاطمى ، القاهرة ١٩٦١

– عمر عبد العزيز عمر (دكتور) :
دراسات فى تاريخ مصر الحــديث ١٧٩٨ – ١٩١٤ ، دار الثغر ، الاسكندرية ١٩٧٢

– فاروق عثمان أباظة (دكتور) :
عدن والســياسة البريطانية فى البحر الاحــمر ١٨٣٩ ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦

– فشر ، هـ ٠ أ ٠ ل ٠ :

تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، ١٧٨٩ – ١٩٥٠ ، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر ٠

– فؤاد عبد المعطى الصياد (دكتور) :

المغول فى التاريخ من جنكيزجان الى هولاكوخان ، القاهرة ١٩٦٠

– الفيروزابادى : القاموس المحيط ٠

– محمد جمال الدين المسدى (دكتور) :

الاحتـــلال والحركة الوطنية فى مصر فى أوائل القـرن العشرين ، المجلد الثانى والعشرون من مجـلة الجمعيـــة المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٧٥

– محمد الحسين آل كاشف الغطاء :
أصل الشيعة وأصولها ، القاهرة ١٩٥٨

– محمد السعيد جمال الدين (دكتور) :

دولة الاســماعيلية فى ايران ، بحث فى تطـور الدعـوة الاسـماعيلية الى قيام الدولة ، مع ترجمة للنص الفارسى الذى ورد عنها فى كتاب « تاريخ جها نكشاى » للمؤرخ الفارسى عطـا ملك الجوينى ، مؤســسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٥

– محمد شـفيق غربال :

تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ١٨٨٢ – ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٥٢

– محمد فؤاد شـــكرى (دكتور) :

مصر والسودان ، القاهرة ١٩٥٧

– محمد محمد حسين (دكتور) :

الاتجـــاهات الوطنية فى الادب المعاصر ، الجزء الاول ،
القاهرة ١٩٦٢

– محمد مصطفى صفوت (دكتور) :

– الاحتـــلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه ،
الاسكندرية ١٩٥٢

– انجلترا وقناة السويس ١٩٥٤ – ١٩٥٦ ، الاســكندرية
١٩٥٦

– النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى .
فرق الشيعة ، النجف ١٩٣٦

مصـــادر باللغـــات الأجنبيـة

أولا ـ وثائق غـير منشـــورة :

(1) Foreign and Commonwealth Office, India Office, Political and Secret Library, London, B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31. Secret, Note by the Aga khan and M. A. Ali Baig on the Situation in Egypt, Port Said, 12 th January 1915, pp. 1 - 9.

ثانيا ـ وثائق منشــورة :

— Goech and Temperley :
British Dacuments on the Origins of the War, 1898-1914., London, Printed and purchased by Her Majesty's Stationary Office, 1938, Vol. TV - X.

— Hurewitz, J. C. :
Diplomacy in the Near and Middle East, two Vols., New York, 1956.

ثالثا ـ مؤلفات منشـــورة :Texts

— Cromer, L. :
Modern Egypt, 2 Vols., London 1908.

— Earle, E. M. :
Turkey, The Great Powers and the Bagdad Railway, Macmillan, New York, First Ed., 1935.

— Freycinet, C. :
La Question d'Egypte, Paris 1905.

— Graham, Gerald S. :

Great Britain in the Indian Ocean, A Study of Maritime Enterprise 1810 - 1850, Oxford, at the Clarendon Press 1967.

— Hanotaux, Gabriel et Martineau, Alfred :

Histoire des Colonier Françaises et de L'Expansion de la France dans le Monde, Paris 1931.

Histoire de la Nation Egyptienne, tom. VI., Paris.

— Jvanov, W. :

The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946.

Brief Survey of the evaluation of Ismailism, London 1952.

— Lenczowski, George :

The Middle East in Wold Affairs,. Third Edition, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1962.

— Lewis, B. :

The Origins of Ismailism, Cambridge, 1940.

— Ismaili Notes, B. S. O. A. S., London 1940.

— Marston, Thamas E. :

Britain's Imperial Role in the Red Sea Area, 1800 - 1878, The Shoe String Press, Inc. Hamden, Connecticut, U. S. A.

— Owen, R. :

The Influence of Lord Cromer's Indian experience on British Policy in Egypt, 1883 - 1907, St. Antony's Papers, No. 17, Middle Eastern Affairs, 4, 1965.

— Résèner, H. :
L'egypte Sous l'occupation Anglaise, Le Caire, 1898.

— Safwat, M. M. :
Great Britain and Egypt : The Problem of evacuation with special reference to the mission of Sir Henry Brummond Wolff, Bulletion of the Egyptian Historical Society, Vol. 2., 1949.

— Stern, S. M. :
The first appearance of Ismailism, Tehran 1961.

— Zetland, M. :

The life of Lovd Cromer, London, 1932

نص مذكرة آغاخـــان وم • عباس على بك

بشأن الوضع القائم فى مصر

بورسعيد فى اليوم الثانى عشر من يناير ١٩١٥ (١) •

1. Foreign and Commonwealth Office, India Office, Political and Secret Library, London, B. 216, Judical and Secret Memoranda, No. 31, Secret, Note by the Aga Khan and M.A. Ali Baig on the Situation in Egypt, Port Said, 12th January 1915, pp. 1,9.

This document is the property of the Secretary of State for India in Council

SECRET:

Note by The Aga Khan and M.A. Ali Baig on The Situation in Egypt.

(1) An informal expression of our views on some aspects of the political situation in Egypt, and a brief reference to our endeavours to remove. The uneasiness among some of His Majesty's Moslem Soldiers caused by the machinations of Turco-German agents, and at the same time to assist the British authorities in the formation of an atmosphere of mutual goodwill and understanding between the representatives of the Imperial Government and the Egyptians, may be of interest to the Marquess of Crewe and Sir Edward Grey.

THE ATTITUDE OF THE EGYPTIAN PEOPLE.

(2) In the course of our sojourn in Egypt from the 19th of December 1914 to the 12th of January 1915, we travelled over a thousand miles and visited Ismailia, Suez, Port Said, Tanta, Alexandria, and also all the camps of the Indian troops. Through the courtesy of the British Agency we had frequent opportunties of discussing Egyptian problems, especially in their relation to the new order of things with the leaders of all shades of political thought, including the Prime Minster and his colleagues, the ex-Premier Said Pasha and some ex-Ministers, the leader of the Opposition, the President

of the Assembly, the members of His Highness the Sultan's family, the representatives of the middle classes and of the Press, the ecclesiastics, the Ulemas and others. Our first impression, which still remains unchanged, was that except for the evidences of considerable military activity for the defence of the country, there was no outward sign that The Egyptians were in any way perturbed by the great war, which had drawn into its vortex and ranged on opposite sides the British and the Ottoman Empires. The historical Proclamation of 18th December 1914, which changed the political destiny of Egypt, was received by the people with a feeling of relief. The long and chequered connection of Turkey with Egypt which was thus finally terminated, had at different times and in consequence of varying policies, set in motion both cohesive and disruptive forces. The latter, owing chiefly to misrule and lack of political insight and foresight on the part of Egypt's late Suzerain, had been acquiring an increasing asoendency when the British occupation of the country in 1882 profoundly altered the whole aspect of Egypt's future, We tried to find out whether the prosperity and progress resulting from the British connection weighed heavier in the scale with the Egyptians, irrespective of the military strengh of the occupying Power which ensured the people's allegiance, against the bonds of a common creed and, to what extent, if any, the national sentiment of the Egyptians was influenced by cognate Islamic ideals and affected by the Turkish espousal of the German cause. In considering these points and the inter-relation of the various factors, which seem to govern the Egyptian situation, it must be remembered that the population of Egypt, especially in the urban areas, which constitute the centres of political thought and activity,

is not so homogeneous as to be influenced in the same manner and to the same extent by recent events.

(3) From a political point of view the population of Egypt, after making due allowance for normal increase after ceusus of 1907, may
making due allowance for normal increase after ceusus of 1907, may
Egyptians; 795,000 Copts; 57,000 Turks other Ottoman subjects; 137,000 Greeks, Italians and Frenchmen; 43,000 Jews; and 25,000 British subjects — making an aggregate total of 12,400,000 souls.

S.259., A.

THE MOSLEM EGYPTIANS

(4) The Moslem Egyptian constitutes the bulk or over 90 per cent of the population and is the backbone of the national life of Egypt outside the small urban areas. He is scarcely conscious of the momentous issues involved in the war, and has always been indifferent to all political changes which do not disturb the placid stream of his religious and economic life. He sees that the sandy and arid wastes of Egypt are being transformed into green stretches of waving corn and cotton, and realises that beneficent measures for ameliorating his moral and material condition are being continuously adopted. He is aware that he enjoys complete religious liberty and that all his sacred institutions are being preserved and respected. His racial sentiment is by no means of such a nature as to make him abandon the solid advantages of good and impartial government for the oppression of pre-occupations time.

THE COPTS.

(5) The Copts have nothing to gain and much to lose by any change in the present state of things, and their adhesion to the British cause may be fully counted upon. It appeared to us, however, that any leaning towards the Copts by the British authorities would result in a dangerous alienation of the Moslem Egyptian's trust in their impartiality and sense of fairness. We were told by many leading men that though there existed an honest desire to hold the balance even between the Moslem and the Copt, indications were not sometimes wanting that all real confidence was reposed in the latter. We did our best to convince the Egyptian Moslems that absolute impartiality was the key note of British policy, and that their apprehensions were groundless. But we think the necessity and importance of avoiding any action which may give rise to the slightest suspicion of racial preference for the Copt or the Moslem cannot too often be impressed upon the subordinate officials.

THE GREEKS AND OTHER RACES.

(6) The Greeks who are in more intimate touch with the Egyptians, even in remote and small villages, than any other European nationality, and the Italian, French, and other foreign elements in the population, reserve all their loyalty and patriotism for their respective countries. They seem always likely to swin with the tide of real power when it does not conflict with their own national interests. The attitude of the Jews seems opportunist and inspired

with a desire to be left in peace and security. The British subjects are of course keenly pro-British. The Turks and most of the other Moslem Ottomans may be expected to be naturally in sympathy with the fortunes of the Ottoman Empire, but they are likely to remain perfectly peaceful unless some unexpected upheaval changes their quiescence.

THE EGYPTIAN ARISTOCRACY

(7) A very important and intersting factor in the policy and population of Egypt is the Allono-Turkish aristocracy composed of the descendants of Mohamed Ali and of the soldiers of fortune, who helped him to conquer the country and to build up the somewhat loosely jointed social, political, economic and military structure with which British statesmanship has come into contact. This aristocracy, which consists of about a hundered families, and is by no means exclusive owing to the democratic traditions of Islam, combined with the upper classes, which are more or less of Turkish Albanian and circassian origin, and may be roughly estimated at about a thousand families, furnishes a large proportion of the governing forces, which under British advice and guidance, are still predominat. (Many members of this British advice and guidance, are still predominate) Many members of this upper stratum of Egyptian society are much travelled men, who have (Page 3) received their education in European countries, chiefly in France, and are inbued in some degree with European culture, which has widend their mental horizon, though in some cases the impact of western

ideas upon their national virtues appears to have produced undesirable tendencies. The finest example of the Albano-Turkish aristocracy is the new Sultan of Egypt, to whose personality we make a more detailed reference in a subsequent paragraph. Lapse of time and force of circumstances have greatly weakened and in many cases entirely obliterated the Turkish sympathies of these men, who have developed a limited patriotism for the country of their birth and adoption, in whose fortunes they know that their life and well-being are completely merged. The loyalty of these classes during the present crisis may be counted upon; but we venture to suggest that their adhesion to the British cause may be strengthened by a statesmanlike policy of conciliation and of generous concessions to their sentiments and reasonable expectations.

THE ASPIRATIONS OF EDUCATED EGYPTIANS

(8) Some members of the influential classes mentioned in the preceding paragraph, and also the literate classes generally, including the upper strata of educated Moslem Egyptians, especially the students, are influenced by somewhat vague ideas of nationalism and independence; but we found that the more thoughtful and experienced men with whom we had conversations were fully alive to the deficiencies of the Egyptian people in numerical, strength and defensive power in the present stage of their social, intellectual, and political development, and readily recognised that they could not stand on their own legs without the help of a strong protecting

hand. They clearly realised that in view of the geographical position of Egypt and the situation of the Suez Canal as a vital link in a world-chain of British interests, such effective support can only come from the direct suzerainty of Great British. Enlightened Egyptian opinion consequently seemed to us to be practically solid in deprecating any eventuality calculated to disintegrate the fabric of prosperity, now being raised, or to cause a break in the steady moral and material advance of the country. The Egyptian politicians, however, do not make any secret of their aspirations, which tend in the direction of autonomy under Imperial protection or an uncontrolled mangement of such of their internal affairs as are free from international complications. They desire a gradual straightening out of these entanglements and a complete and immediate sweeping away of the capitulations. We are not aware whether in deference to Italian susceptibities or for what other political reasons, which no double must be strong, the capitulations are still maintained at the present most opportune juncture when their abolition might perhaps have caused the least disturbance in the international atmosphere, charged as it is with the absorbing exigencies of the war to the practical exclusion of minor questions. We understand, however, that the capitulations are doomed to extinction at the end of the war, and to this consummation the Egyptians, we think rightly, are looking forward with confident expectation.

(9) The educated Egyptions cherish the hope that the closer association with the self-governing traditions of the British nation, which has now been inaugurated, will eventually result in raising

the political status of the country to a higher plane, with a local parliament instead of a deliberative Assembly whose legislative activities under its present constitution can be rendered inoperative. They recognise the futility of aspiring to the mangment of their military and naval affairs, which must remain under the control of the protecting power; but in the matter of purely civil legislation, which cannot affect Imperial interests, the Assembly's powers, they think, should be widened within safe limits.

(10) How far these expectations are within the range of practical politics it is not for us to say, but we agree in the view that a beginning might safely be made in regard to the management of (i) the waqfs (ii) the Mahkama Shari'a, and (iii) the Maglis Hasbi, which concern endownments, ecclesiastical matters and trusteeships respectively, If this is done an excellent political effect would be produced without effecting the essentials of British control. The advent of the new Sultan would be signalised by an innocuous but important concession to Egyptain sentiment, and his prestige as a protected Sovereign would be enhanced at the outset of his rule when his attitude of steadfast loyalty to the Brirish cause is not altagether free from certain domestic and other difficulties. The concession would be gratefully appreciated by all classes of theEgyptian people, and their confidence in the motives and policy of the Imperial, Government would be increased.

THE PROTECTORATE.

(11) The rupture of friendly relations with Turkey combined with the hostile attitude of the khedive Abbas 11., who was reported by sir louis Mallett to have Co-operated with the Turkish Militarist party in organising a serious menace in Syria to the British position in Egypt, had broughr to the fore the question whether Egypt should be annexed to the British Empire or whether the political status of the country should be settled in some other way. The repeated and emphatic disavawal in past years by successive British Ministers of any intention to annex the country had raised certain moral issues the settlement of which was being watched with keen interest and considerable misgiving not only by the Egyptians but also by the whole Moslem world. Annexation, we are told, would have stirred up unfriendly feelings towards Great British in many quarters, and might possibly have led to serious complications. The constitution of Egypt into a British protectorate at the present juncture is generally regarded as the most statesmanlike solution of a very difficult and delicate problem.

THE NEW SULTAN.

(12) The gratification of the Egyptians at the decision of His Majesty's Government has been enhanced by the happy selection of His Highness Hussein Kamel as the first Sultan of Egypt. He has a much stronger hold on the esteem and confidence of the Egyp-

tians than the late Khedive, whose unceasing intrigues had poisoned the atmosphere of Cairo, and whose questionable monetary exploitations had created in the country and even among his nearest relations a feeling of distrust and apprehension. The new Sultan is known for his uprightness and high sense of honour, his solicitude for the welfare of the poor, and his great interest in agricultural questions, on which the prosperity of a country like Egypt must largely depend. His antecedents and his early association with almost all the branches of the administration, including the portfolios of Finance, war, public works, Interior, waqfs and Education, inpire the people with confidence in his ability and knowledge of affairs. We were told that if a plebiscite had been taken the choice of the Egyptians would have been the same as that of His Majesty's Government.

(13) We have had opportunities of meeting and conversing with His Highness. He impressed us as a strightforward, and broad-minded man. At our parting private interview with the Sultan, arranged at his special desire, His Highneas confidentially but quite frankly expessed his views on the change in the political status of Egypt, and the difficulties of his own position. We gathered from his converstion that the rôle of a mere ornamental figurehead on the political chessboard, which he confidently hoped was not in contemplation when he loyally assented to the proposals of the Indian Government, would humiliate him in the eyes both of the Islamic world and of his own subjects, and render his position intole-

rable. He expressed the conviction that, in view of his clean record and mature experience, only a policy of mutual trust, confidence, and good will, coupled with a generous desire to uphold his dignity, with special regard to the powers and responsibilities attaching to the position of a Sovereign, could deepen the sense of friendly Co-operation essential to the unhampered furtherance of Egyptian as will as Imperial interests. He asked us to convey to His Majesty and to the Ministers of the Crown message of his sincere goodwill and his assurances of his faithfulness to the British connection. He added that during the present crisis and in future his unswerving loyalty in rendering all possible services to the Empire and to his country may be fully relied upon.

We were deeply impressed by the tone of genuine sincerity which characterised His Highness' conversation, and we believe that his firm adhesion to the British cause is beyond question.

THE MINISTERS AND THEIR ADVISERS.

(14) From the conversations of the Ministers, with almost all of whom we had opportunities of discussing the Egyptian situation in a friendly and informal manner, we gathered that they desired a free and frank interchange of views on the advice tendered to them before it was given effect to. It was hinted that it occasionally hopprened that a candid examination of the advice from a different angle of view was resented and attributed to obduracy. This

naturally impaired in some degree the cordiality of relations between the Minister and his Adviser, and left unpleasant impressions on the minds of both. As a consequence, the removal of an otherwise capable Minister was sometimes rendered expedient, and the impression gained ground that only those Ministers who were willing to surrender their Judgments would be acceptable. This was probably a comewhat over coloured view of the situation, but the belief undoubtedly exists in the minds of many Egyptian policians that freedom of Judgment is occasionally at a discount. It is fully realised that in the settlement of questions which are vital to Imperial intersts, firmness cannot be sacrificed to a hesitating desire for conciliation or compromise. It is also recognised that the effect on British prestige of an uncertain and vacillating attitude in a country where the people instinctively lean towards the authority which in their belief possesses the substance of real power, must be fully guarded against. But in ordinary circumstances an unbending attitude, which excludes an unprejudical examination of any question, may sometimes be carried too far and produce results which in the long-run may be detrimental to British prestige, which can only be maintained on a foundation of Justice and fair play.

(15) An atmosphere of mutual trust and goodwill which welcomes friendly and dispassionate criticism from either side, before the administration is committed to any course of action, will, it is believed, advance the highest Imperial as well as Egyptian and inspire the leaders of the people with confidence. The above obse-

rvations have no particular reference to the present body of Advisers, most of whom are held in high esteem.

THE NATIONALISTS.

(16) The Nationalist movement, which aimed at the termination of the British occupation and the absolute independence of Egypt, received a check in 1907, when ex-Khedive co-operated with Sir Edon Gorst in repressing it. During the regime of lord Kitchener the activities of the Nationalists were further neutralized and with greater effect by the measures he adopted. It seems, however, from what we have seem and heard in Egypt that the Nationalist spirit is not dead but dormant. The students, especially of the law School in Cairo, and those who receive their education in foreign countries, are peculiarly susceptible to the propagandism of the Nationalists.

(17) The few exponents of Nationalist views with whom we had conversation seemed to think that if a policy of greater trust in the representatives of the people is adopted, and if in the governance of the country the good of the Egyptian and their legitimate expectations as a self-respecting nation are not subordinated to other considerations, the Nationalists would cordially support the Birtish authorities. They admitted that the measures for extending cultivation and improving the material condition of the Fellah had been strikingly successful, but in their opinion the educational policy of the Egyptian Government under British guidance had been some-

what half-hearted, and it left an impression upon their minds that a real uplifting of the people of Egypt in the scale of nations was not desired for political reasons, which, they urged, should not be allowed to stand in the way of national advancement.

THE EGYPTIAN PRESS.

(18) The Kanoun — al — Matbuat or the press law of 1909 has produced a sobering effect on the Egyptian Vernacular. At one time these used to be about 60 Arabic papers, and nearly the same number in Eurpeon languages in circulation in the country. The number of the vernacular Journals has considerably decreased recently.

The activities of the Arabic press in Egypt were inspired and developed by the different political parties, which under martial law are at present quiescent. The most important of these organigations are : —

1. The Nationalist party to which we have already referred.
2. The Hisb-al-Umma of the people's party; and.
3. The Islah or the reform party.

The organ of the Nationalist party, Al-leua, started in 1893 was the most important political paper of its time. It was suppres-

sed in 1912. Its policy was inspired by Mustafa pasha Kamel. The Shaab replaced the leua and subsequently Al-Alam. The latter was also suppressed in November 1914. The organ of the Hisb-al-Umma a party composed of men of substance, the moderation of whose views was intended to serve as a counterpoise to nationalist activities — is Al Garide. The paper has dwindled in importance since the resignation of its editor, lutfi-al-Sayed, an honest Journalist whose idealism was somewhat out of tune with the realities of the situation in Egypt.

The Reform party, which identified itself with the policy of the ex-Khedive, ventilated its views through the columns of Al-Moayyad. The paper was at one time ably edited, and often adopted an independent attitude. It has ceased to be of much importance now.

Of the independent papers the Al-Ahram, started in 1875, is oldest and the best. It is an exponent of moderate and reasonable views, and its policy is pro-British.

Al-Mokattam is another important paper. It is under the management of Syrian Christians whose policy is strongly anti-Turkish. The paper is looked upon as a semi-official organ of the British Agency, and the Moslem Egyptians, we are informed, view it with distrust and suspicion. In this connection we may incidentally mention that the attitude of the British authorities towards the Syrians is being watched with some apprehension by the Egyptian Moslems.

The Copts have two organs, the Miser and Al-Watan, which watch over and advocate their interests.

Among the European papers the most important seem to be the Egyptian Gazette, le phare d Alexandria, le Journal du Caire, l'Egypte-Egyptian Morning News and la Bowrse Egyptienne. All these are exponents of European views.

It appears to us from what we have heard that under the combined operation of the press act and martial law, the Arabic press has to a large extent ceased to reflect the trend of Egyptian feeling in all its aspects. The suppression of some of the virulent papers was, however, a necessary measure at the present Juncture.

THE CALIPHATE

(19) In regard to the Moslem attitude towards the Caliphate, the Islamic world may roughly be divided into two groups,— the great majority of Moslems who profeses the Sunni or orthodox faith, and a minority composed of Shias, Ibadhis, Kharajis, Zaidis and other minor sects. The question of the Caliphate concerns only the Sunnis, as the other sects have conflicting views on the subject. The historical origin of the Caliphate is clearly traceable to the emergent conditions which called for an immediate settlement on the death of the founder of Islam. The first caliph Abu Bekr was elected by the people, but he nominated before his death Omar as his successor.

This precedent has been followed ever since in regard to the Caliphate, each successive Caliph being nominated by his predecessor. The Apostolic succession was maintained through various Arab dynasties until the Osmanli Sultan Selim Conquered Egypt, and induced the last Abbassida holder of that dignity to nominate him as his successor. In this manner the line of Apostolic succession by nomination has remained unbroken until now; and it is for this reason that the orthodox Moselms of India, Egypt and other countries look upon the Sultan of Turkey as the rightful Caliph of Islam. Whatever the consquences of the present was may be as to territorial adjustments, it seems essential from the Sunni point of views that the guardianship of the Holy places should rest in the hands of a Moslem Sove reign who derives his title to the Caliphate by nomination from his predecessor.

The efforts of the young Turks to rally the militant support of Islam around the Osmanli Caliphate might perhaps have met with a less frigid response if Turkish rule had not been so markedly out of tune with the spirit of the time. The progressive tendencies of the age in their bearing on the welfare and elevation of governed nationalities cannot be dissociated from the purely spiritual aspect of the caliphate. The serious risks and harassment to which the depredations of the Bedouins and the exactions of the local officials subject the pilgrims of the Moslem holy places in the Hedjaz and Mosopotamia, combined with the insanitary conditions which surround them have naturally chilled Moslem enthusiasm as to the effe-

cts of the guardianship of the ka'ba and Kerbala by the Caliph — Sultan of Turkey. It would however, be a mistake to suppose that the Turks are 'detested' by the Egyptians or other Moslem races. On the contrary, the traditions of the Ottoman Empire have never ceased to captivate the imagination and stir the sympathies of the Moslem world. But the Turks obviously miscalculated the psychological and moral limitations to which such sypmathies must be subject. A part from the question whether the caliphate has really a religious basis or whether a claimant to that dignity must belong to the tribe of the prophet of Islam, the expections of the Turkish militarists that the blessings of good Government, including a complete freedom of religious belief, would be abandoned at the bidding of the Caliph. Sultan were foredoomed to disappointment.

It is, however, an acepted doctrine that the recognition of the Sultan as Caliph does not involve any political aliegiance to him, and it is for this reason that the Moslems of Egypt and India have not wavered in their secular allegiance. But, in regard to the spiritual aspect of the caliphate, any intervention by non-Moslem powers as to the nomination of a caliph is certain to be attributed to political motives, and no caliph so nominated can be generally accepted. It would be wise to leave the solution of this delicate question to the Judgment of the Moslem people, who in course of time, will meet the situation according to Islamic traditions and doctrines.

THE JEHAD FETWA.

(20) The Fetwa of the Sheikh-ul-Islam of Turkey about a Jehad or Holy war has fallen upon entirely sterile ground in Egypt. The people are quite unconcerned about it. This Fetwa consists of some cryptic "Ayes" to a series of ingenious questions formulated by the war party inTurkey. The assumptions underlying some of these questions are more or less devoid of foundation in the politico-military situation arising out of the war. This was recognised by those with whom we had opportunities of conversing. The average Moslem mind in Egypt as in other Muhammadan countries may be influenced by religious pan-Islamism in the event of aggressive hostolity against Islam; but the intelligent classes among the Egyptian Moslems are under ne delusion as to the nature of the political pan-Islamism inspired by German propagandists.

THE EFFCT OF EARL KITCHENER'S POLICY

(21) We may venture to state here that the present reassuring calm in Egypt apprears to be due in a large measure to the signally successful regime of lord kitchener. In all directions we came across striking evidences of the firm hold he had acquired on the Egyptian mind by his sympathetic insight into its working and by his breadth of view in harmonising Egyptian advancement with the wider interests of the Empire. His policy in regard to the gradual

fulfilment of reasonable aspirations seems to have won the loyalty and goodwill of all enlightend Egyptian.

THE INDIAN TROOPS.

(22) We were infomed by Generais Wilson, Cox and Melliss, that there was some uneasiness among the trans-frontier Moslem soldiers, especially the Brahuis, Hazaras, Khattaks, yusfzais, Swatis and Afridis, as to certain aspects of the was with Turkey. In the opinion of the military authorities, Turkish agents were undoubtedly trying to get at the Musulman soldiers, and there was evidence to show that the trouble began even before the troops left India.

The views held by these men were that they should be led against the Germans, as they were given to understand in India that the war was with Germany, instead of being asked to fight the soldiers of the Caliph-the Yemen Arabs and Turks-who were the natural guardians of the Holy places. They seemed to believe that Islam prohibited internecine bloodshed among Moslems. They also thought that the Entente powers had aggressive designs on the Moslem shrines and aimed at the destruction of Islam.

At the suggestion of Generals Sir John Maxwell and Wilson we visited the brigades commanded by Brigadier — Generals Younghusband, Cox, A. watson, H. waston, Geoghegan, and Melliss. We

were accoppanied by Mazor-General Wilson and Brifadier-General Bingley, Chief staff officer. The troops were drawn up at their respective camps, and all the Generals and other officers were present. After the usual formalities of inspection and introduction by General Wilson, the Native Officers were assembled in groups. The Aga Khan addressed them in Urdu, meeting the misconceptions arising out of the Turco-Germen intrigues point by point according to the Shariat and Islamic doctrines. It was pointed out that Islam imposed upon them the duty of being true to the salt of the Sarkar under whose aegis they enjoyed complete religious liberty, and that according in the armies of Russia and France thousands of Moslem swords were drawn in the defence of the righteous cause for which the Entente powers were fighting. It was impressed upon them that the British sarkar had always befriended and protected Moslem nations; that the inviolability of the Holy places was guaranteed during and after the war by Great British with the concurrence of Russia and France; That Turkey, in spite of the proffered guarantees assurances, and promises which would have secured the safety and advanced the interests of the Ottoman Empire, had been dragged into the war by Germany and a Junta of Turkish chauvinists, who were entirely influenced by political reasons; and, that the war was in no sense religious as evidenced by the attitude of Indian Muhammadan-Chiefs, the Amir of Afghanistan, and many other Moslem potentates. The recent elevation of Prince Hussein Kamel to the dignity of Sultan of Egypt was mentioned as the most recent instance of the manner in which Moslem countries were protected by Great British, and their Islamic traditions maintained. The

arrangements made in England for the benefit of Indian Soldiers, and for satisfying the religious scruples of both Hindus and Moslems were explained. The gracious solicitude of the king-Emperor for their welfare was alluded to, and a hope was expressed that they would Justify the confidence His Majesty reposed in them by gloriously maintaining the traditions of the India Army, and adding fresh lawrels to its achievements.

CONCLUSTION.

(23) We are greatly indebted to General Maxwell for his generous hospitality. Our gratitude is also due to Messrs. Cheethern and storrs for the numerous interviews they arranged for us. We may add in conclusion that no opportunity was missed by us of impressing upon those with whom we came into contact, the benefits of the British connection as evidenced by the present conditions in India, and of pointing out that the protectorate had opened up a new horizon of boundless possibilities for the good of Egypt.

Port Said,
12th January 1915,

AGA KHAN.
M.A. ALI BAIG.